السَّبْعِيَّات في مَواعِظ الْبَرِيَّات

تأليف

الشَّيْخ الإِمَام

أَبِي نَصْر مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الهَمَذَانِيّ

المتوفى بعد ٩٦٦ هـ

تحقيق

محمد عثمان

obeikandl.com

obeikandl.com

الطبعة الاولى
1432هـ-2011
حقوق الطبع محفوظة للناشر
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد – القاهرة
25938411-25922620 / فاكس: 25936277
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

عين القضاة ، محمد بن عبد الرحمن الهمذانى ، 000-بعد 1559
السبعيات فى مواعظ البريات / تاليف : ابى نصر محمد بن عبد الرحمن الهمذانى
تحقيق: محمد عثمان
ط-1 القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ،2010
186 ص ، 24 سم
تدمك : 978-977-341-502-0
1-الوعظ والارشاد
ا- عثمان، محمد (محقق)
ب- العنوان

ديوى:213

رقم الايداع: 20485

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونثني عليه الخير كله، اللهم لك الحمد كما هديتنا للإسلام، ومننت علينا ببعثة خير الأنام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، نصب على ربوبيته أعظم الدلائل، وأقام على ألوهيته الآيات الجلائل، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله سيد الأواخر والأوائل، المبعوث بأكرم السجايا وأشرف الشمائل، صلى الله عليه وعلى آله أولي المكرمات والفضائل، وصحبه الذين أحبوه محبة تفوق محبة النفس والمال والولد والحلائل، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وفي نصرة الحق يُجاهد ويناضل، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد؛ فعندما بدأ الله خلق هذا الكون اختار الرقم سبعة؛ ليجعل عدد السموات سبعة، وعدد الأراضين سبعة. يقول عز وجل: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ١٢].

حتى الذرة التي تُعد الوحدة الأساسية للبناء الكوني تتألف من سبع طبقات إلكترونية، ولا يمكن أن تكون أكثر من ذلك.

كَمَا أَنَّ عدد أيام الأسبوع سبعة، وعدد العلامات الموسيقية سبعة، وعدد ألوان الطيف الضوئي المرئي هو سبعة.

ويجب أَلا يَغِيبُ عَنَّا أن علماء الأرض اكتشفوا حديثًا أن الكرة الأرضية تتكون من سبع طبقات.

فالرقم سبعة يملك دلالات كثيرة في الكون والقرآن وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، حتى تكرار هذا الرقم في كتاب الله جاء بنظام محكم، فلا يوجد كتاب واحد في العالم يتكرر فيه الرقم سبعة بنظام مشابه للنظام القرآني، وهذا إن دَلَّ على شيء فإنما يدل على أهمية هذا الرقم، وأنه رقم يشهد على وحدانية الله تعالى.

فعندما ندرك أن النظام الكوني قائم على الرقم سبعة، ونكتشف الرقم ذاته يتكرر بنظام في كتاب أنزل قبل أربعة عشر قرنًا، فإن هذا التشابه يَدُلُّ عَلَى أنَّ خالق الكون هو منَّزل القرآن سبحانه وتعالى.

وقد جاء أبو نصر الهمذاني في هذا الكتاب النادر في بابه فجمع عدة لطائف لهذا الرقم، كما قال في المقدمة: (اعلم أن الخالق البارئ، جَلَّت قدرته، وعَلَتْ كلمته، وتوالت آلاؤه، وتتابعت نعماؤه، زيَّن الأشياء السبعة بالأشياء السبعة، ثم زيَّن السبعة بسبعة أخرى؛ ليعلم العالمون أن للأعداد السبع عند مالك الضر والنفع خطرًا عظيمًا، ومحلا جسيمًا).

وقسم كتابه تقسيم بديع شيق، لم يسبقه لهذا التقسيم أي عالم كما قال: (أحببت أن أجمع كتابًا يحتوي على سبعة مجالس في علم معاني هذه الأيام، مُرَتِّبًا على الأعداد السبع؛ ليكون تبصرةً للملتمسين، وتذكرةً للمقتسمين؛ وسميته: كتاب " **السبعيات في مواعظ البريات** ").

فأخرج لنا هذه الدرة الثمينة، الذي نسأل الله أن يوفقنا لإخراجه في أزهى ثوب، وأبهى صورة، ونسأل الله التوفيق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلَّى الله وسلم على سيّد البلغاء من الناس مُحمّدِ بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أسرار الرقم سبعة

نعيش من خلال الحقائق الآتية مع بعض أسرار الرقم سبعة في القرآن، وفي الكون، وفي أحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

ونتسائل: هل الترتيب المحكم لهذا الرقم في كتاب الله تعالى من صنع المصادفة، أم أنه بتقدير العزيز العليم؟!!

كما أن الخالق سبحانه وتعالى فضَّلَ بعض الرسل على بَعْضٍ وَقَالَ فِي ذَلِكَ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وَكَمَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى فَضَّلَ بَعْضَ الليالي عَلَى بَعْضٍ، فقال في ليلة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ١ – ٥]

وكذلك فضل بعض الشهور من السنة مثل شهر رمضان، فقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَفَضَّلَ بعض المساجد مثل المسجد الحرام والمسجد الأقصى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]

وكما فضل بعض البقاع على بعض مثل مكة المكرمة: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]

وكما أنَّ اللهَ قَدْ فَضَّلَ بعض السور، فكانت أعظم سورة في القرآن هي فاتحة الكتاب، وكانت آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله، وكانت سورة الإخلاص تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآن، هكذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والآن لو تساءلنا عن لغة الأرقام في القرآن العظيم، وتدبرنا الأرقام الواردة فيه ودرسنا دلالات كُلِّ رَقَم، فَهَلْ فَضَّلَ اللهُ تَعَالَى رَقَمًا عَنْ سَائِرِ الأَرْقَامِ؟ بلا شك إنَّ الرقم الأكثر تَمَيُّزًا في كتاب الله تعالى بعد الرقم واحد هو الرقم سبعة!

فهذا الرقم له خصوصية في عبادات المؤمن، وفي أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام، وفي الكون والتاريخ وغير ذلك.

ولكن ما هي أسرار هذا الرقم؟ ولماذا تكرر ذكره في العديد من المناسبات القرآنية؟

لنبدأ بهذه المقارنة بين الكون والقرآن.

البناء الكوني والبناء القرآني والرقم سبعة

هذا الكون الواسع من حولنا بكل أجزائه ومَجَرَّاتِهِ وكواكبه، كيف تترابط وتتماسك أجزاؤه؟!

من حكمة الله تعالى أَنَّهُ اختار القوانين الرياضية المناسبة لتماسك هذا الكون، ومن هذه القوانين قانون التجاذب الكوني على سبيل المثال.

هذا القانون يُفَسِّرُ بشكلٍ عِلْمِيٍّ لِمَاذَا تَدُورُ الأرض حول الشمس ويدور القمر حول الأرض، هذا بالنسبة لخلق الله تَعَالَى، فماذا عن كلام الله؟

حتى نتخيل عظمة كلمات الله الَّتِي لا تحدها حدود يجب أن ننظر إلى كتاب الله على أَنَّهُ بناء محكم من الكلمات والأحرف والآيات والسور، وقد نظم الله تعالى هذا البناء العظيم بأنظمة معجزة.

إِذًا خالق الكون هُو مُنَزِّلُ القُرْآن والَّذِي بَنَى السموات السبع هو الذي بَنَى القرآن، وكَمَا نَرَى مِنْ حَولِنَا للرَّقَمْ سَبْعَة دلالات كثيرة في الكون والحياة، نرى نظامًا متكاملا فِي هَذَا القرآن يقوم على الرقم سبعة، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ الله سبحانه وتعالى، وأنَّ القرآن هو كتاب الله عز وجل.

لماذا اقتضت مشيئة الله عز وجل اختيار الرقم سبعة؟

هذا الرقم يملك دلالات كثيرة في الكون والقرآن وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، حتى تكرار هذا الرقم في كتاب الله جاء بنظام محكم، فلا يوجد كتاب واحد في العالم يتكرر فيه الرقم سبعة بنظام مشابه للنظام القرآني، وهذا إن دَلَّ على شيء، فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى أهمية هذا الرقم، وأنه رقم يشهد على وحدانية الله تعالى.

فعندما نُدْرِكُ أَنَّ النظام الكوني قائم على الرقم سبعة، ونكتشف الرقم ذاته يتكرر بنظام في كتابٍ أنزل قبل أربعة عشر قرنًا، فَإِنَّ هَذَا التشابه يَدُلُّ عَلَى أنَّ خالق الكون هو منَّزل القرآن سبحانه وتعالى.

الرقم سبعة في الكون

عندما بدأ الله خلق هذا الكون اختار الرقم سبعة ليجعل عدد السموات سبعة، وعدد الأراضين سبعة.

يقول عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢].

حتى الذرة التي تُعد الوحدة الأساسية للبناء الكوني تتألف من سبع طبقات إلكترونية، ولا يمكن أن تكون أكثر من ذلك.

كما أن عدد أيام الأسبوع سبعة، وعدد العلامات الموسيقية سبعة، وعدد ألوان الطيف الضوئي المرئي هو سبعة.

و يجب ألا يغيب عنَّا أنَّ علماء الأرض اكتشفوا حديثًا أنَّ الكرة الأرضية تتكون من سبع طبقات.

الرقم سبعة في السنة النبوية

كثيرة هي الأحاديث النبوية الشريفة التي نَطَقَ بِهَا سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم.

وقَدْ كان للرقم سبعة حظ وافر في هذه الأحاديث وَهَذَا يَدُلُّ على أهمية هذا الرقم وكثرة دلالاته وأسراره.

فعندما تحدث الرسول الكريم عن الموبقات والكبائر حدد سبعة أنواع فقال: " اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ... "[١] [البخاري، ومسلم].

وعندما تحدث عن الذين يظلهم الله سبحانه وتعالى يوم القيامة حدد سبعة أصناف فقال: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ... "[٢] [البخاري، ومسلم].

وعندما يتحدث عن الظُّلْمِ وَأَخْذِ شَيْءٍ من الأرض بغير حقه، فإنما يجعل من الرقم سبعة رمزًا للعذاب يوم القيامة، يقول عليه الصلاة والسلام: " مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَاضِينَ "[٣]. [البخاري، ومسلم].

---

(١) أخرجه البخارى (١٠١٧/٣، رقم ٢٦١٥)، ومسلم (٩٢/١، رقم ٨٩).

(٢) أخرجه البخارى (٢٣٤/١، رقم ٦٢٩)، ومسلم (٧١٥/٢، رقم ١٠٣١).

(٣) أخرجه البخارى (١١٦٧/٣، رقم ٣٠٢٣)، ومسلم (١٢٣١/٣، رقم ١٦١٢) .

وعندما أخبرنا عليه الصلاة والسلام عن أعظم سورة في كتاب الله قال: " الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالِمِينَ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِيَ وَالقُرْآنِ العَظِيمِ الَّذِي أُوتِيتُهُ "(١) [البخاري].

وفي السجود يخبرنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن الأمر الإلهي بالسجود على سبعة أعضاء، فيقول: " أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ "(٢) [البخاري ومسلم].

أَمَّا إِذَا وَلِغَ الكَلْبُ فِي الإِنَاءِ فَإِنَّ طهوره يتحدد بِغَسْلِهِ سَبْعَ مَرَّاتٍ إِحْدَاهُنَّ بِالتُّرَابِ.

وعندما تحدث عن القرآن جعل للرقم سبعة علاقة وثيقة بهذا الكتاب العظيم، فقال: "إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ "(٣) [البخاري، ومسلم].

وهذا الحديث يدل على أنَّ حروف القرآن تَسِيرُ بنظامٍ سُبَاعِيٍّ مُحْكَمٍ، والله تعالى أعلم.

وقد تَحَدَّثَ الرسول صلى الله عليه وسلم عن جهنم يوم القيامة، فقال: " يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَومَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ "(٤) [مسلم].

كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستجير بالله من عذاب جهنم سبع مرات فيقول: " اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ "(٥) [أبو داود والنسائي].

وفي أسباب الشِّفَاءِ أَمَرَنَا الرسولُ الكريم صلى الله عليه وسلم أَنْ نَضَعَ يَدَنَا عَلَى مَكَانِ الأَلَمِ وَنَقُولُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: " أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ "(٦) [مسلم].

حتى عندما يكون الحديث عن الطعام نجد للرقم سبعة الحضور، يقول صلى الله عليه وسلم: " مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَومٍ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ اليَومِ سُمٌّ وَلا سِحْرٌ"(٧) سِحْرٌ"(٧) [البخاري، ومسلم].

---

(١) أخرجه البخارى (٤/١٦٢٣، رقم ٤٢٠٤).

(٢) أخرجه البخارى (١/٢٨٠، رقم ٧٧٩)، ومسلم (١/٣٥٤، رقم ٤٩٠).

(٣) أخرجه البخارى (٤/١٩٢٣، رقم ٤٧٥٤)، ومسلم (١/٥٦٠، رقم ٨١٨).

(٤) أخرجه مسلم (٤/٢١٨٤، رقم ٢٨٤٢).

(٥) أخرجه أبو داود (٤/٣٢٠، رقم ٥٠٧٩)، والنسائى فى الكبرى (٦/٣٣، رقم ٩٩٣٩).

(٦) أخرجه مسلم (٤/١٧٢٨، رقم ٢٢٠٢).

(٧) أخرجه البخارى (٥/٢٠٧٥، رقم ٥١٣٠)، ومسلم (٣/١٦١٨، رقم ٢٠٤٧).

أما الحديثُ عن الصيام في سبيل الله نَجدُ مِنَ الأجْرِ الشيء الكثير الذي أَعَدَّهُ اللهُ للصَّائِم. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَومًا فِي سَبِيلِ اللهِ إِلا بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ اليَومِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيْفًا "(١) [البخاري ومسلم].

وعندما قَدِمَ أحد الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطلب منه أن يخبره عن المدة التي يختم فيها القرآن، فقال عليه الصلاة والسلام: " فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ وَلا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ "(٢) [البخاري، ومسلم].

كما كان عليه الصلاة والسلام يستغفر الله سبعين مرة.

وكان يقول صلى الله عليه وسلم عن مضاعفة الأجر: " كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ "(٣). [مسلم].

هذه الأحاديث الشريفة وغيرها كثير تَدُلُّ عَلَى أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قَدْ خَصَّ هَذَا الرقم بالذِّكْرِ دُون سائر الأرقام بسبب أهميته.

فهو الرقم الأكثر تكرارًا في أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام، وهو الرقم الأكثر تكرارًا في القرآن – بعد الرقم واحد –، وهو الرقم الأكثر تكرارًا في الكون.

الرقم سبعة والحج:

نَعْلَمُ جَمِيعًا أنَّ عبادة الحج تُمَثِّلُ الرُّكن الخامس مِنْ أَرْكَانِ الإسلام. فِي هَذِهِ العبادة يطوف المؤمن حول بيت الله الحرام سبعة أشواط. وَيَسْعَى بَيْنَ الصَّفَا والمروة سبعة أشواط أيضًا.

وعندما يَرْمِي الجمرات، فإنَّ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد رَمَى سبع جَمَرَاتٍ أيضًا.

وقد وَرَدَ ذكر هذا الرقم في الآية التي تحدثت عن الحج والعمرة، يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦].

والعجيب أن رقم هذه الآية هو (١٩٦)، وهذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة مرتين، فهو يُسَاوِي سبعة في سبعة في أربعة؛ أي: (١٩٦ = ٧ × ٧ × ٤).

---

(١) أخرجه البخارى (١٠٤٤/٣، رقم ٢٨٤٠)، ومسلم (٨٠٨/٢، رقم ١١٥٣).

(٢) أخرجه البخارى (١٩٢٧/٤، رقم ٤٧٦٧)، ومسلم (٨١٤/٢، رقم ١١٥٩).

(٣) أخرجه مسلم (٨٠٧/٢، رقم ١١٥١).

الرقم سبعة في القصة القرآنية

تكرر ذِكْر الرقم سبعة في القصص القرآني. فَهَذَا نبي الله نوح عليه السلام يدعو قومه للتفكر في خالق السموات السبع فيقول لهم: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٥].

أَمَّا سيدنا يُوسف عليه السلام، فَقَدْ فَسَّرَ رؤيا الملك القائمة على هذا الرقم، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَأَيُّهَا الْمَلأ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف:٤٣].

وقال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلا قَلِيلا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلا قَلِيلا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾ [يوسف:٤٦- ٤٨]

وَقَدْ وَرَدَ ذِكْر الرَّقَمْ سبعة فِي عَذَابِ قَومِ سيدنا هود الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَى قبيلةِ عَادٍ، فَأَرْسَلَ عليهم الله الريح العاتية، يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة:٦ - ٧].

وفي قصة سيدنا موسى عليه السلام، وورد ذكر الرقم سبعين، وهو من مُضَاعفات الرقم سبعة، يقول تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلا لِمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف:١٥٥].

وقد ورد هذا الرقم في قصة أصحاب الكهف، يقول عَزَّ وجل: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢].

إذًا هناك علاقة بين تكرار القصة القرآنية والرقم سبعة، والَّذِي يُتَابِعُ تاريخ الشعوب القديم يُلاحِظُ بِأَنَّ الرَّقَمْ سَبْعَة يتكرر كَثِيرًا فِي تَارِيخِ الفَرَاعِنَةِ بِمِصْر القديمة.

الرقم سبعة ويوم القيامة

هذا في الحياة الدنيا فماذا عن الآخرة؟ وهل هنالك تكرار لهذا الرقم يوم القيامة؟

لا يقتصر ذكر الرقم سبعة على الحياة الدنيا، بَلْ نجد له حضورًا في الآخرة.

إن كلمة (القيامة) تكررت في القرآن الكريم سبعين مرة؛ أي عددًا من مُضَاعَفَاتِ السبعة، فالعدد سبعين هو حاصل ضرب سبعة في عشرة: (٧٠ = ٧ × ١٠).

وكلمة (جهنم) تكررت في القرآن كله سبعًا وسبعين مرة؛ أي من مضاعفات السبعة: (٧٧ = ٧ × ١١).

وعن أبواب جهنم السبعة يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٣ - ٤٤].

أَمَّا عَنْ عذاب الله في ذلك اليوم، فنجد مضاعفات الرقم سبعة، يقول عز وجل: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٢].

ولا نَنْسَى بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ ذَكَرَ الرقم سبعة عِنْدَ الحديثِ عَنْ كَلِمَاتِهِ، فَقَالَ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

الرقم سبعة والصدقات

وَرَدَ ذِكْر هَذَا الرَّقَم فِي مضاعفة الأجر من الله تعالى لِمَنْ أَنْفَقَ أَمْوَالَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَقُولُ تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

ورد ذكر الرقم (سبعين)، وهو من مضاعفات السبعة في سورة التوبة في استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال الله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠].

الرقم سبعة والتسبيح

وفي القرآن الكريم سبع سور بَدَأَتْ بِالتَّسْبِيحِ للهِ تَعَالَى، وهي: (الإسراء، الحديد، الحشر، الصف، الجمعة، التغابن، الأعلى):

١ – ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]

٢ – ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١]

٣ – ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١]

٤ – ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الصف:١]

٥ – ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١]

٦ – ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١]

٧ – ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]

إذًا هنالك علاقة بين تسبيح الله والرقم سبعة، ولذلك فقد ارتبط هذا الرقم مع ذكر التسبيح وذكر السموات في قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]

الرقم سبعة وحروف القرآن

لقد اقتضت حكمة البارئ سُبحانه وَتَعَالَى أَنْ ينزل هذا القرآن باللغة العربية، وجعل عدد حروف هذه اللغة ثمانية وعشرين حرفًا؛ أي عددًا من مُضَاعَفَات السبعة: (٤×٧=٢٨).

ونجد في أول سورة من القرآن هذا الرقم، في آيات سورة الفاتحة التي افتتح الله تعالى بها هذا القرآن وجعلها سبع آيات.

وقد خاطب الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدًا عليه الصلاة والسلام، فقال له: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

والسبع المثاني: هي سورة الفاتحة. وهي أَوَّلُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، وهي سبع آيات، وعدد الحروف الأبجدية الَّتِي تَرَكَّبَتْ مِنْهَا هَذِهِ السُّورَة هو (٢١) حرفًا؛ أي عددًا مِنْ مُضَاعَفَاتِ الرَّقَمْ سبعة: (٢١ = ٧ × ٣).

في القرآن الكريم هُنَالِكَ سُور مُمَيَّزَة مَيَّزَهَا اللهُ تَعَالَى عَنْ غيرها، فوضع فِي أَوَائِلِهَا حُرُوفًا مُمَيَّزَة مِثْلَ (الم ــ الر ــ حم ــ يس ــ ق.....) إن عدد هذه الافتتاحيات المميزة – عَدَا المكرر – أربعة عشر؛ أي مِنْ مضاعفات السبعة: (١٤ = ٧ × ٢).

وإِذَا أَحْصَيْنَا الحروف الَّتِي تَرَكَّبَت مِنْهَا هذه الافتتاحيات – عَدَا المكرر –؛ أي: عددنا الحروف الأبجدية التي تركبت منها الافتتاحيات المميزة الأربعة العشر في السور ذات الفواتح، وَجَدْنَا أَيْضًا أربعة عشر حرفًا؛ أي: (١٤ = ٧ × ٢).

هذه الحروف موجودة كلها في سورة الفاتحة.

إذًا عدد الحروف المميزة في سورة السبع المثاني – عدا المكرر – هو (١٤)، وعدد هذه الحروف مع المكرر يصبح (١١٩) حرفًا في هذه السورة، وهذا العدد من مضاعفات السبعة: (١١٩ = ٧ × ١٧).

خلق السموات

هُنَالِكَ عبارات تتحدث عن خلق السموات والأرض في سِتَّةِ أَيَّامٍ، فلو بحثنا في كتاب الله تعالى عن هذه الحقيقة؛ أي حقيقة خلق السموات والأرض في ستة أيام نجدها تتكرر في سبع آيات بالضبط وهي:

١ – ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

٢ – ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

٣ – ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [هود: ٧].

٤ – ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

٥ – ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٣].

٦ – ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

٧ – ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

هَذِهِ العبارات تَكَرَّرَتْ فِي القرآنِ كُلِّهِ سبع مَرَّات بِعَدَدِ السَّمَواتِ السَّبْعِ.

حقيقة السموات السبع

ولو بحثنا في كتاب الله تعالى عن حقيقة السموات السبع نجد أن الرقم سبعة ارتبط بالسموات السبع بالتمام والكمال سبع مرات وذلك في القرآن كله وهذه هي الآيات السبع:

١ – ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

٢ – ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

٣ – ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦]

٤ – ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢]

٥ – ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]

٦ – ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]

٧ – ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٥].

إذًا عدد السموات التي خلقها الله سبع، وجاء ذكرها في القرآن الكريم سبع مرات، فتأمل هذا التناسق، هل جاء بالمصادفة؟!

إن كل هذه التناسقات والحقائق الرقمية التي تَأْتِي دَائِمًا مُتَنَاسِبَة مَعَ الرَّقَمْ سبعة أليست بمثابة إشارات لَنَا كَي نَبْحَثُ عَنْ أَسْرَارِ هَذَا الرَّقَمِ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى؟

الرقم سبعة وسور القرآن

في القرآن الكريم لكلِّ سُورة عدد من الآيات، وقد بحثت عن السور الَّتِي عدد آياتها من مضاعفات السبعة فوجدتها بالضبط (١٤) سورة؛ أي: سبعة في اثنان.

والعجيب أن أول سورة عدد آياتها سبع هي سورة الفاتحة، ورقمها (١) في القرآن، وآخر سورة عدد آياتها سبع هي سورة الماعون ورقمها (١٠٧) في القرآن. وعند ضَمِّ هذين العددين؛ أي (١) و (١٠٧) نحصل على عدد جديد هو (١٠٧١)، وهذا العدد يقبل القسمة على سبعة كيفما قرأناه من اليسار أم من اليمين! لنرى ذلك:

١ – قراءة العدد من اليسار: (١٠٧١ = ٧ × ١٥٣)

٢ – قراءة العدد من اليمين: (١٧٠١ = ٧ × ٢٤٣)

ولو قمنا بعد السور الواقعة بَيْنَ هاتين السورتين؛ أي (الفاتحة، والماعون)؛ لوجدنا (١٠٥) سورة، وهذا العدد من مضاعفات السبعة: (١٠٥ = ٧ × ١٥)

والعجيب أن عدد حروف اسم كل سورة يُسَاوِي سبعة! فعدد حروف كلمة (الفاتحة) سبعة، وعدد حروف كلمة (الماعون) سبعة أيضًا!

تكرار الرقم سبعة في القرآن

إذا فتشنا بين كلمات القرآن ومن خلال المعجم المفهرس لألفاظ القرآن عن الرقم سبعة، فإننا نلاحظ أنَّ الرقم سبعة هو الأكثر تكرارًا بعد الرقم واحد.

فمادة (سَبَعَ) تكررت (٢٨) مرة؛ أي (٧ × ٤) وعلى صيغ متنوعة:

(سبع، سبعًا، سبعة، سبعون...) وفي هذه الفقرة نختار كلمة (سبعة) لنجد أنها تكررت في القرآن كله (٤) مرات في الآيات الآتية:

١ ــ ﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦].

٢ ــ ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

٣ ــ ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢].

٤ ــ ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

إذًا كلمة (سبعة) تكررت في القرآن أربع مرات في الآيات:

البقرة: ١٩٦

الحجر: ٤٤

الكهف: ٢٢

لقمان: ٢٧

إن العدد الذي يمثل أرقام الآيات هو (٢٧٢٢٤٤١٩٦) من مضاعفات السبعة لمرتين، فهو يساوي: (٧ ×٧ × ٥٥٥٦٠٠٤)

إذًا رتب الله تعالى بقدرته وحكمته أرقام هذه الآيات بحَيْثُ تَقْبَل القسمة على سبعة لتكون دليلا ماديًا على أنَّ كل شيء في هذا القرآن مُحكم: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

في الآيات الأربعة السابقة آيتان تحدثت الأولى عن عذاب الله وتحدثت الثانية عن كلمات الله؛ وهما:

١ ــ ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحجر: ٤٤].

٢ ــ ﴿مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧].

وقد جاءت أرقام هاتين الآيتين: (٤٤ ــ ٢٧) لتشكل عددًا من مضاعفات السبعة ثلاث مرات!

(٢٧٤٤ = ٧ × ٧ × ٧ × ٨)

هنالك شيء آخر وهو أن رقم أول آية من الآيات الأربعة هو (١٩٦) وهذا العدد من مضاعفات السبعة مرتين: (١٩٦ = ٧ × ٧ × ٤)

والآيات الثلاث الباقية وهي:

(٤٤ - ٢٢ - ٢٧) تشكل عددًا من مضاعفات السبعة لمرتين أيضًا:

(٢٧٢٢٤٤ = ٧ × ٧ × ٥٥٥٦)

وناتج القسمة (٥٥٥٦) مجموع أرقامه يُعْطِي عَدَدًا مِنْ مُضَاعَفَاتِ السَّبْعَةِ!

(٦ + ٥ + ٥ + ٥ = ٢١ = ٧ × ٣)

هُنَالك شيء آخر، وهو أنَّ كَلِمَة (سبعة) وَرَدَتْ فِي أَرْبَعِ سور عدد آيات كل سورة هو:

البقرة: ٢٨٦

الحجر: ٩٩

الكهف: ١١٠

لقمان: ٣٤

العدد الناتج من صف هذه الأرقام يقبل القسمة على سبعة:

(٤٨٧٢٩٩٨٩٨ = ٧ × ٣٤١١٠٩٩٢٨٦)

في هذه الآيات الأربعة دلالات محددة. فهنالك آيتان تتحدثان عن أشياء تَخُصُّ البَشَر وَهُمَا:

١ ــ ﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢].

٢ – ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ١٨].

هاتان الآيتان وَرَدَتَا فِي السُّورَتَيْنِ ذَوَاتَي الترتيب (٢ - ١٨) وعند صف هذين الرقمين نَحْصُلُ عَلَى العدد (١٨٢) من مضاعفات السبعة: (١٨٢ = ٧ × ٢٦)

أَمَّا الآيتان الباقيتان، فتتحدثان عن أشياء خاصة بالله تعالى:

١ ـــ ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحجر: ١٥].

٢ ـــ ﴿مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٣١].

وأرقام السورتين حيث وردت هاتين الآيتين هو: (١٥ - ٣١) هذه الأرقام تشكل عددًا من مضاعفات السبعة: (٣١١٥ = ٧ × ٤٤٥)

الرقم سبعة: أول مرة وآخر مرة

لقد ورد ذكر الرقم (٧) في القرآن الكريم لأول مرة فِي سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩].

وآخر مرة ورد ذكر هذا الرقم في القرآن في سورة النبأ من قوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢].

والآن إلى الحقائق التالية حول هاتين الآيتين:

الحقيقة الأولى:

عدد السور من سورة البقرة وحتى سورة النبأ هو (٧٧) سورة، وهذا الرقم من مضاعفات السبعة: (٧٧ = ٧ × ١١)

إن عدد الآيات من الآية الأولى وحتى الأخيرة حيث ورد الرقم سبعة هو (٥٦٤٩) من مضاعفات السبعة أيضًا: (٥٦٤٩ = ٧ × ٨٠٧)

الحقيقة الثانية:

من بداية سورة البقرة وحتى نهاية سورة النبأ يوجد بالضبط (٥٧٠٥) آية، وهذا العدد من مضاعفات السبعة: (٥٧٠٥ = ٧ × ٨١٥)

إذًا عدد السور جاءَ مِنْ مُضَاعَفَاتِ السبعة، وعدد الآيات جاء من مضاعفات السبعة أيضًا، والحديث في الآيتين عن الرقم سبعة.

الحقيقة الثالثة:

إن عدد الآيات من بداية القرآن، وحتى الآية حيث ذكر الرقم (٧)؛ لأول مرة يساوي (٣٥) آية، وهذا العدد من مضاعفات السبعة: (٣٥ = ٧ × ٥)

كذلك عدد الآيات من بداية القرآن، وحتى آخر مرة ورد فيها هذا الرقم هو: (٥٦٨٤)، وهذا العدد من مضاعفات السبعة لمرتين: (٥٦٨٤ = ٧ × ٧ × ١١٦)

الحقيقة الرابعة:

إن عدد الآيات من بداية سورة البقرة وحتى الآية حيث وَرَدَ الرَّقَم (٧) لأوَّلِ مَرَّة هُو (٢٨) آية؛ أي: (٢٨ = ٧ × ٤)

أَمَّا آخر مَرَّة وَرَدَ هَذَا الرقم كَمَا رَأَيْنَا فِي سُورَةِ النَّبَأِ، يُوجد بعد هذه الآية لنهاية سورة النبأ (٢٨) آية بالضبط؛ أي (٧ × ٤).

الحقيقة الخامسة:

ما هو عدد الآيات من بداية القرآن، وحتى نهاية سورة النبأ؟

يوجد من بداية القرآن، وحتى نهاية سورة النبأ حيث ذكر الرقم (٧) آخر مرة، عدد الآيات هو (٥٧١٢)، وهذا العدد من مضاعفات السبعة: (٥٧١٢ = ٧ × ٨١٦).

كَمَا تَجْدُرُ الإِشَارَةُ إِلَى أنَّ عَدَد حروف كلمة (البقرة) هو (٦) حروف، وعدد حروف كلمة (النبأ) هو (٥) حروف، وبصف هذين الرقمين يتشكل العدد (٥٦) من مضاعفات السبعة: (٥٦ = ٧ × ٨)

أما الرقم (٧)، فقد وَرَدَ أَوَّل مرة فِي القرآن بالصيغة الآتية (سبع) عدد حروف هذه الكلمة (٣) أحرف، وآخر مرة وَرَدَ هذا الرقم في القرآن بالصيغة الآتية (سبعًا)، وعدد حروف هذه الكلمة هو (٤) حروف، إن مجموع هذين الرقمين هو سبعة: (٣ + ٤ = ٧)

بَقِيَ أَنْ نُشِيرُ إِلَى أَنَّ عِبَارة (سبع سموات) وعبارة (السموات السبع) تكررتا في القرآن الكريم سبع مرات بعدد السموات السبع.

وأن كلمة (جهنم) تكررت في القرآن (٧٧) مرة، وهذا العدد يساوي: (١١×٧=٧٧)

ولا ننسى بأن الله تعالى قد جعل لجهنم سبعة أبواب، وقال: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٣-٤٤].

وأن كلمة (القيامة) تكررت في القرآن كله (٧٠) مرة من مضاعفات الرقم سبعة: (٧٠ = ٧ × ١٠).

الذرة في القرآن

وردت الذرة في القرآن الكريم ست مرات في الآيات التالية:

١ ـــ ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]

٢ ـــ ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

٣ ـــ ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

٤ ـــ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢].

٥ ـــ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

٦ ـــ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨].

نلاحظ أن كلمة (ذرة) قد تكررت ست مرات في أربع سور من القرآن. تُوجد مجموعة من الحقائق الرقمية لتوافق أرقام هذه السور الأربعة مع الرقم سبعة، وقبل عرض هذه الحقائق يجب أن نتذكر بأن الذرة تتألف من سبع طبقات!

أول مرة وردت كلمة (ذرة) في القرآن في سور النساء التي رقمها (٤) في المصحف، وآخر مرة ذكرت كلمة (ذرة) في سورة الزلزلة رقمها (٩٩). وعند صفِّ هذين الرقمين: (٤) و (٩٩)، يتشكل العدد (٩٩٤)، وهو من مضاعفات السبعة: (٩٩٤= ٧ × ١٤٢).

إن أرقام الآيتين أيضًا تُشَكِّلُ عددًا من مضاعفات السبعة. فرقم الآية الأولى حيث وردت كلمة (ذرة) هو (٤٠)، ورقم الآية حيث وردت هذه الكلمة لآخر مرة في القرآن هو (٨) وعند صفّ هذين الرقمين يتشكل العدد (٨٤٠) وهو من مضاعفات السبعة: (٨٤٠ = ٧ × ١٢٠)

إن مجموع أرقام السور الأربعة أيضًا من مضاعفات السبعة لمرتين: (٤ + ١٠ + ٣٤ + ٩٩ = ١٤٧ = ٧ × ٧ × ٣)

من الملاحظ أَنَّ هنالك سور وَرَدَتْ فِيهَا كَلِمَة (ذرة) مرتين وسور وردت فيها هذه الكلمة مرة واحدة، فهل من نظام محكم؟

في سورة النساء ويونس وردت كلمة (ذرة) مَرَّة، وَفِي سُورَتَي سبأ والزلزلة وردت كلمة (ذرة) مرتين، وإلى الحقائق الآتية:

١ – مجموع أرقام سورتي النساء، ويونس هو عدد من مضاعفات السبعة: (٤ + ١٠ = ١٤ = ٧ × ٢).

٢ – مجموع أرقام سورتي سبأ والزلزلة أيضًا من مضاعفات السبعة: (٣٤ + ٩٩ = ١٣٣ = ٧ × ١٩)

٣ – مجموع ناتجي القسمة فِي الحالتين هو: (٢ + ١٩ = ٢١ = ٧ × ٣)

٤ – إذا عبرنا عن كل سورة من هذه السور الأربع برقم السورة وعدد مرات تكرار كلمة (ذرة) فيها نجد:

النساء: ٤ /١

يونس: ١٠ /١

سبأ: ٣٤ / ٢

الزلزلة: ٩٩ / ٢

عِنْدَ صَفِّ هذه الأرقام يتشكل العدد (٢٩٩٢٣٤١١٠١٤)، وهو مِنْ مُضَاعَفَاتِ السبعة، فَهُو يُسَاوِي: = (٧ × ٤٢٧٤٧٧٣٠٠٢)

وهكذا لو أبحرنا في أي كلمة من كلمات كتاب الله عز وجل لرأينا عجائب لا تنتهي. وصدق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عندما قال: " وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ " [رواه الترمذي].

ولا نعجب إِذَا عَلِمْنَا أَنَّهُ فِي كُلِّ آيَةٍ بَلْ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْ كِتَابِ الله تعالى معجزة مبهرة ونظام محكم يَدُلُّ على عظمة الخالق تبارك وتعالى.

خاتمة

رأينا من خلال الصفحات السابقة بعض أسرار الرقم سبعة، فهو رقم جدير بالاهتمام والدراسة. ونحب أن نشير إلى أن القرآن مليء وملييء بالحقائق الرقمية التي تُؤكد وجود نِظُام سُباعي يشمل سور وآيات وكلمات وحروف القرآن العظيم. ولا نبالغ إذا قلنا: في كل حرف من حروف القرآن معجزة تستحق التدبر والتبصر.

وتأمل معي هذا النداء الإلهي الخالد: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

obeikandl.com

ترجمة المؤلف

(..- بعد ٩٦٦ هـ =..- بعد ١٥٥٩ م)

اسمه ونسبه:

هو عين القضاة محمد بن عبد الرحمن الهمذاني، أبو نصر.

الهمذاني: نسبة إلى همذان مدينة تاريخية قديمة، ومن أهم مدن الإسلام في إيران. فتحها المسلمون عام ٢٣ هـ في خلافة عمر بن الخطاب بقيادة المغيرة بن شعبة، وقيل: جرير بن عبدالله البجلي. وينطقها البعض همدان، وكانت قبل الإسلام في يد الإمبراطورية الفارسية، وكانت تسمى إكباتانا في عصر الميديين الذين اتخذوا منها عاصمة لملكهم وإمبراطوريتهم الشهيرة بالميديا.

إلى همذان ينتسب بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات الأدبية المعروفة (ت ٣٩٨هـ)، وابن خالويه الإمام النحوي اللغوي والمقرئ والمفسر (ت ٣٧٠هـ)، وغيرهما.

مؤلفاته:

١- كتاب "السبعيات في مواعظ البريات". وهو الكتاب الذي بين أيدينا.

وتمت ترجمته للتركية لمحمد الهلالي القاضي وسماه: " مجلس آرا ".

٢- ورسائل، منها "زبدة الحقائقط بالعربية والفارسية.

وفاته:

لم تحدد المصادر تاريخ وفاته ولكن الأعم أنه كان موجودا حتى عام ٩٦٦ هـ.

مصادر الترجمة:

١- الأزهرية ٣: ٧٠٨ و ٧: ٤٩٨ وفيه: (كان موجودا سنة ٩٦٦).

٢- وكشف الظنون ٩٥١، ٩٧٧ و ٥٤٣: ٢.

٣- الأعلام ٦:١٩٥.

وصف النسخ الخطية

اعتمدنا في تحقيقنا لهذا الكتاب على نسختين خطيتين:

١- النسخة الأولى محفوظة في المكتبة الأزهرية، محفوظة برقم (٣١٩٢٥٣)، وتقع في (٤٩) لوحة، وعدد الأسطر في الصفحة (٢٠) سطرًا.

٢- والنسخة الثانية محفوظة في مخطوطات القرويين، تحت قسم الوعظ والإرشاد، برقم (١٣٥٩)، تبدأ بـ(الحمد لله الملك الجبار العزيز الغفار). وتقع في (٤٥) لوحة. وعدد الأسطر في الصفحة (١٩) سطرًا.

مقاس الورق: (١٨ سم / ١٤ سم) بخط ملون. تحبيس المولى محمد بن عبد الله العلوي سنة ١٢٠٤ هـ.

منهج التحقيق

سار عملنا في هذا الكتاب وفق المنهج التالي:

١- نسخ المخطوط من نسخة المكتبة الأزهرية نسخا علميا دقيقا.

٢- مقابلة النص على نسخة مخطوطات القرويين، وقد تمت الاستفادة منها كثيرا.

٣- تخريج الآيات القرآنية وفق مواضعها من المصحف الشريف.

٤- تخريج الأحاديث الشريفة من مواضعها في كتب الحديث.

٥- التعليق على المواضع التي تحتاج زيادة إيضاح، أو بسط مسألة، أو بيان مشكل.

٦- ترقيم النص حسب قواعد الترقيم الحديثة.

٧- صنع مقدمة حول أسرار الرقم سبعة، مع ترجمة للمؤلف.

٨- عمل فهارس تفصيلية لأبواب الكتاب.

وأخيرًا فهذا هو جهد المقل، والمرجو ممن يطلع على كتابنا فيجد فيه عيبًا أن يبادرنا بالنصيحة، والتصويب، فكل معرض للخطأ، ولا كمال إلا لله سبحانه وتعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

المحقق

obeikandl.com

صور النسخ الخطية

بسم الله الرحمن الرحيم ونستعين

الحمد لله الملك الجبار العزيز الغفار الواحد القهار والصلاة على سيدنا المختار محمد سيد الابرار وعلى آله واصحابه المصطفين الاخيار وسلم تسليما قال الشيخ الامام ابو نصر محمد بن عبد الرحمن الاسدآبادي اعلم ان خالق الباري جلت قدرته وعلت كلمته ونوالت آلاؤه وتتابعت نعماؤه زين الاشياء السبعة بالاشياء السبعة ثم زين تلك السبعة بالسبعة الاخرى ليعلم العالمين ان الاعداد السبعة عند ملك الضر والنفع خطرا عظيما ومحلا جسيما اما الاول زين الهوى بسبعة السموات فقوله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا ثم زينها بسبع نجوم فقوله تعالى وزينا ها للناظرين والعالمين زين الغضاء بسبع الارضين فقوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن ثم زينها بسبعة ابحر فقوله تعالى والبحر يمده من بعده سبعة ابحر وما نفدت زين الماء بسبع دركات الاقدام جهنم ثم سقر ثم الجحيم ثم حطمة ثم لظى ثم هاوية زينها بسبعة ابواب فقوله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم الآية زين القرآن بسبعة اجزاء ثم زينها بسبع آيات فاتحة الكتاب فقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم والطف زين نفس آدميين بالاعضاء السبعة اليدين والرجلين والركبتين والوجه ثم زينها بسبع عبادات اليدين بالقوة والرجلين بالخدمة والركبتين بالعقدة والوجه بالسجدة فقوله تعالى واسجد واقترب والساكنين من الآدميين بالاحوال السبعة في ابتداء حاله رضيع ثم فطيم ثم صبي ثم غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ ثم زين

صور النسخ الخطية

صور النسخ الخطية

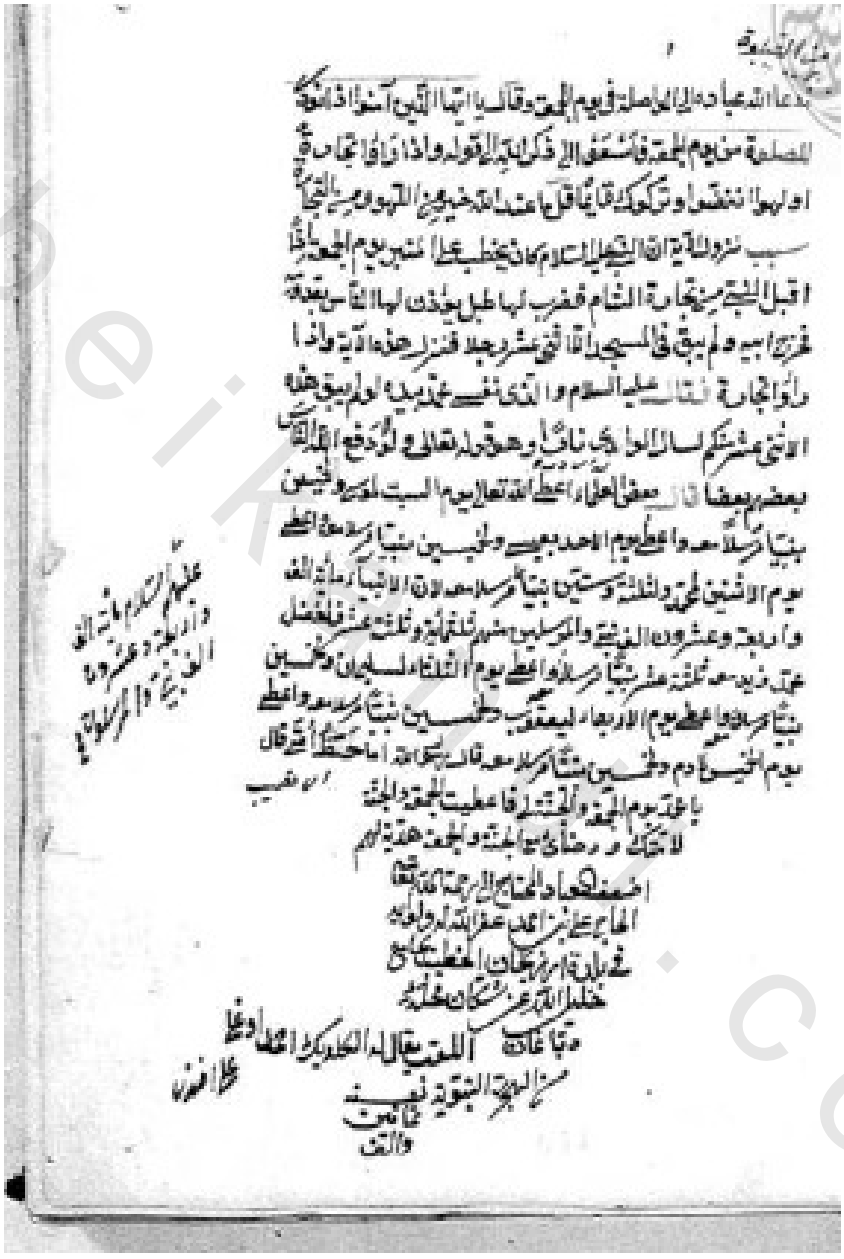

صور النسخ الخطية

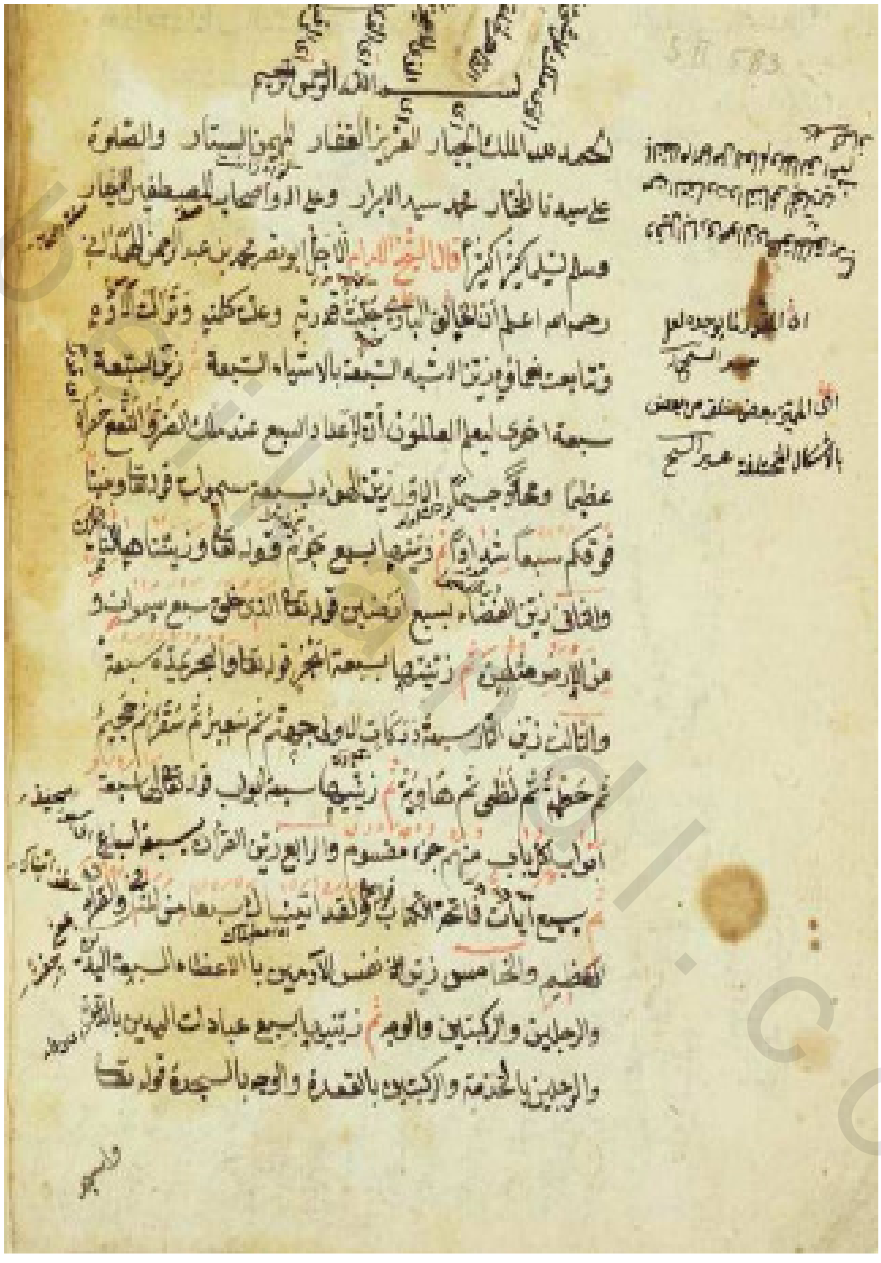

صور النسخ الخطية

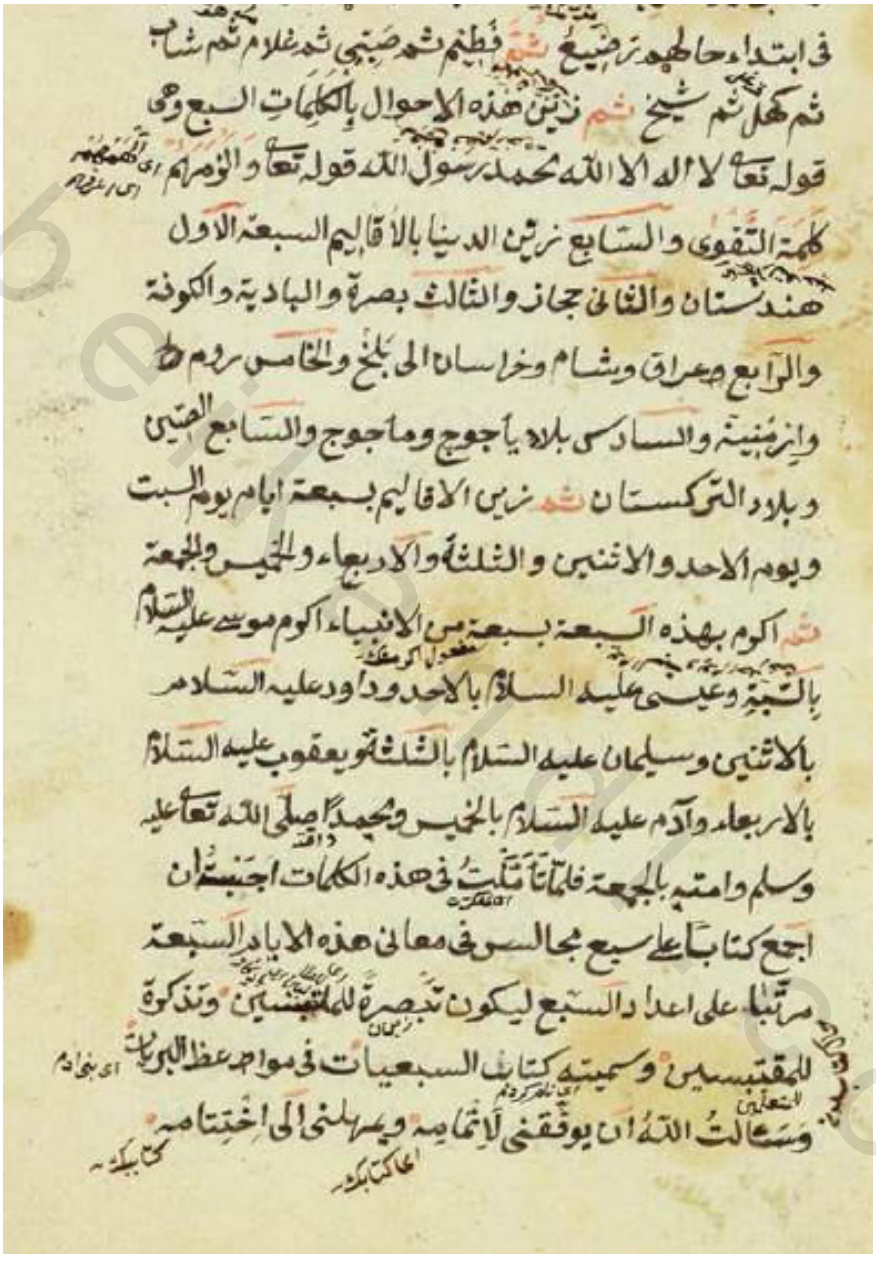

صور النسخ الخطية

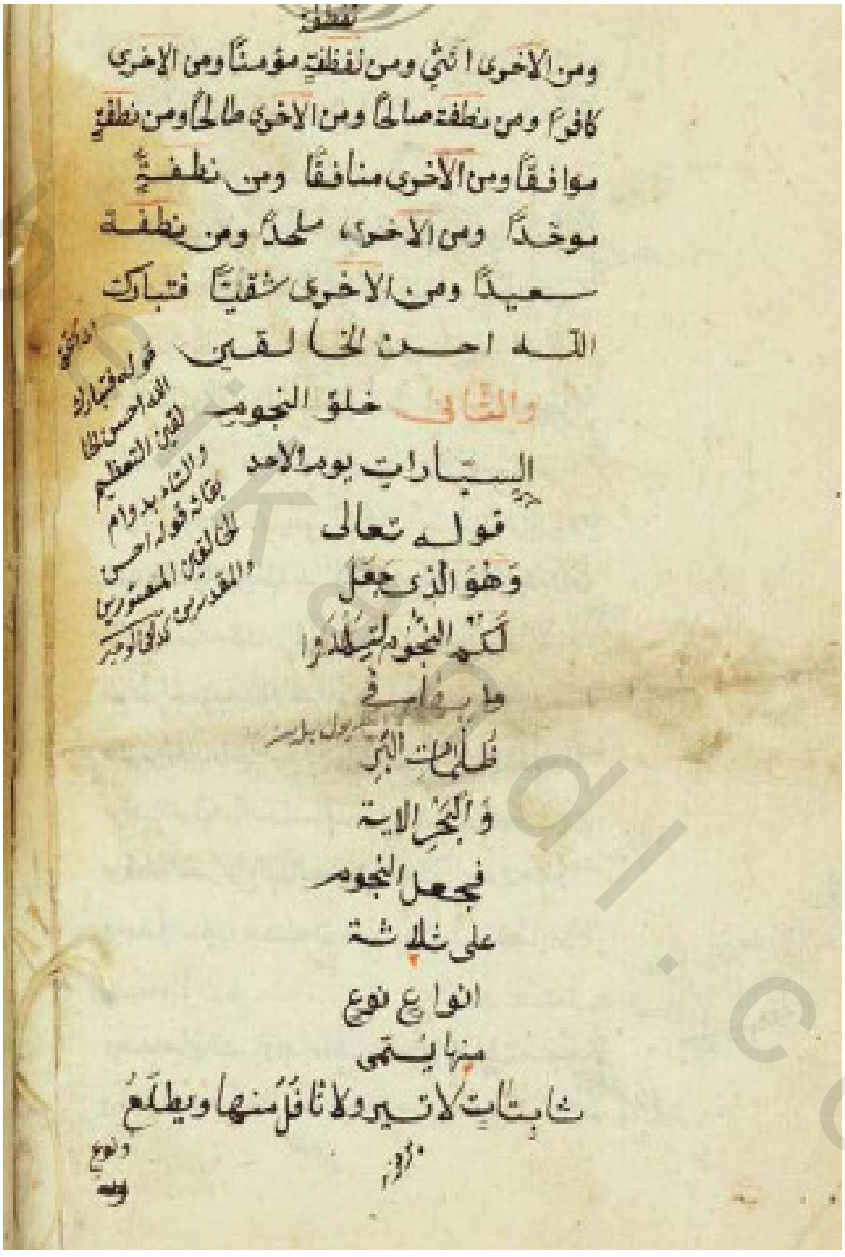

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمدُ للهِ الملك الجبَّار، العزيز الغفَّار، الواحد القهَّار، المهيمن الستَّار، والصلاة على سيدنا المختار، مُحَمَّد سيد الأبرار، وعلى آله وأصحابه المصطفين الأخيار، وسلم تسليمًا.

قال الشيخ الإمام الأجلّ أبو نصر مُحَمَّد بن عبد الرَّحمن الهمذانيّ رحمة الله عليه:

اعلم أن الخالق البارئ، جَلَّت قدرته، وعَلَتْ كلمته، وتوالت آلاؤه، وتتابعت نعماؤه، زيَّن الأشياء السبعة بالأشياء السبعة، ثم زيَّن السبعة بسبعة أخرى؛ ليعلم العالمون أن للأعداد السبع عند مالك الضر والنفع خطرًا عظيمًا، ومحلا جسيمًا:

الأول: زين الهواء بسبع سموات؛ قوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾[(١)] [النبأ:١٢]، ثم زينَّها بسبع نجوم؛ قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦].

والثاني: زين الفضاء – أي: الصحراء – بسبع أرضين؛ قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، ثم زينَّها بسبعة أبحُر؛ قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧].

والثالث: زيَّن النار بسبع دَرَكاتٍ[(٢)]؛ الأولى جهنَّم، ثمَّ السعير، ثم سَقَر، ثمَّ الجحيم، ثمَّ الحُطَمَة، ثمَّ لَظَى، ثم الهَاوِيَة. وزيَّنَهَا بسبعة أبواب؛ قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤] الآية.

---

(١) أي: سبع سموات، قوية الخلق، محكمة البناء، لا يؤثّر فيها مرّ الدهور، ولا المرور والكرور. والتعبير عنها بالبناء مبني على تنزيلها منزلة القبة المضروبة على الخلق، وهو يؤيد كونها الأفلاك المحيطة. [البحر المديد ٤٨٧/٦]

(٢) قال ابن عباس: الدرك لأهل النار كالدرج لأهل الجنة، إلا أنّ الدرجات بعضها فوق بعض، والدركات بعضها أسفل من بعض انتهى.

وقال أبو عبيدة: الدركات الطبقات: وأصلها من الإدراك أي: هي متداركة متلاحقة.

وقال ابن مسعود وأبو هريرة: هي من توابيت من حديد متعلقة في قعر جهنم، والنار سبع دركات، قيل: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. وقد تسمى جميعها باسم الطبقة الأولى، وبعض الطبقات باسم بعض، لأن لفظ النار يجمعها. [البحر المحيط ٣١٤/٤]

والرابع: زيَّن القُرآن بسبعة أسباع، ثمَّ زيَّنها بسبع آيات فاتحة الكتاب؛ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

والخامس: زيَّن الآدميين بالأعضاء السبعة؛ اليدين، والرجلين، والركبتين، والوجه. ثم زَيَّنَهَا بسبع عبادات: اليدين بالدعوة، والرجلين بالخدمة، والركبتين بالقعدة، والوجه بالسجدة؛ قوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩].

والسادس: زيَّن عُمر الآدميين بالأحوال السبعة في ابتداء الحالة؛ رضيع، ثم فطيم، ثم صَبِي، ثم غُلام، ثم شاب، ثم كَهْل، ثم شَيْخ. ثم زيَّن هذه الأحوال بالكلمات السبع؛ وهي قول: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)؛ قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦].

السابع: زيَّن الدُّنْيَا بالأقاليم السَّبعة؛ الأول: هندستان، والثاني: الحجاز، والثالث: البصرة والبادية والكوفة، والرابع: العراق والشام وخُرَاسَان إلى بلخ، الخامس: الروم والأرمينية، والسادس: بلاد يأجوج ومأجوج، والسابع: الصين وبلاد تركستان. ثم زيَّن الأقاليم السبعة بالسبعة أيام: السبت، والأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة. ثم أكرم بهذه الأيام السبعة سبعة من الأنبياء؛ أكرم موسى عليه السلام بالسبت، وعيسى ابن مريم عليه السلام بالأحد، وداودَ عليه السلام بالاثنين، وسليمانَ عليه السلام بالثلاثاء، ويعقوبَ عليه السلام بالأربعاء، وآدمَ عليه السلام بالخميس، ومحمدًا صلى الله عليه وسلم وأمتَهُ بالجمعة.

فلمَّا تأمَّلت في هذه الكلمات، أحببت أن أجمع كتابًا يحتوي على سبعة مجالس في علم معاني هذه الأيام، مُرَتِّبًا على الأعداد السبع؛ ليكون تبصرةً للملتمسين، وتذكرةً للمقتسمين؛ وسميته: كتاب " **السبعيات في مواعظ البريات** "، وسألت الله تعالى أن يوفقني لإتمامه، ويُمْهِلَنِي لاختتامه، إنه خير مسئول، وأكرم مأمول، وله الطَّول والمنة، ومنه الحول والقوة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الْمَجْلِسُ الأوَّل: فِي يَوْمِ السَّبْتِ

قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ [الأعراف: ١٦٣] الآية.

– عن مسلم بن عبد الله، عن سعيد بن جُبَيْر، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلم عن الأيام السبعة، فقال: " يوم السبت يوم مكر وخديعة "[1]، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: " مكرت قريش في دار الندوة، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٣٠] الآية ".

بساط المجلس: اعلم أن صاحب البراق، وسيد يوم الميثاق، ورسول الملك الخلاق، لم يسَمِّ يومَ السبت: يوم مكر وخديعة، وإنما سمَّاه: يوم المكر[2] والخديعة؛ لأن سبعة نفرٍ مكروا في هذا اليوم بسبعة نفرٍ:

الأول: قوم نُوح عليه السلام مكروا بنوح؛ قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾[1] [نوح: ٢٢] الآية؛ فاستحقوا الطوفان والمحنة؛ قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ [القمر: ١١] الآية.

---

(١) أخرجه تمام الرازي في الفوائد (٢/١٠٥، رقم ٦٠٦).

(٢) المكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة، وذلك ضربان: مكر محمود، وذلك أن يتحرى بذلك فعل جميل، وعلى ذلك قال: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران:٥٤]. ومذموم، وهو أن يتحرى به فعل قبيح، قال تعالى: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر:٤٣]، ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال:٣٠]، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ [النمل:٥١]. وقال في الأمرين: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ [النمل:٥٠] وقال بعضهم: من مكر الله إمهال العبد وتمكينه من أعراض الدنيا، ولذلك قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: من وسع عليه دنياه و لم يعلم أنه مكر به فهو مخدوع عن عقله. [انظر: البصائر ٤/٥١٦؛ وتفسير الراغب ورقة ١٣٩].

والثاني: قوم صالح عليه السلام مكروا بصالح؛ قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[٢] [النمل: ٥٠]، فاستحقوا الهلاك والتدمير؛ قوله تعالى: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ أي: أهلكناهم ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٥١].

والثالث: إخوة يُوسف عليه السلام مكروا بيوسف؛ قوله تعالى: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾[٣] [يوسف: ٥] - أي: يحتالوا في هلاكك حسدًا لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب، والشمس أمك، والقمر أبوك -، فاستحقوا الملامة؛ قوله تعالى: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٩] الآية.

والرابع: قوم موسى عليه السلام مكروا بموسى؛ قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾[٤] [طه: ٦٤] الآية، فاستحقوا الهَوَان والمذلة؛ قوله تعالى: ﴿وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٩].

=

(١) أي: كبيراً، يقال كُبَّارٌ وكُبَّارٌ بمعنى كبير، كما يقال: " أمر عجيب "، وعُجاب بمعنى واحد. ورجل حُسَانٌ وحُسَّان بمعنى. وجَمَال وجُمَّال بمعنى جميل. قال مجاهد: ﴿كُبَّاراً﴾ " عظيماً ". [الهداية إلى بلوغ النهاية ٧٧٤٣/١٢]

(٢) سمَّى الله تآمرهم مكراً لأنه كان تدبير ضُرّ في خفاءٍ. وأكد مكرهم بالمفعول المطلق للدلالة على قوته في جنس المكر، وتنوينه للتعظيم.

والمكر الذي أسند إلى اسم الجلالة مكر مجازي. استعير لفظ المكر لمبادرة الله إياهم باستئصالهم قبل أن يتمكنوا من تبييت صالح وأهله، وتأخيره استئصالهم إلى الوقت الذي تآمروا فيه على قتل صالح لشَبَه فِعلِ الله ذلك بفعل الماكر في تأجيل فعل إلى وقت الحاجة، مع عدم إشعار من يُفعل به.

وأُكد مكر الله وعُظّم كما أكد مكرهم وعُظّم، وذلك بما يناسب جنسه، فإن عذاب الله لا يدانيه عذاب الناس فعظيمه أعظم من كل ما يقدره الناس. [التحرير والتنوير ٢٨٤/١٩]

(٣) الكيد من الخلق: الحيلة، ومن الله تعالى التدبير بالحق. وقيل: كدنا: ألهمنا. وقيل: دبَّرنا. وقيل: أردنا. ومعناه: صنعنا ليوسف حتى ضم أخاه إلى نفسه، وحال بينه وبين إخوته. [تفسير البغوي ٢٦٢/٤]

(٤) قرأ أبو عمرو بوصل الألف وفتح الميم من أجمعوا يعني لا تدعوا شيئاً من كيدهم إلا جئتم به دليله قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ وقرأ الباقون بقطع الألف وكسر الميم وله وجهان: أحدهما: قال الفراء: الإجماع الأحكام والعزيمة على الشيء، يقال: أجمعت على الخروج مثل أزمعت. والثاني: بمعنى الجمع. [تفسير الرازي ٧١/٢٢]

والخامس: قوم عيسى عليه السلام مكروا بعيسى؛ قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، فاستحقوا الطَّرد والإهانة؛ قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: ٧٨] الآية.

والسادس: صَنَادِيد قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٣٠] الآية، فاستحقوا العذاب والعقوبة؛ قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ﴾ أي: قبل ﴿الْعَذَابِ الأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١]؛ عذاب القبر وبعده عذاب النار في يوم القيامة.

والسابع: بنو إسرائيل مكروا بنهي الله تعالى، قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ وهي أيلة ﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ﴾ أي: مجاورة ﴿الْبَحْرِ﴾ بحر القلزم ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ أي: يعتدون ﴿فِي السَّبْتِ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، فاستحقوا المسخ واللعنة؛ قوله تعالى: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾[1] [النساء: ٤٧] الآية.

---

(١) قال مقاتل وغيره: نمسخهم قردة كما فعلنا ذلك بأوائلهم. وقال أكثر المحققين: الأظهر حمل الآية على اللعن المتعارف، ألا ترى الى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرّ مّن ذلك مَثُوبَةً عِندَ الله مَن لَّعَنَهُ الله وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ القردة والخنازير﴾ [المائدة: ٦٠] ففصل تعالى ههنا بين اللعن وبين مسخهم قردة وخنازير، وههنا سؤالات:

السؤال الأول: الى من يرجع الضمير في قوله: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾.

الجواب: الى الوجوه إن أريد الوجهاء أو لأصحاب الوجوه، لأن المعنى من قبل أن نطمس وجوه قوم، أو يرجع الى الذين أوتوا على طريقة الالتفات.

السؤال الثاني: قد كان اللعن والطمس حاصلين قبل الوعيد على الفعل فلا بد وأن يتحدا.

والجواب: أن لعنه تعالى لهم من بعد هذا الوعيد يكون أزيد تأثيرا في الخزي فيصح ذلك فيه. [تفسير الرازي ٢٢٦/٥]

أما الأول؛ مكر قوم نوح بنوح عليه السلام

وأرادوا هلاكه، فأهلكهم الله أجمعين؛ أخرج الله تعالى من الأرض ماءً حارًّا، وأنزل من السماء ماءً باردًا، وأظهر من بينهم طوفانًا مُبيدًا؛ فأهلك عدوه، وأنجى حبيبَه؛ قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ أي: المملوء [الشعراء: ١١٩] الآية[(١)].

والإشارة فيه: كان الله تعالى يقول: عبدي؛ إذا أردت أن أنقذك من يد الشيطان، وأُنجيك من الغَرَق في بحر العِصْيَان؛ فأظهر من عينَيْك النَّظر إليَّ بالعبرة، ومن أذنيك باستماع العلم والحكمة، ومن لسانك الإقرار بالتوحيد والشهادة، ومن رجليك المشي إلى الصلاة بالجماعة، ومن سائر أعضائك أنواع الطاعة والعبادة، ومن قلبك التوبة والنَّدامة، فأنجيك من سجن الحسرة والنَّدَامة، وأكرمك بدار الكرامة والسلامة، اقرأ يا سيد القراء: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: ٢٢]؛ يقول الله تعالى: مكر قوم نوح وأرادوا إخراج نوح عليه السلام من بينهم، ومكرنا نحن وأخرجناهم من وجه الأرض؛ ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾[(٢)] [القمر: ١١]، فأمطرت السماء، وفجرنا الأرض عيونًا. قال: إذا كان يوم القيامة يقول الله عزَّ وجل: يا إسرافيل؛ انفخ في الصور، يا أهل القبور؛ اخرجوا ليوم النشور، والسماء تنفطر، والكواكب تنتثر، والشمس تُكَوَّر، والجبال تُسَيَّر، كما قال الله

---

(١) قال الزمخشري: الفُلك: السفينة، واحدها: فُلْك، قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الفلك مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ [النحل: ١٤] فالواحد بوزن (قُفْل) والجمع بوزن (أَسْد) وَالمَشْحُون: المَمْلُوء المُوقَر، يقال: شَحَنَها عليهم خَيْلا ورجَالا أي ملأها والشَّحْنَاء: العداوة لأنهما تملأ الصدور إحناً. والفُلْك هنا مفرد بدليل وصفه بالمرفد، وقد تقدم الكلام عليه في البقرة. [اللباب في علوم الكتاب ٢٥٩/١٢]

(٢) قال الماوردي: فيه وجهان:

أحدهما: أن المنهمر الكثير، قاله السدي، قال الشاعر:

أعيني جودا بالدموع الهوامر ... على خير باد من معد وحاضر

الثاني: أنه المنصب المتدفق، قاله المبرد، ومنه قول امرىء القيس:

راح تمريه الصبا ثم انتحى ... فيه شؤبوب جنوب منهمر

وفي فتح أبواب السماء قولان:

أحدهما: أنه فتح رتاجها وسعة مسالكها.

الثاني: أنها المجرة وهي شرج السماء ومنها فتحت بماء منهمر، قاله علي. [النكت والعيون ١٩٩/٤]

تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ١ - ٢]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ١ - ٢].

رجعنا إلى القصة: فلمَّا حان وقت الطوفان، جاء جبريل عليه السلام، علمه نحت ألواح السَّفِينَة، وأخبره أنَّ الله تعالى يأمره أن يتَّخِذ سفينة؛ قال الله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[1] [هود: ٣٧]، قال نوح عليه السلام: كيف أصنع الفلك؟ قال: انحت مائة ألف وأربعة وعشرين ألفًا من الألواح، باسم كل نبي لوحٍ، قال نوح عليه السلام: إني لا أعلم أسماء جميع الأنبياء. فأوحى الله تعالى: يا نوح؛ نحت الألواح منك، وإظهار أسماء الأنبياء منِّي، فَنَحَتَ اللَّوح الأول، فظهر عليه اسم آدم عليه السلام، وظهر على الثاني اسم شيث عليه السلام، وظهر على الثالث اسم إدريس عليه السلام، وظهر على الرابع اسم نوح عليه السلام، فكان كلما نَحَتَ لوحًا من الألواح، يظهر عليه مكتوبًا اسم نبي من الأنبياء، حتى ظهر في آخر الكل اسم مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، وهو خاتم الأنبياء، وزَيْن الأصفياء، وسراج الأولياء، ثم أمر الله تعالى أن يتخذ بعدد ألواح السفينة دُسُرًا، كل دسار باسم نبي من الأنبياء، فكان نوح عليه السلام يتخذ الدُّسر ويضمُّ الألواح بعضها إلى بعض، ويمر به الكفار ويسخرون به، كما قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ أي: السفينة ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ﴾ أي: جماعة ﴿مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ أي: استهزءوا منه [هود:٣٨] الآية.

وفي الخبر: أن نوحًا عليه السلام ضمَّ ألواح السفينة، فاحتاج إلى أربعة ألواح حتى تتمَّ السفينة، فهبط الأمين جبريل عليه السلام وقال: يا نوح؛ يقول لك الله عز وجل: انحت أربعة ألواح، وأخرج كل لوح باسم صاحب من أصحاب حبيبي وصفوتي وخيرتي من خلقي مُحَمَّد صَلَّى الله عليه وسلم؛ لأنَّ منزلة أصحابه عندي كمنزلة الأنبياء.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ الظَّاهر أنه أمر إيجاب؛ لأنَّه لا سبيل إلى صون روح نفسه، وأرواح غيره من الهلاكِ إلا بهذا الطريق، وصون النَّفْسِ من الهلاك واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجبٌ، ويحتملُ أن يكون أمر إباحةٍ، وهو بمنزلة أن يتخذ الإنسانُ لنفسه داراً يسكنها، أو يكون ذلك تعليماً له ولمن بعده كيفية عمل السفينة، ولا يكونُ ذلك من باب ما لا يتمُّ الواجب إلا به، فإنَّ الله - تبارك وتعالى - خلَّص موسى وقومه من الطُّوفان من غير سفينةٍ، وكان ذلك معجزة له. [اللباب في علوم الكتاب ٩٨/٩]

والإشارة فيه: كأن الله يقول: لما أظهرت اسم حبيبي وأصحابه على ألواح السفينة، أنجيتُ أهلها من الطوفان والغرق، ولما أظهر الله تعالى حبَّ المصطفى وأصحابه في قلوب الموحدين؛ أنجاهم من العذاب والحرق.

وفي الخبر: قيل لعبد الله بن عباس رضي الله عنه: علِّمنا عملا ننجو به من النار، وندخل به دار القرار، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: (عليكم بملازمة خمسة عشر شيئًا؛ خمسة منها بلسانكم، وخمسة منها بجوارحكم، وخمسة منها بقلوبكم.

أما الخمسة التي بلسانكم؛ فهي خمس كلمات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم.

وأما الخمسة التي بجوارحكم؛ فهي خمس صلوات.

وأما الخمسة التي بقلوبكم؛ فهي حب خمسة رجال: النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي. رضوان الله تعالى عليهم أجمعين).

obeikandl.com

والثاني: مكر قوم صالح بناقة صالح عليه السلام فعقروها

قوله: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾[١] [النمل: ٥٠] أي: جزيناهم جزاء مكرهم، فغيَّرنا لون وجوههم، فكان في اليوم الأول أحمر، وفي الثاني أصفر، وفي الثالث أسود، وفي اليوم الرابع وقت صلاة العصر من يوم السبت أهلكناهم جميعًا بصيحة جبريل عليه السلام، وتمام هذه القصة في مجلس يوم الأربعاء، فلمَّا عَقَرُوا الناقة، أَقْبَلَ فصيلها إلى الجبل الذي خَرَجَت أمه منه، وصاح ثلاث صيحات، فانشقَّ الجبل وأُدخِلَ فيه، فلم يَرَه أحد بعد ذلك.

والنُكْتَة فيه: كأنَّ الله تعالى يقول: إني ملك قادر، وجبَّار قاهر؛ أخرج واحدًا من الحجر، وأدخل واحدًا في الحجر، وأهلك واحدًا بالحجر، وأحفظ واحدًا في الحجر؛ أخرجت ناقة صالح من الحجر، وأدخلت ولدها في الحجر، وأهلكت قوم لوط بالحجر، وحَفِظْتُ محمدًا المصطفى مع صاحبه في الحجر.

ونظيره: خلقتُ إبليس من النار، وحفظت إبراهيم في النار، وعذَّبت الكفار بالنار، وجعلت رزق السَّمَنْدَل[٢] والنَّعَامة من النَّار.

ونظيره: خلقت آدم من التراب، وحفظت أصحاب الكهف في التراب، وأهلكت قوم عاد بالتراب، وجعلت رِزْقَ الحيَّات من التُّراب.

ونظيره: خلقتُ الخيل من الرِّيح، وأهلكت قوم هود بالرِّيح، وبشرت يعقوب بالرِّيح، وخلقت رزق الطَّير من الرِّيح.

---

(١) قوله عز وجل: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْراً﴾ يعني: أرادوا قتل صالح ﴿وَمَكَرْنَا مَكْراً﴾، يعني: جثم عليهم الجبل، فماتوا كلهم ويقال: رجمتهم الملائكة عليهم السلام بالحجارة، فماتوا فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْراً﴾ أي: أرادوا قتل صالح، ﴿وَمَكَرْنَا مَكْراً﴾ يعني: أراد الله عز وجل قتلهم جزاء لأعمالهم. [بحر العلوم ٢٩٦/٣]

(٢) طَائِرٌ بالْهِنْدِ، لا يَحْتَرِقُ بالنَّارِ، ويُقالُ: فيهِ أيضا: السَّبَنْدَلُ، بالباءِ، عن كُرَاعٍ، ويُقالُ: إِنَّهُ إذا هَرِمَ وانْقَطَعَ نَسْلُهُ أَلْقَى نَفْسَهُ في الجَمْرِ، فيَعُودُ إلى شَبابِهِ. [تاج العروس (سمغل) ٢٣٠/٢٩]

ونظيره: خلقت بني آدم من الماء، وحَفِظْتُ مُوْسى ويونس في الماء، وأهلكت فِرْعَوْن بالماء، ورزقتُ السَّمَك ودَوَابّ البحر تحت الماء.

فهذه الأشياء المتضادَّة من الموجودات من جنسٍ واحد، دليل على أنَّ الصانع الواحد القهار، المهيمن الستَّار.

obeikandl.com

والثالث: مكر إخوةُ يُوسُف

قوله تعالى: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾[1] [يُوسُف: ٥] الآية، إخوة يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام، أرادوا أن يفرِّقوا بين يعقوب ويوسف؛ كيلا يراه يعقوب وينساه ويحبهم، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا﴾ إلى قوله: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ [يُوسُف: ٨ - ٩][2]، فأرادوا أن ينظر أبوهم إلى وجوههم، فقال عزَّ وجَلَّ: يا إخوة يُوسُف؛ إني أبيِّضُ عين أبيكم حتى لا ينظر إلى وجوهكم، وأُظْهِرُ المحبَّة والاشتياق ليوسف في قلب أبيكم؛ حتى يشتغل في جميع أحواله بذكر يُوسُف، ويراه بقلبه ولا ينساه، ولا يلتفت إليكم.

ونظيره: مكر إبليس عليه اللَّعنة بآدم عَلَيْهِ السَّلام حتى خرج من الجنة، فقال إبليس عليه لعنة الله: أخرجت آدم من الجنَّة دار القربة وجوار مولاه، وأسكنته في جواري؛ حتى يراني هو وأولاده، ويطيعوني ويخالفوا مولاهم، فقال الله تعالى: يا إبليس؛ إنَّك تقول: إن بني آدم يروني في الدُّنيا ولا يرون مولاهم، وعزَّتي وجلالي إني أحجب عيونهم عن رؤيتك، وأُظهر محبَّتي وشوقي في قلوبهم؛ فيشتغلون بذكري في جميع حالاتهم، وأرفع الحِجَاب عن قلوبهم، فأنظر إليهم في كل يوم ثلاث مائة وستين نظرةً؛ حتَّى يروني بأسرارهم، ولا يلتفتون إليك، بل يلعنونك.

---

(١) فيحتالوا لإهلاكك حيلة. فَهِمَ يعقوبُ عليه السلام من رؤياه أن الله يصطفيه لرسالته، ويفوقه على إخوته، فخاف عليه حسدهم. ومن خاف من شيء سلط عليه.

الكيد من الخلق: الحيلة، ومن الله تعالى التدبير بالحق. [البحر المديد ٣/٣٥١]

(٢) إذ قال إخوة يوسف من أبيه فيما بينهم: إن يوسف وأخاه الشقيق أحب إلى أبينا منا، يفضِّلهما علينا، ونحن جماعة ذوو عدد، إن أبانا لفي خطأ بيِّن حيث فضَّلهما علينا من غير موجب نراه.

اقتلوا يوسف أو ألقوا به في أرض مجهولة بعيدة عن العُمران يخلُص لكم حب أبيكم وإقباله عليكم، ولا يلتفت عنكم إلى غيركم، وتكونوا مِنْ بعد قَتْل يوسف أو إبعاده تائبين إلى الله، مستغفرين له من بعد ذنبكم.

والرابع: مكر فرعون بموسى عَلَيْهِ السَّلام

قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾[1] [طه: ٦٤].

قال فرعون وهامان: إنَّكَ ذهبت من عندنا، وتعلَّمْتَ السَّحر ورجعت إلينا، نحن نجمع السَّحرة فنعارضك، فجمعوا السحرة، ومعهم من أسباب السحر سبعون ألف وِقْرٍ، فألقوا سحرهم وسحروا أعين النَّاس واسترهبوهم، وجاءوا بسحر عظيم، فأوجس في نفسه خيفةً موسى، فأوحى الله تعالى إليه: ﴿لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾[2] [طه: ٦٨].

وكذلك المؤمن في حال النزع؛ يرى ملك الموت يقصد روحه، ويرى إبليس عليه اللَّعنة يقصد إيمانه فيخاف ويحزن، فتنزل عليه الملائكة يبشرونه ويقولون ﴿أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

رجعنا إلى القصة: قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا [3]﴾ [طه:٦٩] أي: يا موسى؛ إن السحرة ألقوا حبالهم وعصيهم فرأيت منهم السِّحر العظيم،

---

(١) قرأ أبو عمرو: " فأجمعوا " بوصل الألف وفتح الميم، من الجمع، أي لا تدعوا شيئا من كيدكم إلا جئتم به، بدليل قوله: "فجمع كيده"، وقرأ الآخرون بقطع الألف وكسر الميم. فقد قيل: معناه الجمع أيضا، تقول العرب: أجمعت الشيء وجمعته بمعنى واحد.

والصحيح أن معناه العزم والإحكام، أي: أعزموا كلكم على كيده مجتمعين له، ولا تختلفوا فيختل أمركم.

﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ أي جميعا، قاله مقاتل والكلبي، وقال قوم: أي مصطفين مجتمعين ليكون أشد لهيبتكم، وقال أبو عبيدة: الصف المجمع، ويسمى المصلى صفا. معناه: ثم ائتوا المكان الموعود. [تفسير البغوي ٢٨٣/٥]

(٢) ﴿لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأعلى﴾ أي الغالب: يعني: لك الغلبة والظفر، وذلك يدل على أن خوفه كان لأمر يرجع إلى أنَّ أمره لا يظهر للقوم، فآمنه الله بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الأعلى﴾، وفيه أنوع من المبالغة: أحدها: ذكر كلمة التأكيد وهي (إنَّ). وثانيها تكرير الضمير. وثالثها: لام التعريف. ورابعها: لفظ العلو، وهو الغلبة الظاهرة. [اللباب في علوم الكتاب ١٩٨/١١]

(٣) أي تأخذه بفيها ابتلاعاً بسرعة، فقيل إنها ابتلعت حمل ثلاثمائة بعير من الحبال والعصي، ثم أخذها موسى ورجعت عصا كما كانت. وفيها قولان:

أحدهما: أنها كانت من عوسج، قاله وهب.

الثاني: من الجنة، قاله ابن عباس، قال: وبها قتل موسى عوج بن عناق. [النكت والعيون ٥٢/٣]

فألقِ عَصَاك حتى تنظر إلى قُدرة الرب الكريم، ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾[1] [الأعراف:١٠٧]، فتلقف سحر السحرة، ثمَّ قصد نحو الكفَّار فاتحًا فاه، فنفر الكفَّار من كل جانب، ومات منهم من لا يحصي عدده غير الله تعالى، ثمَّ قصد نحو سرير فرعون، فلمَّا دَنَا منه، صاح فرعون ونادى: أغِثْني يا موسى، فأخذ موسى عَلَيْهِ السَّلام عصاه، فعادت على حالها الأوَّل، فلمَّا رآها السَّحرة خَرُّوا سُجَّدًا، وقالوا: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الشعراء: ٤٧ - ٤٨][2]، فكشف الله عن أعينهم حجاب

---

(١) بدأ بالعصا دون سائر المعجزات لأنها معجزة تحتوي على معجزات كثيرة قالوا منها أنه ضرب بها باب فرعون ففزع من قرعها فشاب رأسه فخضب بالسواد فهو أول من خضب بالسواد وانقلابها ثعباناً وانقلاب خشبة لحماً ودماً قائماً به الحياة من أعظم الإعجاز ويحصل من انقلابها ثعباناً من التهويل ما لا يحصل في غيره وضربه بها الحجر فينفجر عيوناً وضربه بها فتنبت قاله ابن عباس ومحاربته بها اللصوص والسباع القاصدة غنمه واشتعالها في الليل كاشتعال الشمعة وصيرورتها كالرشا لينزح بها الماء من البئر العميقة وتلقفها الحبال والعصيّ التي للسحرة وإبطالها لما صنعوه من كيدهم وسحرهم والإلقاء حقيقة هو في الاجرام ومجاز في المعاني نحو ألقى المسألة.

قال ابن عباس والسدّي: صارت العصا حية عظيمة شعراء فاغرة فاها ما بين لحييها ثمانون ذراعاً، وقيل: أربعون ذكره مكي عن فرقد واضعة أحد لحييها بالأرض والآخر على سور القصر وذكروا من اضطراب فرعون وفزعه وهربه ووعده موسى بالإيمان إن عادت إلى حالها وكثرة من مات من قوم فرعون فزعاً أشياء لم تتعرّض إليها الآية ولا تثبت في حديث صحيح فالله أعلم بها ومعنى ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهر لا تخييل فيه بل هو ثعبان حقيقة، قال ابن عطية ﴿وإذا﴾ ظرف مكان في هذا الموضع عند المبرّد من حيث كانت خبراً عن جثة والصحيح الذي عليه شيوخنا أنها ظرف مكان كما قاله المبرد وهو المنسوب إلى سيبويه وقوله من حيث كانت خبراً عن جثة ليست في هذا المكان خبراً عن جثة بل خبر هي قوله ﴿ثُعْبَانٌ﴾ ولو قلت ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ لم يكن كلاماً وينبغي أن يحمل كلامه من حيث كانت خبراً عن جثة على مثل خرجت فإذا السبع على تأويل من جعلها ظرف مكان وما ذكره من أن الصحيح الذي عليه الناس أنها ظرف زمان هو مذهب الرّياشي ونسب أيضاً إلى سيبويه ومذهب الكوفيين أن إذا الفجائية حرف لا اسم. [البحر المحيط ٤٢٣/٥]

(٢) إن قيل: إنَّهُ تعالى ذكر أوَّلا أنَّهُمْ صاروا ساجدين، ثمَّ ذكر بعد ذلك أنهم قالوا: ﴿قالوا آمَنَّا بِرَبِّ العالمين﴾.

فما الفائدة فيه مع أن الإيمان يجبُ أن يكون متقدِّماً على السُّجُودِ؟.

الأرض حتى أبصروا في سجدتهم الثَّرَى، ورفعوا رءوسهم، ونظروا إلى السماء، فأبصروا العرش، فاشتاقوا إلى الله تعالى، فقال لهم فرعون: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] الآية. فقالوا: لا ضَيْر يا فرعون، إنَّك تقدر أن تقطع أيدينا وأرجلنا، ولا تقدر أن تقطع المعرفة في قلوبنا.

والنُكْتَة فيه: أنَّ السحرة كانوا مع الكفر والخيانة، وأقسموا بعزَّةِ فرعون، وقصدوا المعارضة مع معجزة الرَّسول عَلَيْهِ السَّلام، فلمَّا سجدوا سَجْدة واحدة مع هذه الكبائر، رَفَعَ الله عز وجل عنهم حجاب السموات والأرض، وأكرمهم بالإيمان، وجعلهم من أحبابه وأوليائه، فأمة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قصدت إلى بيت الله الحرام بالتوبة والندامة، مطهَّرين من الحدث والجنابة، ودخلوا المسجد الحرام ناوين إقامة الطَّاعة والعبادة، فسجدوا لله تعالى بالخضوع والضَّرَاعَة، فكيف لا يكرمهم الكريم بالكرامة، ولا يحلهم دار المقامة!

نُكْتَة أُخْرَى: سمَّى الله عصا موسى في القرآن بثلاثة أسماء، فقال في آية: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ [طه: ٢٠]، وقال في آية أخرى: ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ [النمل: ١٠]، وقال في آية أخرى: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧][1]. وسمَّى كلمة التَّوحيد بسبعين اسمًا.

=

فالجوابُ، من وجوه، أحدها: أنَّهُم لما ظفروا بالمعرفة سجدوا للَّه تعالى في الحال، وجعلوا ذلك السُّجُود شكراً لِلَّه تعالى على الفَوْزِ بالمَعْرِفة والإيمان، وعلامة على انقلابهم من الكفر إلى الإيمان، وإظهاراً للتَّذلل، فكأنَّهم جعلوا ذلك السُّجُود الواحد علامةً على هذه الأمور.

وثانيها: لا يبعد أنَّهُمْ عند الذهاب إلى السُّجود قالوا: ﴿قالوا آمَنَّا بِرَبِّ العالمين﴾. [اللباب في علوم الكتاب ٤٧٢/٧]

(١) الحية اسم الجنس، ثم لكبرها صارت ثعباناً، وشبهها بالجانّ لخفتها، وسرعتها، فصح الكلامان. ويحتمل أنه شبهها بالشيطان لقوله: ﴿والجآن خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السموم﴾ [الحجر: ٢٧]. ويحتمل أنها كانت صغيرة كالجانّ ثم عظمت فصارت ثعباناً ثم إن موسى – عليه السلام – لما أراه آية العصا قال فرعون: « هل غيرها »؟ قال: نعم، فأراه يده، ثم أدخلها جيبه، ثم أخرجها ﴿فَإِذَآ هِيَ بَيْضَآءُ﴾

تلك العصا معجزة موسى عَلَيْهِ السَّلام، وكلمة التَّوحيد كلمة المولى؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فإذا أهلكت عصا موسى سبعين ألف وقر، فبأولى أن تهلك كلمة المولى ذنوب سبعين سنة أوَّلا وآخرًا.

=

تضيء الوادي من شدة بياضها من غير برص، لها شعاع كشعاع الشمس. فعند هذا أراد فرعون تعمية هذه الحجة على قومه فذكر أموراً:

أحدها: قال لهم: ﴿إِنَّ هذا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ وكان زمانهم زمان السحرة، فأوهمهم أن هذا كبير من السحرة.

وثانيها: قال: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾ وهذا موجب للتنفير عنه لئا يقبلوا قوله، والمعنى: يفرق جمعكم بما يلقيه من العداوة بينكم، ومفارقة الوطن أصعب الأمور، وهذا نهاية ما يفعله المضل المنفر عن المحق.

وثالثها: قوله: « فَمَاذَا تَأْمُرُونَ » أي: ما رأيكم فيه، فأظهر لهم من نفسه أني متبع لرأيكم، ومثل هذا يوجب جذب القلوب، وانصرافها عن العدو قوله: « حَوْلَهُ » حال من « المَلأ »، ومفعول القول قوله: ﴿إِنَّ هذا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ وقيلك صلة « لِلْملأ »، فإنه بمعنى « الَّذِي ». وقيل: الموصول محذوف. وهما قولان للكوفيين. قال الزمخشري: « فإِنْ قُلْتَ: قوله تعالى: (لِلْمَلأ حَوْلَهُ) فما العامل في (حَوْلَه)؟. قلت: هو منصوب نصبين: نصب في اللفظ، ونصب في المحل. فالعامل في النصب اللفظي ما تقدم في الظرف، ش والعامل في النصب المحلي هو النصب على الحال ». [اللباب في علوم الكتاب ٢٣٦/١٢]

obeikandi.com

الخامس: مَكْرُ اليهود بعيسى عَلَيْهِ السَّلام

قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1] [آل عمران: ٥٤].

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا﴾ يعني كفار بني إسرائيل الذي أحس عيسى منهم الكفر وبروا في قتل عيسى عليه السلام، وذلك أن عيسى عليه السلام بعد إخراج قومه إياه وأمه عاد إليهم مع الحواريين، وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطؤوا على الفتك به فذلك مكرهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرَ اللَّه وَاللَّه خَيْر الْمَاكِرِينَ﴾ فالمكر من المخلوقين: الخبث والخديعة والحيلة، والمكر من الله: استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يعلم كما قال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:١٨٢] وقال الزجاج: مكر الله عز وجل مجازاتهم على مكرهم فسمي الجزاء باسم الابتداء لأنه في مقابلته كقوله تعالى: ﴿اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة:١٥] ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢] ومكر الله تعالى خاصة بهم في هذه الآية، وهو إلقاؤه الشبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى عليه السلام حتى قتل.

قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن عيسى استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا: قد جاء الساحر ابن الساحرة، والفاعل ابن الفاعلة، وقذفوه وأمه فلما سمع ذلك عيسى عليه السلام دعا عليهم ولعنهم فمسخهم الله خنازير. فلما رأى ذلك يهوذا رأس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى عليه السلام، وثاروا إليه ليقتلوه فبعث الله إليه جبريل فأدخله في خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله إلى السماء من تلك الروزنة، فأمر يهوذا رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له: ططيانوس أن يدخل الخوخة ويقتله، فلما دخل لم ير عيسى، فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها، فألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام، فلما خرج ظنوا أنه عيسى عليه السلام فقتلوه وصلبوه، قال وهب: طرقوا عيسى في بعض الليل، ونصبوا خشبة ليصلبوه، فأظلمت الأرض، فأرسل الله الملائكة فحالت بينهم وبينه، فجمع عيسى الحواريين تلك الليلة وأوصاهم ثم قال: ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة، فخرجوا وتفرقوا، وكانت اليهود تطلبه، فأتى أحد الحواريين إلى اليهود فقال لهم: ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه. ولما دخل البيت ألقى الله عليه شبه عيسى، فرفع عيسى وأخذ الذي دلهم علي فقال: أنا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا إلى قوله وقتلوه وصلبوه، وهم يظنون أنه عيسى، فلما صلب شبه عيسى، جاءت مريم أم عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها فأبرأها الله من الجنون تبكيان عند المصلوب، فجاءهما عيسى عليه السلام فقال لهما: علام تبكيان؟ إن الله تعالى قد رفعني و لم يصبني إلا خير، وإن هذا شيء شبه لهم، فلما كان بعد سبعة أيام قال الله عز وجل لعيسى عليه السلام: اهبط على مريم المجدلانية اسم موضع في جبلها، فإنه لم يبك عليك أحد بكاءها، و لم يحزن حزنها ثم ليجتمع لك

وقصته: أن اليهود قالوا: عيسى ساحر، وإحياؤه الموتى وغير ذلك كله من السحر، فسمع عيسى عَلَيْهِ السَّلام ذلك، فاغتمَّ وقال: إلهي؛ إنَّك أعلم بافترائهم، فآتهم المسخ. فجعلهم الله القردة والخنازير، فبلغ الخبر ملك اليهود، فخاف أن يدعو عليه أيضًا؛ فأَمَرَ بقتل عيسى عَلَيْهِ السَّلام، فاجتمع اليهود وجاءوا إلى عيسى، وكان في البيت، فأَدخلوا عليه واحدًا منهم ليقتله، فنزل جِبْرِيل فصعد بعيسى عَلَيْهِ السَّلام إلى السماء من سقف البيت، وحوَّل الله تعالى صورة الرَّجُل الذي دخل عليه على صورة عيسى عَلَيْهِ السَّلام، فأخذ اليهود ذلك الرَّجل وقتلوه، فظنُّوا أنَّهم قتلوا عيسى عَلَيْهِ السَّلام، وما قتلوه كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨] الآية[1].

=

الحواريون فبثهم في الأرض دعاة إلى الله عز وجل فأهبطه الله عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورًا، فجمعت له الحواريين فبثهم في الأرض دعاة ثم رفعه الله عز وجل إليه وتلك الليلة هي التي تدخن فيها النصارى، فلما أصبح الحواريون حدَّث كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى إليهم فذلك قوله تعالى ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّه وَاللَّه خَيْر الْمَاكِرِينَ﴾ [تفسير البغوي: ٤٥/٢]

(١) يجوز أن يكون معطوفا على قوله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ ويجوز أن يعطف على قوله ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾.

واليقين: العلم الجازم الذي لا يحتمل الشك، فهو اسم مصدر، والمصدر اليقين بالتحريك، يقال: يقن كفرح ييقن يقنا، وهو مصدر قليل الاستعمال، ويقال: أيقن يوقن إيقانا، وهو الشائع.

وقوله ﴿يقينا﴾ يجوز أن يكون نصب على النيابة عن المفعول المطلق المؤكد لمضمون جملة قبله: لأن مضمون ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾ بعد قوله ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾ إلى قوله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ يدل على أن انتفاء قتلهم إياه أمر متيقن، فصح أن يكون يقينا مؤكدا لهذا المضمون. ويصح أن يكون في موضع الحال من الواو في ﴿قَتَلُوهُ﴾، أي ما قتلوه متيقنين قتله، ويكون النفي منصبا على القيد والمقيد معا، بقرينة قوله قبله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾، أي: هم في زعمهم قتله ليسوا بموقنين بذلك للاضطراب الذي حصل في شخصه حين إمساك من أمسكوه، وعلى هذا الوجه فالقتل مستعمل في حقيقته. وضمير النصب في ﴿ قَتَلُوهُ ﴾ عائد إلى عيسى بن مريم عليه السلام.

ويجوز أن يكون القتل مستعملا مجازا في التمكن من الشيء والتغلب عليه كقولهم: قتل الخمر إذا مزجها حتى أزال قوتها، وقولهم: قتل أرضا عالمها. [التحرير والتنوير ٣٠٧/٤]

ويقال: إن اسم الرجل الذي شُبِّه بعيسى: أيشوع.

والنُكْتَة فيه: كأنَّ الله يقول: " ربَّيت أيشوع خمسين سنة ليكون فداءً لعيسى من القتل، وربيتُ فرعون أربع مائة سنة بألوان النعم؛ ليكون فداء لموسى من الغرق، وربيت كبش هابيل في الفردوس أربعة آلاف سنة؛ ليكون فداء لإسماعيل من الذَّبح. وكذلك اليهود والنَّصارى والكفَّار والمشركون، ربَّيتهم وأمهلتهم ليكونوا فداءً لأمَّة مُحَمَّد المختار من عذاب النَّار ".

روي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: " إذا كان يوم القِيَامة، يؤتى كل رجل من المسلمين رجلا من أهل الأديان المختلفة، فيقال: هذا فداؤك من النار "[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢١١٩، رقم ٢٧٦٧)، وابن ماجه (٢/١٤٣٤، رقم ٤٢٩٢)، وأحمد في مسنده (٤/٤٠٢، رقم ١٩٦١٥).

وفي هذا الحديث دليل على كمال لطف الله بعباده وكرامتهم عليه حيث فدى أوليائه بأعدائه، ويحتمل أن يكون معنى الفداء أن الله تعالى وعد النار ليملأها من الجِنّة والناس فهي تستنتجز الله موعده في المشركين وعصاة المؤمنين، فيرضيها الله تعالى بما يقدم إليها من الكفار فيكون ذلك كالمفاداة عن المؤمنين.

وقال بعضهم: معناه أن المؤمنين يتوقّون بالكفار من نفح النار إذا مروا على الصراط فيكونون وقاية وفداء لأهل الإسلام.

قال بعضهم: رأيت أبا بكر بن الحسين المقري في المنام في الليلة التي دفن فيها، فقلت له أيها الأستاذ ما فعل الله بك قال: إن الله تعالى أقام أبا الحسن العامري صاحب الفلسفة فدائي، وقال هذا فداؤك من النار، وقد كان أبو الحسن توفي في الليلة التي توفي فيها أبو بكر المقري وفي الحديث: "يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى"، ولا يستبعد من فضل الله مع أهل الإسلام والإيمان أن يفديهم بأهل الكفر والطغيان وذلك عدل من الله مع أهل المعصية، وفضل على أهل طاعته خلافاً للمعتزلة فإنهم أنكروا هذه واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤] والذي صاروا إليه خلاف الكتاب والسنة. [روح البيان ٣/١٤١-١٤٣]

ونُكْتَة أخرى: كان من قضاء الله وقدره أن يرفع عيسى عَلَيْهِ السَّلام إلى السَّماء، فجعل سببه أذى اليهود، وكذلك كان في حكمته أن يكون يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام مَلِك مَصْر، فجعل حسد إخوته سببًا لتوصله إلى ما قضى وقدَّر.

وكذلك أراد أن يظهر صفة العفو والغفران في أمة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجعل وسوسة إبليس عليه اللَّعنة سببًا لمعصيتهم؛ حتى يغفر لهم ويرحمهم، كما قيل: لولا ثلاثة أشياء لضاعت ثلاثة أشياء؛ لولا المؤمن لضاعت جنة النعيم، ولولا الكافر لضاعت نار الجحيم، ولولا العاصي لضاعت رحمة الرَّحيم.

obeikandl.com

والسادس: مكر قريش بدار الندوة بمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1] [الأنفال: ٣٠] الآية.

وقصته: أن في مكة دارًا يقال لها: دار النَّدوة، إذا أرادوا تدبير أمر يجتمعون فيها، فلمَّا أرادوا المكر بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اجتمع فيها خمسة من المشركين؛ وهم: عُتبة، وشيبة، وأبو جهل، وأبو البحتري، والعاص بن وائل – في أكثر الروايات كانوا خمسة، وقال الثعلبي رحمة الله عليه: اثنى عشر –، دخلوا دار النَّدوة، ودخل فيما بينهم إبليس عليه اللَّعنة على صورة شيخ في يده عصا، فقال له أبو جهل: إنَّا قد اجتمعنا في تدبير أمر خفي، فارجع أنت، فقال إبليس: إني شيخ في أرض نجد، رأيت الدُّهور، وجرَّبت الأمور، أعلم أن مصالح التدبير موافقة التأويل والتفسير، فأدخلوني معكم في دار النَّدوة؛ لعلِّي أنبئكم بتأويله، وأميز صحيح القول من عَلِيلِه، فأدخلوه معهم، فتشاوروا، فبدأ عُتبة عليه اللَّعنة، وقال: إن الموت حق، فاصبروا حتى يقضي الله على مُحَمَّد، وننجو من شرِّه. فقال إبليس عليه اللَّعنة: أُفٍ لك، أين أنت من التَّدبير؟ لا تصلح إلا لرعي المواشي والحمير، فلو صبرتم حتى يموت مُحَمَّد، يظهر دينه في مشارق الأرض ومغاربها، فيجتمع عنده عسكر عظيم، فيحاربونكم حتى يهلك جميعكم، فقال الكل جميعًا: صَدَقَ الشَّيْخ النَّجدِيّ. ثمَّ قال شَيْبَة عليه اللَّعنة: إني أرى أن نحبس محمدًا في بيت ونغلق بابه، حتى يموت جوعًا وعطشًا. فقال إبليس عليه لعنة الله: وهذا أيضًا ليس بصواب؛ فإنَّ بني هاشم يجتمعون فيأخذونه من أيديكم ويخلون سبيله، ويقع بينكم وبين أقاربه عداوة عظيمة. فقالوا جميعًا: صَدَقَ الشَّيخ النَّجدِيّ. ثمَّ قال العاص بن وائل: نشدُّ محمدًا على جمل، ونسوقه في المهمه الأغبر والبَرُّ

---

(١) المعنى: أن الأمم السابقة من الكفرة لم يقتصروا على تكذيب الرسول بل تجاوزوا ذلك إلى الأذى من الهم بالقتل كما حكى الله عن ثمود: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [النمل: ٤٩]. وقد تآمر كفار قريش على رسول الله ص ليلة دار الندوة ليقتلوه أن يتجمع نفر من جميع عشائرهم فيضربوه بالسيوف ضربة رجل واحد كيلا يستطيع أولياؤه من بني هاشم الأخذ بثأره، فأخذ الله الأمم عقوبة لهم على همهم برسلهم فأهلكهم واستأصلهم. [التحرير والتنوير ١٤٩/٢٤]

الأقفر ليهلك فيه. فقال إبليس عليه اللَّعنة: وهذا أيضًا ليس بصواب؛ لأنَّ محمدًا قويم القامة، صبيح الوجه، فصيح اللِّسان، مليح البَيَان، وربَّما يلقاه أحد يهديه إلى البلاد، فيصدقه كل من سمع كلامه، ويجتمع عنده جمع عظيم، فيرجع إليكم بجمع كثير ويحاربكم، فصاحوا: صَدَقَ الشَّيْخُ النَّجْدِيّ. ثمَّ قال أبو جهل عليه اللَّعنة: إني أرى أن نُخرج من كل قبيلة شابًّا، ونهجم على مُحَمَّد في ليلة، نضربه جميعًا بالأسلحة؛ حتى لا يُعْلَم قاتله بعينه، فإذا طلب أقاربه الدية، فنجمع الأموال من القبائل ونعطيهم، ونقطع عَنَّا الطَّلب، وننجو من شَرِّه، فقال إبليس عليه اللعنة: الآن أصبت وأحسنت، فرأيك صواب، وتدبيرك أحسن التَّدبير.

واتفقوا على قتل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتفرَّقوا من دار النَّدوة، فنزل جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام بهذه الآية: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال:٣٠] الآية. ثمَّ قال جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام: يا مُحَمَّد؛ إن الله تعالى يقول لك: اخرج من مكة إلى المدينة، فإن لي في ذلك سرًّا أُدَبِّره.

شعر:

لا تجزعنَّ فبعد العسر تيسير وكل شيء له وقت وتدبير

وللمهيمن في أحوالنا نظر وفوق تدبيرنا لله تقدير

فلمَّا أمسى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشَاوَرَ مع أصحابه، فقال: " أيُّكم يرافقني ويوافقني، وقد أمرني الله تعالى بالخُرُوج إلى المدينة ". فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: أنا يا رسول الله. ثُمَّ نظر إلى أصحابه، وقال: " أيُّكم يبيت على فراشي، وأنا أضمن له الجنة"، فقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا يا رسول الله، أجعل روحي فداك؛ لأنِّي أخوك، ووالد سبطيك، وزَوْج قُرَّة عينيك[1].

– عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يُنْشِد ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمع هذه الأبيات[2]: [البسيط]

إني أخو المصطفى لا شك في نسبي معه ربيت وسبطاهما ولدي

(١) رواه علي بن برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية (١٩٢/٢).

(٢) انظر: ديوان الإمام علي بن أبي طالب (٧٠/١).

جدي وجد رسول الله منفرد وفاطم زوجتي لا قول ذي فندِ
صدقته وجميع النَّاس في ظلمٍ من الضلالة والإشراك والنكدِ
فالحمد لله شكرًا لا نفاذ له البرّ بالعبد والباقي بلا أمدِ

قال: فتبسَّمَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: " صدقت يا علي " (١).

رجعنا إلى القصة: فجاء عليّ رضي الله عنه وبات على فراش رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاءت الكفار يحرسون حول دار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويرتقبون خروجه، وكان إبليس عليه اللَّعنة معهم، فسلَّط الله عليهم النومَ والغفلةَ، حتى ناموا جميعًا، ونام إبليس عليه اللَّعنة، ويقال: إن إبليس عليه اللعنة لم ينم قطُّ إلا في تلك اللَّيلة، ولا ينام بعدها أبدًا. فخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أبي بكر رضي الله عنه، ورآهم نيامًا عندهم السيوف والأسلحة، فأخذ التراب وحَثَاه على رءوسهم.

وروي: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " قرأ (سورة يس) حين قصد المرور عليهم، فلم يره أحد ببركة قراءة (يس) ".

فلمَّا ذهب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استيقظ إبليس عليه اللَّعنة وأيقظهم، وقال: إنَّ محمدًا قد ذهب، ألا ترون أنَّه حثا التراب على رءوسكم، فقاموا وطلبوا الرسول على فراشه، فرأوا عليًّا، فقالوا: أين مُحَمَّد؟ فقال علي رضي الله عنه: إن الربَّ الأعلى ذهب بنبيه المصطفى إلى ما يشاء من القربى والزُّلفى، فإنه يعلم السر وأخفى، فلا يضل ولا ينسى، فلا تطلبوه في الأرض، فلعلَّه في أعلى عليين.

وروي عن النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَالَ: " أوحى الله تعالى إلى جبْرِيل وميكائيل عَلَيْهِمَا السَّلام إنِّي آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيُّكما يُؤْثِرُ صاحبه بالحياة، فاختار كلاهما الحياة لنفسه، فأوحى الله إليهما: هلا كنتما مثل عليّ بن أبي طالب؛ آخيتُ بينه وبين مُحَمَّد، فنام على فراشه؛ يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض واحفظاه من عدوه، فنزلا، فكان جبْرِيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبريل ينادي: بخٍ بخٍ، مَنْ مثلك يا ابن أبي طالب؛ يباهي بك الله تعالى ملائكة السموات. فأنزل الله تعالى على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو متوجّه إلى المدينة في شأن عليّ رضي الله

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٢١/٤٢).

عنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] "[1].

وأنشد عليّ رضي الله عنه عند مبيته على فِرَاش رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الأبيات[2]: [الطويل]

فديت بنفسي خير من وطأ الثرى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول الله خاف أن يمكروا به ... فنجاه ذي الطَّول الإله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمنًا ... مُوَقَّى وفي حفظ الإله وفي ستر
وبتُّ أُرَاعِيهم وما يثبتونني ... موطنة نفسي على القتل والأسر

رجعنا إلى القصة: فلمَّا لم يجدوا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منزله، تشاوروا ثلاثة أيَّام وخرجوا في طلبه، فأرسلوا سُرَاقة بن مالك نحو المدينة، فسار حتى أدركهما، فرآه أبو بكر رضي الله عنه، وقال: يا رسول الله؛ أدركنا سراقة بن مالك.

وكان سراقة من شُجعان العرب، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لا تحزن؛ إن الله معنا "، فلمَّا دنا سراقة، صاح وقال: يا مُحَمَّد؛ مَنْ يمنعك منِّي اليوم؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يمنعك العزيز الجبَّار، الواحد القهَّار ". فنزل جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام وقال: يا مُحَمَّد؛ إن الله تعالى يقول: قد جعلتُ الأرض مطيعة لك، فأمرها بما شئتَ.

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا أرض خذيه. فأخذت الأرض جواده إلى ركبتيه، فبقي سراقة يسوق فرسه وهي لا تتحرك، فقال: يا مُحَمَّد؛ الأمان، وعزة العُزَّى لو نجيتني لأكوننَّ لك لا عليك. فدعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأطلقت الأرض جواده.

ورأيت في بعض التَّفَاسير: أنَّ سُراقة[1] عاهد سبع مرات، ثمَّ نَكَثَ العَهْد، وكلَّما نكث سَاخَتْ قوائم فرسه فى الأرض، فتاب في المرة الثامنة توبةً صادقةً، وأخرج سهمًا من

---

(١) ذكره الإمام فخر الرازي في تفسير هذه الآية من سورة البقرة (١٨٩/٢) من تفسيره الكبير مختصراً.

(٢) انظر: ديوان الإمام علي بن أبي طالب (٧٩/١)، وتفسير الألوسي (٦٥/٧)، والدر المنثور (٥٤/٤)، وسبل الهدى والرشاد (٢٣٣/٣)، وسمط النجوم (١٤٥/١).

جُعبته، وأعطاه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: يا مُحَمَّد؛ إن لي إبلا ومواشي في طريقك، فبلِّغ الرُّعاة سهمي، وخذ منهم الرَّاحلة والزَّاد وما شئت، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يا سراقة؛ إذا لم ترغب في دين الإسلام، فأني لا أرغب في أموالك ومواشيك "، فقال سُرَاقة: يا مُحَمَّد؛ إني لأعلم أنَّه سيظهر أمرك في العالم، وتملك رقاب بني آدم، فعاهدني: إذا آتيتُ يوم مُلْكِكَ، فأكرمني. فأخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خزفًا وعلَّمَ عليه، وأعطاه سراقة وقال: " هذا عهدي معك "، فقال سراقة: يا مُحَمَّد؛ سَلْني حاجة، فقال: " يا سُرَاقة؛ حاجتي أن تردَّ عسكر قُرَيْش "[٢]. فرجع سراقة وجاء إلى أبي جهل، فقال: يا أبا الحكم؛ لم يذهب مُحَمَّد من هذا الطَّرِيق، فرجعوا، ثمَّ قال أبو جهل: يا سُرَاقَة؛ إنِّي أظنُّ أنَّك رأيتَه، فإن كنت رأيته فأخبرنا، فأنشد سُرَاقة يقول شعرًا[٣]:

أبا الحكم واللات لو كنت شاهدًا ... أمام جوادي حين ساخت قوائمه
علمت ولم تشكُكْ بأنَّ محمدًا ... رسول ببرهان فلم لا تكاتمه
إليك فردَّ النَّاس عنه فإنَّني ... أرى قدره يومًا ستبدو معالمه

=

(١) سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن مالك بن تيم بن مدلج ابن مرة بن عبد مناة بن كنانة المدلجى، يكنى أبا سفيان. من مشاهير الصحابة.

كان ينزل قديدا، و قيل: إنه سكن مكة. و هو الذى لحق النبى صلى الله عليه وسلم و أبا بكر حين خرجا مهاجرين إلى المدينة فدعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم فارتطمت فرسه إلى بطنها، ثم دعا له فنجاه الله تعالى و قصته مشهورة، و هو الذى سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن العمرة: ألعامنا هذا أم للأبد؟. اهـ.

وقال المزى: و قال أبو عمر بن عبد البر، و غيره: مات فى صدر خلافة عثمان سنة أربع و عشرين. قال: وقيل: إنه مات بعد عثمان. [انظر: تهذيب التهذيب ٤٥٦/٣، وجامع التحصيل ٢١٢/١]

(٢) رواه علي بن برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية (٢٢١/٢).

(٣) انظر: سبل السلام (٨٣/١)، وتاريخ ابن الوردي (١٠٧/١)، وتاريخ اليعقوبي (١١٩/١).

والسابع: مكر اليهود بنهي الله تعالى

وهو أنَّ الله تعالى أكرم موسى عَلَيْهِ السَّلام في يوم السبت[١]، وأمره وقومه أن لا يشتغلوا فيه بشغل من أشغال الدُّنْيَا؛ مثل: البَيْع والتِّجَارَة والوَصِيَّة وغير ذلك، وكانت بلدة يقال لها: أيلة، كان أهلها صيادين يصيدون السَّمَك، فأرسل الله تعالى إليهم داود عَلَيْهِ السَّلام، وأمره أن يمنع الصيادين عن صيد السَّمَك في يوم السَّبْت، وأباح ذلك في سائر الأيَّام، فبلغ داود عَلَيْهِ السَّلام رسالة ربه، فلم تقبل اليهود، فابتلاهم الله تعالى بالقَحْط، فكان السَّمَك يدخل جميع الأبحر، وفي بحرهم يوم السَّبت، ولا يدخل في باقي الأيَّام ولا سمكة واحدة، فوقع القحط والغلاء، وسلَّط الله عليهم الجوع سنة وخمسة أشهر وثمانية أيَّام، فاضطروا إلى أن يحتالوا في صيد السَّمَك يوم السَّبْت، فحفروا حِيَاضًا وأنهَارًا، وأسالوا الماء من الأنهار في الحِيَاض يوم السَّبت، فإذا رأوا الحياض قد امتلأت بالسَّمَك، سدُّوا رءوس الأنهار بالألواح.

وفي بعض الرِّوَايَات: كانوا إذا ألقوا شباكهم يوم الجمعة بعد العصر، يخرجونها يوم الأحد، فيأكلون منه ويبيعون، فنصحهم العلماء والحكماء والزُّهاد، فلم يمتنعوا، فلمَّا لم يسمعوا مواعظ العلماء، خَرَجُوا من بينهم بحيث لا يعاقبون معهم، فأراد الله تعالى عقوبتهم، فأمهلهم سنتين، وأرسل إليهم من ينصحهم ويعظهم، فلم يتَّعِظُوا بموعظة أحد.

ففي يوم من الأيَّام دخل العُلَمَاء والحُكَمَاء والزُّهَّاد في البَلْدَة، ولم يروا في البلدة أحدًا من الآدميين، ففتحوا أبواب البيوت ودخلوا، فرأوا الذكور والإناث قد مُسِخُوا قِرَدَة، كما

---

(١) خبر أهل القرية التي كانت بقرب البحر، إذ يعتدي أهلها في يوم السبت على حرمات الله، حيث أمرهم أن يعظموا يوم السبت ولا يصيدوا فيه سمكًا، فابتلاهم الله وامتحنهم؛ فكانت حيتانهم تأتيهم يوم السبت كثيرة طافية على وجه البحر، وإذا ذهب يوم السبت تذهب الحيتان في البحر، ولا يرون منها شيئًا، فكانوا يحتالون على حبسها في يوم السبت في حفائر، ويصطادونها بعده. وكما وصفنا لكم من الاختبار والابتلاء، لإظهار السمك على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده فيه، وإخفائه عليهم في اليوم المحلل لهم فيه صيده، كذلك نختبرهم بسبب فسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[1] [الأعراف: ١٦٦].

موعظة: أن من احتال في صيد السَّمَك فجزاؤه أن تحوَّل صورته إلى صورة قردة، فكيف حال من احتال في تحليل الرِّبا الذي حرَّم الله عزَّ وجل، والخمر كذلك! ويقال: إن من احتال في صيد السَّمَك سبعة أنفُس، فقلب الله تعالى صورهم ومسخهم بتركهم للأمر بالمعروف والنَّهْيِ عن المنكر؛ وأخبر حبيبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قصَّتِهم في كلامه في سبع مواضع:

الأوَّل: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [الحجر: ١٢٤].

والثَّاني: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ [البقرة: ٦٥].

والثالث: قوله تعالى: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ [النساء: ٤٧].

والرابع: قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ [النساء: ١٥٤].

والخامس: قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

والسادس: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾[2] أي: ظاهرة على وجه الماء.

---

(١) القرد جمعه قردة. قال تعالى: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة:٦٥]، وقال: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة:٦٠]، قيل: جعل صورهم المشاهدة كصور القردة. وقيل: بل جعل أخلاقهم وإن لم تكن صورتهم كصورتها. [مفردات ألفاظ القرآن ٢/٢٣٥]

(٢) السبت في أصل اللغة: القطع لأن الأشياء تمت فيه وانقطع العمل وقيل: هو مأخوذ من السبوت وهو الراحة والدعة وقال في الكشاف: السبت مصدر سبتت اليهود: إذا عظمت يوم السبت انتهى وقد ذكر جماعة من المفسرين أن اليهود افترقت فرقتين: ففرقة اعتدت في السبت: أي جاوزت ما أمرها الله به من العمل فيه فصادوا السمك الذي نهاهم الله عن صيده فيه والفرقة الأخرى انقسمت إلى فرقتين: ففرقة جاهرت بالنهي واعتزلت وفرقة لم توافق المعتدين ولا صادوا معهم لكنهم جالسوهم و لم يجاهروهم بالنهي ولا اعتزلوا عنهم فمسخهم الله جميعا و لم تنج إلا الفرقة الأولى فقط وهذه من جملة المحن التي امتحن الله بها هؤلاء الذين بالغوا في العجرفة وعاندوا أنبياءهم وما زالوا في كل موطن يظهرون من حماقاتهم وسخف عقولهم وتعنتهم نوعا من أنواع التعسف وشعبا من شعب التكلف فإن

والسَّابع: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

أخرى: سبحان من لا يشبه صنعه صنع المخلوقين، ولا تدرك حقائق حكمته بصيرة المحققِّين؛ سمكة أخذتها اليهود فصاروا قردة، وسمكة أخذها نبي صارت رئيس السّمك، وإبليس اللَّعين الذي كانت قبلته العرش، صار مخذولا مطرودًا، وعمر بن الخطَّاب رضي الله عنه الذي كانت قبلته الصنم، صار مودودًا؛ إذا أراد أدخل المنافق فيما يوافق، وإذا لم يرد يلحق الموافق بمن ينافق، فلا رادَّ لقضائه، ولا مانع لحكمته.

ثمَّ اختَلَفُوا في معنى يوم السَّبت؛ قال بعض العلماء: سبت؛ أي: عظيم؛ وإنما سمِّي يوم السبت عظيمًا لأنَّهُ معظَّم عند اليهود. وقال بعضهم: للاستراحة، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٩] أي: راحة لأبدانكم. وإنَّما سمِّيَ يوم السَّبت؛ لأنَّ اليهود كانوا في الاستراحة فيه من أشغال الدُّنيا[(١)].

وسُئِلَ اليهود: لِمَ لا تشتغلون يوم السبت بالأشغال الدنيوية؟ قالوا: لأن الله تعالى لم يخلق في يوم السبت شيئًا.

وروي أنَّ اليهود أتوا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالوا: يا مُحَمَّد؛ أخبرنا عَمَّا خلق الله تعالى في الأيَّام السَّبعة؟ فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " خلق الله تعالى السَّموات والأرض يوم الأحد، والجبال يوم الاثنين، والدَّواب يوم الثُّلاثاء، والنور يوم الأربعاء، والجنة والنَّار يوم الخميس، وآدم وحواء يوم الجمعة "، فقالوا: أصبت لو أتممتَ، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ما تمامها؟ "[(٢)]، فقالوا: لما فَرَغَ الله تعالى من خلق السموات والأرض استلقى على قفاه، ووضع إحدى رجله على الأخرى واستراح، وكان ذلك يوم السبت، فاتخذناه عيدًا واسترحنا فيه. فاغتمَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

=

الحيتان كانت في يوم السبت كما وصف الله سبحانه بقوله: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم﴾ فاحتالوا لصيدها وحفروا الحفائر وشقوا الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصيدونها يوم الأحد فلم ينتفعوا بهذه الحيلة الباطلة. [فتح القدير: ١/١٥١]

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٦/١٨٤).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٥٩٢، رقم ٣٩٩٧).

فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾[1] [ق: ٣٨]، وإنَّما (يلغب) من: يعمل بالآلات والجوارح، وإني أخلق الأشياء، إذا أردت وجودها بقولي لها: كن، فيكون، قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] أي: بالسُّرعة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، فظنَّ اليهود أنَّ السبت لهم يوم الراحة، فصار يوم المحنة، فظنُّوه يوم الفرج، فجعله الله تعالى يوم الترح، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " السبت لليهود، والجمعة لكم، فلا تخالفوا فيها أمر الله تعالى، كما خالف اليهود والنصارى، فصار المخالفون منهم قردة وخنازير".

نُكْتَة: إن اليهود خالفوا في يومهم، فَمَسَخَهُم الله وغيَّر صورتهم، والمؤمنون أطاعوا الله وأدُّوا صلاة الجمعة، فغير الله تعالى صورة ذنوبهم، فبدل سيئاتهم حسنات، كما قال الله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[2] [الفرقان: ٧٠].

---

(١) اللغوب: التعب والنصب والإعياء، مصدر لغب - كدخل - يقال لغب فلان لغوبا، إذا اشتد تعبه وضعفه.

أى: والله لقد خلقنا بقدرتنا السماوات والأرض وما بينهما من كائنات لا يعلمها إلى الله، فى ستة أوقات وما سمنا بسبب هذا الخلق العظيم نصب أو تعب أو إعياء.

فالمراد بالأيام مطلق الأوقات التى لا يعلم مقدارها إلا الله - تعالى - وقيل: هذه الأيام من أيام الدنيا، وقيل: من أيام الآخرة.

وقال سعيد بن جبير: الله - تعالى - قادر على أن يخلق السماوات والأرض وما بينهما فى لمحة ولحظة، ولكنه - سبحانه - خلقهن فى ستة أيام ليعلم عباده التثبت فى الأمور والتأنى فيها.

والمقصود بالآية الكريمة بيان كمال قدرة الله - تعالى -. والرد على من أنكر البعث والنشور. وعلى اليهود الذين زعموا أن الله - تعالى - خلق العالم فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع وهو يوم السبت. [الوسيط: ٢٠٢/٥]

(٢) قال ابن عباس وابن جبير والضحّاك وابن زيد: يعني فأُولئك يبدّلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام، فيبدّلهم بالشرك إيماناً، وبقتل المؤمنين قتل المشركين، وبالزنا عفة وإحصاناً، وقال الآخرون: يعني يبدّل الله سيّئاتهم التي عملوها في حال إسلامهم حسنات يوم القيامة، يدلّ على صحّة هذا التأويل ما أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الحافظ في داري قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن عبد الله بن برزة قال: حدّثنا أبو حفص المستملي قال: حدّثنا محمد بن عبد العزيز أبي

نُكْتَة: ألا ترى أن اليهود لم يمسخوا لصيد السمك، بل مُسِخُوا لتَرْكِهِم تعظيم أمر الله تعالى وارتكابهم نهيه؟!

نُكْتَة: ألا ترى أن آدم وحواء أكلا من شجرة الجنة فبدت لهما سوآتهما، والنَّحل أكل من ورق شجر الجنة، فصار في بطنه عسلا؛ لأن آدم عَلَيْهِ السَّلام أكل بغير أمر الله تعالى، والنحل أكل بأمر الله تعالى؟!

وأعجب من هذا: أن الدودة التي أكلت جسم أيوب عَلَيْهِ السَّلام صار لحمه في بطنها إبريسمًا، يا عجبًاه! أن آدميًّا يأكل السمكة فيغضب عليه الرب، فيجعله قردة، ودودة تأكل الآدمي فيرضى عنها الرَّب، فيجعل روثها أبريسمًا؛ لأن هذه أكلت بأمره، وذلك أكل بغير أمره. ودودة أطاعت الرَّب، فاستحقت الخلعة، والمؤمن المخلص إذا أطاع أمر الله تعالى كيف لا يستحقّ الرَّحمة والقربة والكرامة؟!

يحكى عن عُتْبَة الغلام: أنه كان من أهل الفسق والفجور، وهو مشهور بشرب الخمر والفساد، فدخل يومًا في مجلس الحسن البصري رحمه الله، وقرأ القارئ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾[1] [الحديد: ١٦] الآية. فوعظ الشيخ في تفسيره هذه

=

رزمة قال: حدّثنا الفضل بن موسى القطيعي عن أبي العنبس عن ابنه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليتمنّينّ أقوام أنّهم أكثروا من السيئات. قيل: مَن هم؟ قال: الذين بدّل الله سيئاتهم حسنات). [الكشف والبيان: ١٥٠/٧]

(١) قال الآلوسى ما ملخصه: قوله -تعالى-: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمنوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله﴾.

استئناف لعتاب المؤمنين على الفتور والتكاسل فيما ندبوا إليه، والمعاتب -على ما قاله الزجاج- طائفة منهم، وغلا فإن من المؤمنين من لم يزل خاشعا منذ أن أسلم إلى أن لقى ربه.

والخشوع: التذلل والخضوع، واللام فى قوله ﴿لِذِكْرِ الله﴾ للتعليل، والمراد بذكرالله - تعالى -: ما يشمل كل قول أو فعل يؤدى إلى الخوف من الله -تعالى- بحيث يظهر أثر ذلك على الجوارح.

وقيل: المراد به: القرآن الكريم، فيكون قوله -تعالى- بعد ذلك ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الحق﴾ من باب عطف الشيء على نفسه، لاختلاف اللفظين، كما فى قوله -تعالى-: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾.

الآية وعظًا بليغًا حتى بكى الناس، فقام من بينهم شاب، فقال: يا إمام المؤمنين؛ أيقبل الله تعالى توبة الفاسق الفاجر مثلي إذا تُبْتُ؟ فقال الشيخ: نعم، يقبل توبتَكَ وإن كان فسفك وفجورك مثل عُتبة الغلام. فلمَّا سمع عتبة الغلام هذا الكلام اصفرَّ وجهه، وارتعدت فرائصه، وصاح صحيةً وخرَّ مغشيًّا عليه، فلمَّا أفاق دنا إلى الشيخ، فأنشد الشيخ هذه الأبيات، يقول[1]:

أيا شاب لرب العرش عاصي ... أتدري ما جزاء ذوي المعاصي
سعير العصاة بها ثبور ... فويل يوم يؤخذ بالنواصي
فإن تصبر على النِّيران فاعصِ ... وإلا كن عن العصيان قاصي
وفيما قد كسبت من الخطايا ... أهنت النفس فاجهد في الخلاص

فصاح عند ذلك صيحةً أخرى وخرَّ مغشيًّا عليه، فلمَّا أفاق قال: يا شيخ؛ هل يقبل الكريم توبة مثلي اللئيم؟ فقال الشيخ: وهل يقبل توبة العبد الجافي إلا رب المُعَافي، ثمَّ رفع رأسه عُتبة الغلام، ودعا ثلاث دعوات، فأوَّل دعائه قال: إلهي؛ إن كنت قبلت توبتي، وغفرت حوبتي، فأكرمني بالفهم والحفظ؛ حتى أحفظ كل ما سمعت في العلم والقرآن. والثاني قال: إلهي؛ أكرمني بحسن الصوت والنغمة؛ حتى أنَّ من سَمِعَ قراءتي يزداد رقَّة في قلبه، وإن كان قاسي القلب.

والثالث: قال: إلهي؛ أكرمني بالرِّزق الحَلال، وارزقني من حيث لا أحتسب.

فاستجاب الله عزَّ وجَلَّ جميع دُعَائِهِ، حتَّى زاد فهمه وحفظه، وكان إذا قَرَأ القرآن تاب كل من سمع قراءته وأناب ورجع إلى الله تعالى، وكان يوضع في بيته كل يوم قصعة مملوءة من المرق ورغيفان، ولا يدري أحد من يضعه، وكان على هذه الحالة حتى فارق الدنيا، وهذا حال من أناب إلى الله تعالى ورجع؛ لأنَّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، نفعنا الله وإياكم ببركته الله، آمين.

=

والمعنى: لقد آن الأوان أن تخشع قلوب المؤمنين لذكر الله -تعالى- وأن تلين قلوبهم لما أنزله -سبحانه- على نبيه -صلى الله عليه وسلم- من قرآن، تقشعر منه جلود الذين يخافون ربهم، وترق له مشاعرهم ونفوسهم.

(١) انظر: طبقات الحنفية (١/٢٧٦).

الْمَجْلِسُ الثَّانِي: فِي يَوْمِ الأَحَدِ

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾(١) [الإخلاص: ١].

---

(١) الأحد قال القرطبي أي الواحد الوتر الذي لا شبيه له ولا نظير ولا صاحبة ولا ولد ولا شريك اهـ.

ومعلوم أن كل هذه المعاني صحيحة في حقه تعالى.

وأصل أحد: وحد قلبت الواو همزة. ومنه قول النابغة:

كأن رحلي وقد زال النهار بنا بذي الجليل على مستأنس وحد

وقال الفخر الرازي في أحد وجهان:

أحدهما: أنه بمعنى واحد. قال الخليل يجوز أن يقال أحد اثنان ثلاثة، ثم ذكر أصلها وحد وقلبت الواو همزة للتخفيف. والثاني: أن الواحد والأحد لبسا اسمين مترادفين.

قال الأزهري لا يوصف شيء بالأحدية غير الله تعالى لا يقال رجل أحد ولا درهم أحد كما يقال رجل واحد أي فرد به بل أحد صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها شيء.

ثم قال ذكروا في الفرق بين الواحد والأحد وجوها:

أحدها: أن الواحد يدخل في الأحد والأحد لا يدخل فيه.

وثانيها: أنك لو قلت فلان لا يقاومه واحد جاز أن يقال لكنه يقاومه اثنان بخلاف الأحد.

فإنك لو قلت فلان لا يقاومه أحد لا يجوز أن يقال لكنه يقاومه اثنان.

وثالثها أن الواحد يستعمل في الإثبات والأحد يستعمل في النفي.

تقول في الإثبات رأيت رجلا واحدا. وتقول في النفي ما رأيت أحدا فيفيد العموم.

أما ما نقله عن الخليل وقد حكاه صاحب القاموس فقال ورجل واحد وأحد أي خلافا لما قاله الأزهري.

وأما قوله إن أحدا تستعمل في النفي فقد جاء استعمالها في الإثبات أيضا. كقوله: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ [النساء:٤٣]. فتكون أغلبية في استعمالها ودلالتها في العموم واضحة.

وقال في معجم مقاييس اللغة في باب الهمزة والحاء وما بعدها أحد إنما فرع والأصل الواو وحد.

وقد ذكر في الواو وفي مادة وحد قال الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد من ذلك الوحدة بفتح الواو وهو واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثله. قال:

يا واحد العرب الذي ما في الأنام له نظير

وقيل إن هذا البيت لبشار يمدح عقبة بن مسلم أو لابن المولى يزيد من حاتم نقلا عن الأغاني.

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سُئِلَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن يوم الأحد، قال: " يوم غرس وعمارة "، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: " لأنَّ فيه ابتدأ الله تعالى الدُّنيا وعِمَارَتَهَا "[١].

بساط المجلس: قال بعض العلماء: إن الخالق البارئ جلَّ جلاله، وكَثُرَ إفضاله، وتوالى نَوَالُه، وظهر في العباد عزّه وكماله، خلق سبعة أشياء من بين المخلوقات، كل واحد منهم سبعة: أولها: الفُلْك الدَّوَّار، والثَّاني: النَّجْم السَّيَّار، والثَّالث: دَرَكَات النَّار، والرَّابع: الأرض ذات القَرَار، والخامس: البِحَار، والسادس: أعضاء الآدمي الديار، والسابع: أيَّام الأزمنة والأعصار.

أمَّا الأوَّل: خلق الله السموات السبع يومَ الأحد:

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣].

قال أنس بن مالك: من أي شيء خلق؟ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خلقها من دخان"؛ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[٢] [فُصِّلَت: ١١].

=

فيكون بهذا ثبت أن الأصل بالواو والهمزة فرع عنه. وتقدم أن دلالتها على العموم أوضح أي أحد.

وقد دلت الآية الكريمة على أن الله سبحانه وتعالى أحد أي في ذاته وصفاته لا شبيه ولا شريك ولا نظير ولا ند له سبحانه وتعالى. وقد فسره ضمنا قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾. [أضواء البيان: ٩/١٤٧-١٤٨]

(١) انظر تفسير روح البيان (٤/٣١).

(٢) قال الرازي: فيه مباحث: البحث الأول: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء﴾ من قولهم استوى إلى مكان كذا إذا توجه إليه توجهاً لا يلتفت معه إلى عمل آخر، وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج، ونظيره قولهم استقام إليه وامتد إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ [فصلت:٦] والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة إلى خلق السماء بعد خلق الأرض وما فيها، من غير صرف يصرفه ذلك.

البحث الثاني: ذكر صاحب "الأثر" أنه كان عرش الله على الماء قبل خلق السموات والأرض فأحدث الله في ذلك الماء سخونة فارتفع زبد ودخان، أما الزبد فيبقى على وجه الماء فخلق الله منه اليبوسة وأحدث منه الأرض، وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات.

=

واعلم أن هذه القصة غير موجودة في القرآن، فإن دل عليه دليل صحيح قبل وإلا فلا، وهذه القصة مذكورة في أول الكتاب الذي يزعم اليهود أنه التوراة، وفيه أنه تعالى خلق السماء من أجزاء مظلمة، وهذا هو المعقول لأنا قد دللنا في المعقولات على أن الظلمة ليست كيفية وجودية بدليل أنه لو جلس إنسان في ضوء السراج وإنسان آخر في الظلمة، فإن الذي جلس في الضوء لا يرى مكان الجالس في الظلمة ويرى ذلك الهواء مظلماً، وأما الذي جلس في الظلمة فإنه يرى ذلك الذي كان جالساً في الضوء ويرى ذلك الهواء مضيئاً، ولو كانت الظلمة صفة قائمة بالهواء لما اختلفت الأحوال بحسب اختلاف أحوال الناظرين، فثبت أن الظلمة عبارة عن عدم النور، ثم لما ركبها وجعلها سموات وكواكب وشمساً وقمراً، وأحدث صفة الضوء فيها فحينئذ صارت مستنيرة، فثبت أن تلك الأجزاء حين قصد الله تعالى أن يخلق منها السموات والشمس والقمر كانت مظلمة، فصح تسميتها بالدخان، لأنه لا معنى للدخان إلا أجزاء متفرقة غير متواصلة عديمة النور، فهذا ما خطر بالبال في تفسير الدخان، والله أعلم بحقيقة الحال.

البحث الثالث: قوله ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ﴾ مشعر بأن تخليق السماء حصل بعد تخليق الأرض، وقوله تعالى: ﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ [النازعات: ٣٠] مشعر بأن تخليق الأرض حصل بعد تخليق السماء وذلك يوجب التناقض، واختلف العلماء في هذه المسألة، والجواب المشهور: أن يقال إنه تعالى خلق الأرض في يومين أولا ثم خلق بعدها السماء، ثم بعد خلق السماء دحا الأرض، وبهذا الطريق يزول التناقض، واعلم أن هذا الجواب مشكل عندي من وجوه الأول: أنه تعالى بيّن أنه خلق الأرض في يومين، ثم إنه في اليوم الثلث فِيهَا رَوَاسِيَ رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَتَهَا وهذه الأحوال لا يمكن إدخالها في الوجود إلا بعد أن صارت الأرض مدحوة لأن خلق الجبال فيها لا يمكن إلا بعد أن صارت الأرض مدحوة منبسطة، وقوله تعالى: ﴿ وَبَارَكَ فِيهَا ﴾ مفسر بخلق الأشجار والنبات والحيوان فيها، وذلك لا يمكن إلا بعد صيرورتها منبسطة، ثم إنه تعالى قال بعد ذلك ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء ﴾ فهذا يقتضي أنه تعالى خلق السماء بعد خلق الأرض وبعد أن جعلها مدحوة، وحينئذ يعود السؤال المذكور الثاني: أنه قد دلّت الدلائل الهندسية على أن الأرض كرة، فهي في أول حدوثها إن قلنا إنها كانت كرة والآن بقيت كرة أيضاً فهي منذ خلقت كانت مدحوة، وإن قلنا إنها غير كرة ثم جعلت كرة فيلزم أن يقال إنها كانت مدحوة قبل ذلك ثم أزيل عنها هذه الصفة، وذلك باطل الثالث: أن الأرض جسم في غاية العظم، والجسم الذي يكون كذلك فإنه من أول دخوله في الوجود يكون مدحواً، فيكون القول بأنها ما كانت مدحوة، ثم صارت مدحوة قول باطل، والذي جاء في كتب التواريخ أن الأرض خلقت في موضع الصخرة ببيت المقدس، فهو كلام مشكل لأنه إن كانت

(استوى إلى السماء)؛ أي: أنشأ خلق السَّماء وكانت دخانًا، فنظر إليه فجعله سبعةَ أجزاءٍ؛ منها: جزءًا ماءً، وجزءًا قطرًا، وجزءًا حديدًا، وجزءًا فضةً، وجزءًا ذهبًا، وجزءًا لؤلؤًا، وجزءًا ياقوتًا أحمر. فخلق السماء الدنيا من الماء، ومن القطر الثانية، ومن الحديد الثالثة، ومن الفضة الرابعة، ومن الذهب الخامسة، ومن اللُّؤلؤ السادسة، ومن الياقوت السابعة، ثمَّ فتقها؛ أي: شقَّها، فجعل بين كل واحدة منها مسيرة خمس مائة عام.

ونُكْتَة لَطِيفَة: خلق الله من دخان واحد سبع سموات لا يشبه إحداها الأخرى.

وأعجب من هذا: أنزل الله من السَّمَاء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، فأخرج من قطرة الماء أنواع النَّبَات، بعضها أحمر، وبعضها أصفر، وبعضها أخضر، وبعضها أسود،

=

المراد أنها على عظمها خلقت في ذلك الموضع، فهذا قول بتداخل الأجسام الكثيفة وهو محال، وإن كان المراد منه أنه خلق أولا أجزاء صغيرة في ذلك الموضع ثم خلق بقية أحزائها، وأضيفت إلى تلك الأجزاء التي خلقت أولا، فهذا يكون اعترافاً بأن تخليق الأرض وقع متأخراً عن تخليق السماء الرابع: أنه لما حصل تخليق ذات الأرض في يومين وتخليق سائر الأشياء الموجودة في الأرض في يومين آخرين وتخليق السموات في يومين آخرين كان مجموع ذلك ستة أيام، فإذا حصل دحو الأرض في أكثر من ستة أيام وذلك باطل الخامس: أنه لا نزاع أن قوله تعالى بعد هذه الآية ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ كناية عن إيجاد السماء والأرض، فلو تقدم إيجاد السماء على إيجاد الأرض لكان قوله ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ يقتضي إيجاد الموجود وأنه محال باطل.

فهذا تمام البحث عن هذا الجواب المشهور، ونقل الواحدي في "البسيط" عن مقاتل أنه قال: خلق الله السموات قبل الأرض وتأويل قوله ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء ﴾ ثم كان قد استوى إلى السماء وهي دخان، وقال لها قبل أن يخلق الأرض فأضمر فيه كان لما قال تعالى: ﴿ قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:٧٧] معناه إن يكن سرق، وقال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا ﴾ [الأعراف: ٤] والمعنى فكان قد جاءها، هذا ما نقله الواحدي وهو عندي ضعيف، لأن تقدير الكلام ثم كان قد استوى إلى السماء، وهذا جمع بين الضدين لأن كلمة ﴿ثُمَّ﴾ تقتضي التأخير، وكلمة كان تقتضي التقديم والجمع بينهما يفيد التناقض، وذلك دليل على أنه لم يمكن إجراؤه على ظاهره وقد بينا أن قوله ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ إنما حصل قبل وجودهما، وإذا كان الأمر كذلك امتنع حمل قوله على الأمر والتكليف، فوجب حمله على ما ذكرناه. [تفسير الرازي: ٥٥٧/٢٧]

وبعضها أبيض، وبعضها حلو، وبعضها مر؛ قوله تعالى: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾[1] [الرعد: ٤].

وأعجب من هذا: نُطفة من منيِّ الرجل وقعت في رحم امرأة، فصيَّرها عَلَقَة، وصيَّر العَلَقَة مُضغَةً، وخلق المضغة عظامًا، وخلق من نطفة ذكرًا، ومن الأخرى أنثى، ومن نُطفة مؤمنًا، ومن الأخرى كافرًا، ومن نطفة صالحًا، ومن الأخرى طالحًا، ومن نطفة موافقًا، ومن الأخرى منافقًا، ومن نُطفة موحِّدًا، ومن الأخرى مُلحِدًا، ومن نطفة سعيدًا، ومن الأخرى شقيًّا طَرِيدًا، فتبارك الله أحسن الخالقين.

والثاني: خلق الله النُّجُوم السَّيَّارة يومَ الأحد:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] الآية[2].

فجعل النَّجوم على ثلاثة أنواع: نوع منها يسمَّى: ثوابت؛ لا تسير ولا تأفل، ونوع منها تأفل وتطلع، ونوع منها تدور بالأفلاك.

---

(١) أي: في الثمر المأكول؛ قدراً وشكلا، وطعماً، ورائحةً ولوناً، مع اتفاق الماء الذي تُسقى به. وذلك مما يدل أيضاً على الصانع القادر الحكيم؛ فإن إيجادها، مع اختلاف الأصول والأسباب، لا يكون إلا بتخصيص قادر مختار. وفيه رد على الطبائعيين. [البحر المديد: ١٤٨/٣]

(٢) نبه على أعظم فوائد خلقها وهي الهداية للطرق والمسالك والجهات التي تقصد والقبلة إذ حركات الكواكب في الليل يستدل بها على القبلة كما يستدل بحركة الشمس في النهار عليها، والخطاب عام لكل الناس و ﴿ لِتَهْتَدُوا ﴾ متعلق بجعل مضمرة لأنها بدل من ﴿ لَكُمُ ﴾ أي جعل ذلك لاهتدائكم و ﴿ جَعَلَ ﴾ معناها خلق فهي تتعدى إلى واحد، قال ابن عطية: وقد يمكن أن تكون بمعنى صير ويقدر المفعول الثاني من ﴿ لِتَهْتَدُوا ﴾ أي جعل لكم النجوم هداية انتهى، وهو ضعيف لندور حذف أحد مفعولي باب ظن وأخواتها والظاهر أن الظلمات هنا على ظاهرها وأبعد من قال: يصح أن تكون الظلمات هنا الشدائد في المواضع التي يتفق أن يهتدى فيها بها، وأضاف (الظلمات) إلى ﴿ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ لملابستها لهما أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات وذكر تعالى النجوم في كتابه للزينة والرحم والهداية فما سوى ذلك اختلاق على الله وافتراء. [البحر المحيط: ٢١٣/٥]

فسبعة أنجم من هذه الأنواع الثلاثة هنَّ أعظم النُّجوم وأشرفها، وهنَّ: زُحَل، والمُشْتَرَى، والمَرِّيخ، والشَّمس، والزُّهرة، وعُطَارد، والقَمَر. ولكل واحد منهنَّ فلك من الأفلاك السَّبعة: للقَمَر الأوَّل، ولعطارد الثَّاني، وللزُّهرة الثَّالث، وللشَّمس الرَّابعة، وللمرِّيخ الخامس، وللمُشْتَرَى السَّادِس، ولزُحَل السَّابع، فالله تعالى قدَّر أفلاك السَّمَوَات السَّبع بهذه النُّجوم السَّبع، ولكلٍّ كوكب منهنَّ في كل ألف سنة دورة.

نُكْتَة لَطِيفَة: وكذلك سبعة من الأنبياء هم أعظم الأنبياء وأشرفهم: شيث، وإدريس، وإبراهيم، وموسى، وداود، وعيسى، عَلَيْهِم السَّلام، ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليهم أجمعين، وإن الله تَعَالى أعطى لكل واحد منهم صحفًا وكتبًا، أعطى خمسين صحيفةً لشيث عَلَيْهِ السَّلام، وثلاثين صحيفة لإدريس عَلَيْهِ السَّلام، وعشرين صحيفة لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلام، والتَّوراة لموسى عَلَيْهِ السَّلام، والزَّبور لداود عَلَيْهِ السَّلام، والإنجيل لعيسى عَلَيْهِ السَّلام، والفُرْقَان لمحمد صلَّى الله عليه وعليهم أجمعين، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] الآية.

وهذه الأنجم السبعة متفاوتة في سيرها؛ فالقَمَر يطلع في الفلك الأوَّل، ويبقى في كل برج يومين ونصف يوم، فيمرّ الأفلاك كلها في شهر. وعطارد يطلع في الفلك الثاني، ويبقى في كل برج خمسة عشر يومًا، فيمر كل الأفلاك في ستة أشهر، والزُّهرة تطلع في الفلك الثالث، وتبقى في كل برج خمسة وعشرين يومًا، فتمرّ الأفلاك في عشرة أشهر، والشَّمس تطلع في الفلك الرَّابع، فتبقى في كل برج شهرًا، فتمر كل الأفلاك في سنة، والمريخ يطلع في الفلك الخامس، فيبقى في كل برج خمسين يومًا، فيمرّ الأفلاك في ثمانية عشر شهرًا، والمشترى يطلع في الفلك السَّادس، فيبقى في كل برج ثلاثة عشر شهرًا، فيمرّ كل الأفلاك في ثلاث عشرة سنة، وزحل يطلع في الفلك السَّابع، فيبقى في كل برج سنتين ونصف سنة، فيمر الأفلاك جميعها في ثلاثين سنة.

فالإشارة فيه: كذلك أمَّة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبعة أنواع: الصِّدِّيقون، والعالمون، والبُدَلاء، والشُّهَدَاء، والحُجَّاج، والمطيعون، والعاصُون.

فأمَّا الصَّدِّيقون؛ فيمرون على الصِّراط كالبرق الخاطف، وأما العالمون؛ فيمرُّون كالريح العاصف، وأما البُدَلاء؛ فيمرُّون كالطَّير في ساعة يسيرة، وأما الشُّهدَاء؛ فيمرُّون كالفَرَس الجَوَاد في نصف يوم، والحجَّاج يمرُّون في يوم كامل، والمطيعون يمرُّون في شهر.

وأما العاصون؛ كُلَّمَا وضعوا أقدامهم على الصراط وأوزارهم على ظهورهم، فيعثُرُون، فتقصد نار جهنَّم إحراقهم، فترى أنوار الإيمان في قلوبهم فتقول: جُزْ يا مؤمن؛ فإنَّ نورك قد أطفأ ناري ولهيبي.

والثالث: خلق الله النَّار في يوم الأحد:

ولها سبعة أبواب؛ قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٧] الآية[(١)].

وهي سبعة أطباق:

جهنَّم[(٢)]: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٣].

وسعير[(٣)]: قوله تعالى: ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٢].

وسقر[(٤)]: قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢].

---

(١) جهنمُ هذه ذات سبعة أبواب لكثرة من يرَدُها من المجرمين. ولكل باب طائفةٌ مختصة به، ولكل طائفة مرتبةٌ معلومة تتكافأ مع شرّهم.

ويقول عدد من المفسّرين ان لجنهم سبْعَ طباقات ينزلها مستحقّوها بحسب مراتبهم في الضلال وهي: جهنم والسعير ولظى والحُطَمة وسَقَر والجَحيم، والهاوية. [تفسير القطان:٢/٣٠٠]

قال الإمام عليّ بن أبي طالب: تدرون كيف أبواب النار؟ قلنا: نعم كنحو هذه الباب. فقال: لا ولكنها هكذا ووضع إحدى يديه على الأخرى وإن الله تعالى وضع الجنان على الأرض، ووضع النيران بعضها فوق بعض، فأسفلها جهنم وفوقها لظى وفوقهما الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها السعير وفوقها الهاوية. [الكشف والبيان: ٥/٣٤٢]

(٢) جهنم: من أسماء النار وحكى أهل اللغة عن العرب: أنَّ البئر البعيدة القعر تسمى الجهنام، فيجوزُ أن تكون مأخوذة من هذا اللفظ. [اللباب في علوم الكتاب: ٨/٣١٢]

(٣) السعير: النار الشديدة الاستعار. وعن الحسن رضي الله عنه: أنه اسم من أسماء جهنم. [الكشاف: ٤/٤٤٠]

(٤) سقر اسم من أسماء النار، وقال ابن عباس رضى الله عنهما: اسم للطبقة السادسة من جهنم، يقال: سقرته الشمس إذا آذته وآلمته. [تفسير حقي: ١٦/٢٥٠]

والجحيم[١]: قوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩١].

والحُطَمَة[٢]: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ [الهمزة: ٥].

ولَظَى[٣]: قوله تعالى: ﴿كَلا إِنَّهَا لَظَى﴾ [المعارج: ١٥].

وهاوية: قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩][٤].

فينادي في الطَّبَقَة الأولى مَلَك: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥].

وفي الثَّانية ملك ينادي: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون].

وفي الثالثة مَلك ينادي: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[٥] [الهمزة: ١] والمراد بالهمزة: الذي يغتاب النَّاس ويقع فيهم، والمراد باللُّمَزَة: الَّذِي يطعن فيهم ويعيبهم.

---

(١) الجحيم اسم من أسماء النار وهي كل نار عظيمة في مهواة. [تفسير النيسابوري: ١٣٨/٣]

(٢) الحطمة: اسم من أسماء النار، سميت بذلك لحطمها كل ما ألقى فيها، كما يقال للرجل الأكول: حُطَمَةُ.

وقيل: الحطمة: اسم للباب الثالث من أبواب جهنم. وهي أبواب بعضها فوق بعضٍ تمضي سُفلا سفلا، أعاذنا الله منها. [الهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٤٣١/١٢]

(٣) قال الليث: اللظى، اللهب الخالص، يقال: لظت النار تلظى لظى، وتلظت تلظياً، ومنه قوله: ﴿نَاراً تلظى﴾ [الليل: ١٤] ولظى علم للنار منقول من اللظى، وهو معرفة لا ينصرف، فلذلك لم ينون. [تفسير الرازي: ٢٨/١٦]

(٤) من أسماء النار، وكأنها النار العميقة لهوي أهل النار فيها مهوى بعيداً، كما روي: «يهوي فيها سبعين خريفاً» أي: فمأواه النار. وقيل: للمأوى: أمّ، على التشبيه؛ لأنّ الأمّ مأوى الولد ومفزعه. وعن قتادة: فأمّه هاوية، أي: فأمّ رأسه هاوية في قعر جهنم، لأنه يطرح فيها منكوساً (هيه) ضمير الداهية التي دلّ عليها قوله: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ في التفسير الأوّل. أو ضمير هاوية والهاء للسكت، وإذا وصل القارىء حذفها. وقيل: حقه أن لا يدرج لئلا يسقطها الإدراج، لأنّها ثابتة في المصحف. وقد اجيز إثباتها مع الوصل. [الكشاف:٣٢٠/٧]

(٥) هو على الجملة الذي يعيب الناس ويأكل أعراضهم، واشتقاقه من الهمز واللمز، وصيغة فعلة للمبالغة، واختلف في الفرق بين الكلمتين فقيل: الهمز في الحضور، واللمز في الغيبة، وقيل: بالعكس. وقيل: الهمز باليد والعين، واللمز باللسان، وقيل: هما سواء. ونزلت السورة في الأخنس بن شريق لأنه كان كثير الوقيعة في الناس وقيل: في أمية بن خلف، وقيل في الوليد بن المغيرة. [التسهيل لعلوم التنزيل:١٨٧/٤]

وفي الرابعة ملَك ينادي: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩].

وفي الخامسة ملك ينادي: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت].

وفي السادسة ملك ينادي: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

وفي السابعة ملك ينادي: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين].

نوع آخر: من كان في الطبقة السَّابعة يقول: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] إلخ، ومن كان في الطَّبَقة السَّادسة ينادي: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩].

ومن كان في الطَّبَقة الخامسة ينادي: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [السَّجدة: ١٢]، ومن كان في الطبقة الرَّابعة ينادي: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ [إبراهيم: ٤٤]، ومن كان في الطبقة الثالثة ينادي: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، ومن كان في الطبقة الثانية ينادي: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦]، ومن كان في الطبقة الأولى ينادي: يا حنَّان يا منَّان.

نوعٌ آخر: " سأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام عن سكان طبقات النَّار؟ فقال جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام: أمَّا الطَّبقة السَّابعة؛ فهي مأوى المنافقين، والطبقة السادسة؛ فهي مأوى من طَغَى وبَغَى وادَّعى الرُّبُوبيَّة، والطَّبَقَة الخامسة؛ فهي مأوى الجبَّارين والظالمين، والطبقة الرابعة؛ فهي مأوى المتكبرين والكافرين، والطبقة الثالثة؛ فهي مأوى اليهود، والطبقة الثانية؛ فهي مأوى النَّصَارَى، وسَكَتَ جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام، فسأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن سكان الطبقة الأولى وألحَّ عليه -أي: بالغ في السؤال- فقال جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام: يا مُحَمَّد؛ سكان الطبقة الأولى عُصاة أمَّتِك، فأغمِيَ على رسول الله، فلمَّا أفاق بَكَى بكاءً شديدًا، ودخل البيت وأغلق الباب عليه، وتخلَّى لمناجاة مولاه، فنزل جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام وبشَّرَهُ بالشفاعة ".

الرابع: خلق الله الأرض سبعة:

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[1] [الطلاق: ١٢] الآية.

وفي الخَبَر: أنَّ عبد الله بن سَلام أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: يا مُحَمَّد؛ من أي شيء خلق الله الأرض؟ قال: " من زبد البحر "، قال: صدقت، فمن أي شيء خلق الزّبد؟ قال: " من الموج ". قال: صدقت، فمن أي شيء خلق الموج؟ قال: " من البحر ". قال: صدقت، فمن أي شيء خلق البحر؟ قال: " من الظُّلمة ". قال: صدقت يا مُحَمَّد، وقرار الأرض بأي شيء؟ قال: " بالجبال "، قال: صدقت، وقال: وقرار الجبال بأي شيء؟ قال: " بجبل قاف "، قال: صدقت، وجبل قاف من أي شيء؟ قال: " من زمردة خضراء "، قال: صدقت، وخضرة السَّموات منه، قال: صدقت، قال: كم مسيرة عُلُوُّه؟ قال: مسيرة خمس مائة عام، قال: صدقت، كم مسيرة حواليه، قال: " مسيرة ألفي عام "، قال: صدقت، فهل وراء جبل قاف شيء؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وراء جبل قاف سبعون أرضًا من المسك "، قال: صدقت، وما وراءها؟ قال: سبعون أرضًا من الكافور، قال: صدقت، فما وراءها؟ قال: " سبعون أرضًا من العنبر "، قال: صدقت، فما وراءها؟ قال: " سبعون أرضًا من الذَّهب "، قال: صدقت، فما وراءها؟ قال: " سبعون أرضًا من الفِضَّة "، قال: صدقت، فما وراءها؟ قال: " سبعون أرضًا من الحديد "، قال: صدقت، فما وراءها؟ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وراء هذه الأرضين جميعها سبعون ألف عالم، في كل عالم ملائكة، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، وهذه الملائكة لا يعلمون من آدم وبنوه، ولا من إبليس وأتباعه، وتسبيح هؤلاء الملائكة سبع كلمات: (لا إله إلا الله، مُحَمَّد رسول الله) ". قال: صَدَقْتَ، وهل وراء هذه العوالم شيء؟ قال: " نعم؛

---

(١) محمول على المماثلة في السبعة الموجودة في الأقاليم لا على التعدد الحقيقي، ولا يخفى أن هذا من التكلف الذي لم يدع إليه سوى اتهام قدرة الله تعالى وعجزه سبحانه عن أن يخلق سبع أرضين طبق ما نطق به ظاهر النص الوارد عن حضرة أفصح من نطق بالضاد وأزال بزلال كلامه الكريم أوام كل صاد، وحمل المماثلة في الآية أيضاً على المماثلة التي زعمها صاحب القيل خلاف الظاهر. ولعل النوبة تفضي إن شاء الله تعالى إلى تتمة الكلام في هذا المقام. وذكر بعض المحققين في وجه تقديم السموات على الأرض تقدم خلقها على خلق الأرض ولا يخفى أنه قول لبعضهم. [تفسير الألوسي:٥/٢١٥]

حيَّة دارت ذنبها على هذه العوالم جميعها ". قال: صدقت، فأخبرني عن سكان الأرضين؟ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يسكن في الأرض السابعة ملائكة، وفي السادسة إبليس عليه اللَّعنة وأعوانه، وفي الخامسة الشياطين، وفي الرَّابِعَة الحيَّات، وفي الثَّالِثَة العَقَارِب، وفي الثانية الجن، وفي الأولى الإنس ". قال: صدقت، فهذه الأرضون السبعة على أي شيء؟ قال: " على الثور "، قال: وكيف صفة الثور؟ قال: " ثور له أربعة آلاف رأس، ما بين الرأس والرأس خمس مائة عام ". قال: صدقت، أخبرني عن لون هذا الثور؟ قال: "لونه أحمر "، قال: صدقت، أخبرني عن اسم هذا الثور؟ قال: " اسمه: فرقطاة "، قال: صدقت، أخبرني عن هذا الثور، على أي شيء؟ قال: " على صخرة "، قال: صدقت، أخبرني عن الصَّخرة، على أي شيء هي؟ قال: " على ظهر الحوت "، قال: والحوت على أي شيء؟ قال: " على بحر مسيرة قعره أربعة آلاف عام "، قال: صدقت، فأخبرني عن ماء البحر، على أي شيء؟ قال: " على الرِّيح "، قال: صدقت، والرِّيح على أي شيء؟ قال: "على الظُّلمة "، قال: صدقت، والظُّلمة على أي شيء؟ قال: " على نار جهنم "، قال: صدقت، ونار جهنم على أي شيء؟ قال: " على الثَّرى "، قال: صدقت، وهل تحت الثرى شيء؟ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " سؤالك هذا خطأ؛ لا يعلم ما تحت الثرى إلا الله تعالى ".

وروي عن قتادة، عن أبي خالد رضي الله عنه: الدنيا أربعة عشر ألف فرسخ؛ منها ألف فرسخ للسودان، وثمانية آلاف فرسخ للروم، وثلاثة آلاف فرسخ لأهل فارس، وألف فرسخ للعرب، وألف فرسخ للترك والصِّين.

والخامس: خلق البحَار سبعة:

قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧][(١)]؛ أولها: بحر طبرستان، والثاني: بحر كرمان، والثالث: بحر عمان، والرابع: بحر القلزم، والخامس: بحر هندستان، والسادس: بحر الروم، والسابع: بحر المغرب.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾[(٢)] [النحل: ١٤] الآية. يقول الله تعالى: جمعت في البحر ماءين مختلفين؛ هذا عذبٌ فرات سائغ شرابه، وهذا ملح أُجَاج، وجعلت بينهما برزخًا، لا يختلط أحدهما بالآخر.

---

(١) إشارة إلى بحار غير موجودة، يعني لو مدت البحار الموجودة بسبعة أبحر أخر وقوله: ﴿سَبْعَةُ﴾ ليس لانحصارها في سبعة، وإنما الإشارة إلى المدد والكثرة ولو بألف بحر، والسبعة خصصت بالذكر من بين الأعداد، لأنها عدد كثير يحصر المعدودات في العادة، والذي يدل عليه وجوه:

الأول: هو أن ما هو معلوم عند كل أحد لحاجته إليه هو الزمان والمكان، لأن المكان فيه الأجسام والزمان فيه الأفعال، لكن المكان منحصر في سبعة أقاليم والزمان في سبعة أيام، ولأن الكواكب السيارة سبعة، وكان المنجمون ينسبون إليها أموراً، فصارت السبعة كالعدد الحاصر للكثرات الواقعة في العادة فاستعملت في كل كثير.

الثاني: هو أن الآحاد إلى العشرة وهي العقد الأول وما بعده يبتدىء من الآحاد مرة أخرى فيقال أحد عشر واثنا عشر، ثم المئات من العشرات والألوف من المئات، إذا علم هذا فنقول أقل ما يلتئم منه أكثر المعدودات هو الثلاثة، لأنه يحتاج إلى طرفين مبدأ ومنتهى ووسط، ولهذا يقال أقل ما يكون الاسم والفعل منه هو ثلاثة أحرف، فإذا كانت الثلاثة هو القسم الأول من العشرة التي هو العدد الأصلي تبقى السبعة القسم الأكثر، فإذا أريد بيان الكثرة ذكرت السبعة، ولهذا فإن المعدودات في العبادات من التسبيحات في الانتقالات في الصلوات ثلاثة، والمرار في الوضوء ثلاثة تيسيراً للأمر على المكلف اكتفاءً بالقسم الأول، إذا ثبت هذا فنقول قوله عليه السلام: « المؤمن يأكل في معى والكافر يأكل في سبعة أمعاء » إشارة إلى قلة الأكل وكثرته من غير إرادة السبعة بخصوصها، ويحتمل أن يقال إن لجهنم سبعة أبواب بهذا التفسير، ثم على هذا فقولنا للجنة ثمانية أبواب إشارة إلى زيادتها فإن فيها الحسنى وزيادة فلها أبواب كثيرة وزائدة على كثرة غيرها، والذي يدل على ما ذكرنا في السبعة أن العرب عند الثامن يزيدون واواً، يقول الفراء إنما واو الثمانية وليس ذلك إلا للاستئناف لأن العدد بالسبعة يتم في العرف، ثم بالثامن استئناف جديد. [تفسير الرازي: ٢٨٤/١٢]

(٢) تسخير البحر هو تمكين البشر من التصرف فيه وتذليله بالركوب والإرفاء وغيره، وهذه نعمة من نعم الله علينا، فلو شاء سلطه علينا وأغرقنا. وقد مضى الكلام في البحر وفي صيده. وسماه هنا لحما

نظيره: أخرجت من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا، وجعلت بين الفرث والدم وبين اللحم حاجزًا؛ لا يختلط اللَّبن بالدم، والدم باللَّبن.

ونظيره: جمعت الشهد والسم في النَّحل، فالسُّم سبب هلاك الأحياء، والشهد سبب شفاء المرضى، وجعلت بينهما حاجزًا، لا يختلط أحدهما بالآخر.

ونظيره: كذلك جمعت في المؤمن النَّفس والقلب، فالنفس تميل إلى الدنيا، والقلب يميل إلى العقبى، فأعطيت له الدين مع الدنيا، وجعلت بينهما حاجزًا، فلا تضر الدنيا بالدِّين، ولا يضر الدِّين بالدنيا بفضلي وكرمي.

ونظيره: ألَّف بين الثَّلج والنَّار، كما جاء في بعض الأخبار: أن الله تعالى خلق مَلَكًا في السماء، نصفه من الثَّلج، ونصفه من النَّار، وهو يقول: سبحان من ألَّف بين الثَّلج والنَّار، فألَّف بين قلوب العِبَاد المؤمنين.

ونظيره: ألَّف بين الماء والنَّار في السَّحَاب والشَّجر؛ قوله تعالى: ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾[1] [البقرة: ١٩]، قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠][1].

=

واللحوم عند مالك ثلاثة أجناس: فلحم ذوات الأربع جنس، ولحم ذوات الريش جنس، ولحم ذوات الماء جنس. فلا يجوز بيع الجنس من جنسه متفاضلا، ويجوز بيع لحم البقر والوحش بلحم الطير والسمك متفاضلا، وكذلك لحم الطير بلحم البقر والوحش والسمك يجوز متفاضلا. وقال أبو حنيفة: اللحم كلها أصناف مختلفة كأصولها؛ فلحم البقر صنف، ولحم الغنم صنف، ولحم الإبل صنف، وكذلك الوحش مختلف، كذلك الطير، وكذلك السمك، وهو جحد قولي الشافعي. والقول الآخر أن الكل من النعم والصيد والطير والسمك جنس واحد لا يجوز التفاضل فيه. والقول الأول هو المشهور من مذهبه عند أصحابه. [تفسير القرطبي: ٧٥/١٠]

(١) هذا الترتيب باعتبار الأعم الأغلب في الوجود لوجود الظلام في كل دورة لأن كل يوم معه ليلة، وذكر الرعد بعده لأنه أكثر وجود من البرق لأن البرق لا بد معه من الرعد، والرعد قد يكون معه برق وقد لا يكون، أو لأن الرعد في الظّلمة أشد على النفوس من الرّعد في الظّلمة أشد على النفوس من الرّعد في الضوء، والآية خرجت مخرج التخويف فابتدأ فيها بما هو أشد في التخويف. [تفسير ابن عرفة: ١٣٣/١]

ونظيره: أَلَّفَ بين ماء المَحَبَّة ونار المعرفة في قلوب العِبَاد المؤمنين، فكما أنَّ الماء يصلح الأشجار والنَّار تحرق الحَطَب، كذلك المحبَّة تُصلح العبد ونار المعرفة تحرق الذُّنوب.

والسادس: خلق أعضاء الآدميين سبعة:

اليدين، والرجلين، والركبتين، والوجه، وهي أعضاء السجود؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " خلقتم من سبع، ورُزِقتم من سبع، فاسجدوا لله على سبع "(٢).

وقال بعض العلماء: أعضاء الآدمي سبعة؛ أولها: الدِّماغ، والثَّاني: العُرُوق، والثالث: العَصَب، والرَّابع: العِظَام، والخامس: اللَّحم، والسَّادس: الدَّم، والسَّابع: الجِلْد؛ قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩].

قال أهل الإشارة: خلق الله عزَّ وجل الآدميّ على سبعة أعضاء، وخلق فيها جميع ما خلق في السموات والأرض؛ فنفس الآدمي ظاهرة وباطنة عالم، والسَّماء والأرض وما بينهما عالم؛ فنفس الآدمي هي العالم الأكبر، والسماء والأرض هي العالم الأصغر.

وفي الخبر: خلق الله تعالى الحسن على سبعة أقسام: اللَّطَافة، والمَلاحة، والضِّياء، والنُّور، والظُّلمة، والرِّقة، والدِّقة. ولَّما خلق الله تعالى العالم، فرَّق هذه الأقسام على الأشياء، وجعل لكل شيء قِسْمًا واحدًا، فجعل اللَّطَافَة للجنَّة، والملاحة للحور العين،

=

(١) نبه تعالى على وحدانيته، ودل على كمال قدرته في إحياء الموتى بما يشاهدونه من إخراج المحرق اليابس من العود الندي الرطب. وذلك أن الكافر قال: النطفة حارة رطبة بطبع حياة فخرج منها الحياة، والعظم بارد يابس بطبع الموت فكيف تخرج منه الحياة! فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً﴾ أي إن الشجر الأخضر من الماء والماء بارد رطب ضد النار وهما لا يجتمعان، فأخرج الله منه النار؛ فهو القادر على إخراج الضد من الضد، وهو على كل شيء قدير. [تفسير القرطبي: ٥٩/١٥]

(٢) أراد بقوله: "خلقتم من سبع" يعني: من نطقة ثم من علقة إلخ، وهي التارات السبع. وبقوله: "رزقتم من سبع" قوله: (حباً وعنباً إلى أبا) لعل الحدائق خارجة عن الحساب لأنها منابت تلك المرزوقات. وبقوله: (فاسجدوا على سبع) الأعضاء السبعة وهي: الوجه واليدان والركبتان والرجلان. [روح البيان ٢٦٤/١٠]

والضِّياء للشمس، والنُّور للقمر؛ قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥][(١)]، والظُّلمة للَّيل، والرِّقَّة للماء، والدِّقَّة للهَوَاء.

وزيَّن السَّماء والأرض بهذه الأقسام وهي العالم الأصغر، وخلق آدم وحوَّاء، وهو العالم الأكبر، وزيَّنه بهذه الأقسام، فجعل اللَّطافة لروحه، والملاحة لجسده، والضياء لوجهه، والنور لعينيه، والظُّلمة لشِعْرِه، والرِّقَّة لقلبه، والدِّقة لسرِّه، وكان ابن آدم أحسن من كل شيء، واجتمع فيه ما تفرَّق في كلِّ الأشياء، فإن كان للسَّماء عُلُو فللآدميّ القامة، وإن كان في الفُلْك شمس وقمر فللآدمي عيناه، وإن كان للفُلْك نجوم فللآدمي الأسنان، وإن كان للفلك الدور فللآدميّ السَّير، وإن كان للسَّماء القطرة فلعين الآدمي العبرة، وإن كان للسماء صاعقة فللآدميّ عطسة، وإن كان للبرق اللَّمعة فللآدميّ اللَّمحة، وإن كان للأرض زلزلة فللآدمي الرَّعْدَة، وإن كان للأرض القَرَار فللآدميّ السُّكون والوَقَار، وإن كان في الأرض أنهار فللآدميّ العُرُوق، وإن كان للأرض النبَات والأشجار فللآدميّ الشُّعُور.

نوع آخر: وإن كان في السَّماء العَرْش فهمَّة المؤمن أعظم مِنْه، وإن كان في السَّماء الجنَّة، ففي المؤمن القلب، وهو أَزْيَنُ مِنْهَا؛ لأنَّ الجنَّة محل الشَّهوة، والقلب محل المعرفة، والجنة بيت المخلوق، والقلب بيت الخالق؛ حديث قدسي: قال الله تعالى: " مَا وَسِعَنِي أَرْضِي وَلا سَمَائِي، بل وَسِعَنِي قَلْبُ[(٢)] عَبْدِي الْمُؤْمِنِ "[(١)]، وخازن الجنَّة رضوان، وخازن

---

(١) قال الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: يخبر الله – تعالى – عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته، وعظيم سلطانه، أنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياء، وجعل شعاع القمر نورا، هذا فن وهذا فن آخر، ففاوت بينهما لئلا يشتبها، وجعل سلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل، وقدر القمر منازل، فأول ما يبدو القمر يكون صغيرا ثم يتزايد نوره وجرمه حتى يستوسق ويكمل إبداره، ثم يشرع فى النقص حتى يرجع إلى حالته الأولى. فبالشمس تعرف الأيام، ويسير القمر تعرف الشهور والأعوام. [الوسيط: ٤/٤٦٥]

(٢) ليس هذا القلب عبارة عن البضعة الصنوبرية فإنها عند كل عاقل أحقر من حيث الصورة أن تكون محل سره جل وعلا فضلا عن أن تسعة سبحانه وتكون مطموح نظره الأعلى ومستواه عز شأنه وهي وأن سميت قلبا فإنما تلك التسمية على سبيل المجاز، وتسمية الصفة والحامل باسم الموصوف والمحمول بل القلب الإنساني عبارة عن الحقيقة الجامعة بين الأوصاف والشؤون الربانية وبين الخصائص والأحوال الكوفية الرومانية منها والطبيعية وتلك الحقيقة تنشيء من بين الهيئة الاجتماعية الواقعة بين

قلب المؤمن الرَّحمن؛ وقد روي أن نبيًّا من الأنبياء ناجى ربَّه، فقال: إلهي؛ لكل ملك خزانة، فأين خزانتك؟ قال الله تعالى: لي خزانة أعظم من العرش، وأوسع من الكرسي، وأطيب من الجنَّة، وأزين من الملكوت؛ قلب المؤمن، أرضه المعرفة، وسماؤه الإيمان، وشمسه الشَّوق، وقمره المحبَّة، ونجومه الخَوَاطر، وترابه الهِمَّة، وجدَاره اليقين، وسحابه العَقْل، ومَطَره الرَّحمة، وأشجاره الطَّاعَة، وأثْمَاره الحِكْمَة، ولها أربعة أركان: ركن من التَّوَكُّل، وركن من الصَّبر، وركن من اليقين، وركن من العِزَّة. ولها أربعة أبواب: باب من العلم،

=

الصفات والحقائق الإلهية والكونية وما يشتمل عليه هذان الأصلان من الأخلاق والصفات اللازمة وما يتولد من بينهما بعد الارتياض والتزكية، والقلب الصنوبري منزل تدلي الصورة الظاهرة من بين ما ذكرنا التي هي صورة الحقيقة القلبية، ومعنى وسع ذلك للحق جل وعلا على ما في مسلك الوسط الداني كونه مظهراً جامعاً للأسماء والصفات على وجه لا ينافي تنزيه الحق سبحانه من الحلول والاتحاد والتجزئة وقيام القديم بالحادث ونحو ذلك من الأمور المستحيلة عليه تعالى شأنه، هذا لكن ينبغي أن يعلم أن هذا الخبر وإن استفاض عند الصوفية قدست أسرارهم إلا أنه قد تعقبه المحدثون، فقال العراقي: لم أر له أصلا.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: هو مذكور في الإسرائيليات وليس له إسناد معروف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكأنه أشار بما في الإسرائيليات إلى ما أخرجه الإمام أحمد في الزهد عن وهب بن منبه قال: إن الله تعالى فتح السموات لحزقيل حتى نظر إلى العرش فقال حزقيل: سبحانك ما أعظمك يا رب فقال الله تعالى: إن السموات والأرض ضعفن من أن يسعنني ووسعني قلب عبدي المؤمن الوادع اللين.

نعم لذلك ما يشهد له فقد قال العلامة الشمس ابن القيم في شفاء العليل ما نصه، وفي المسند وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم: « القلوب آنية الله تعالى في أرضه فاحبها إليه أصلبها وأرقها وأصفاها » انتهى.

وروى الطبراني من حديث أبي عنبسة الخولاني رفعه « إن لله تعالى آنية من الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينا وأرقها » وهذا الحديث وإن كان في سنده بقية بن الوليد وهو مدلس إلا أنه صرح فيه بالتحديث؛ ويعلم من مجموع الحديثين أربع صفات للقلب الأحب إليه تعالى اللين وهو لقبول الحق والصلابة وهي لحفظه فالمراد بها صفة تجامع اللين والصفاء والرقة وهما لرؤيته. [تفسير الألوسي ١٨٢/١٢]

(١) رواه الغزالى في الإحياء (١٤/٣).

وباب من الحلم، وباب من الرضا، وباب من الصَّبر. وعلى الكلِّ قفل من الفكر؛ ألا وهو القلب؛ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إنَّ الله تعالى يَقولُ: يا ابنَ آدَمَ؛ أوْدِعْ مِنْ كَنْزِكَ عِنْدِي ولا حَرَقَ ولا غَرَقَ ولا سَرَقَ.. "[1]، وقيل: إنَّ الله تعالى ينظر في كل يوم وليلة ثلاث مائة وستين نظرة في قلب كل مؤمن ومؤمنة.

ونوع آخر: خلق الله في العالم سبع سموات، وخلق في الآدميّ سبعة أعضاء، وخلق في العالم الحيوان، وخلق في الآدميّ القُمَّل والبَرَاغِيث والصئبان، وخلق في العالم شمس، وخلق مثلها في القلب المعرفة، وفي العالم قمر، ومثله العقل، وفي العالم النُّجوم، ومثلها العُلُوم، وفي العالم الطُّيور، وفي الآدميّ الخواطر، وفي العالم الجبال، وفي الآدمي العظام، وفي العالم أربعة مِيَاه: عَذْب، ومُرّ، ومِلْح، ومنتن. وفي الآدمي كذلك؛ العذب في الفم، والمُر في الأذنين، والمالح في العينين، والمنتن في الأنف، كما قال الله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١][2]، تفكَّر يا ابن آدم؛ خلقتك وصورتك على سبعة أعضاء، وعلى سبعين مفصلا، ومائة وثمانية وأربعين عظمةً، وثلاث مائة وستين عِرقًا، ومائة ألف وأربعة وعشرين ألف منبت شعر اليَدَين والرِّجلين والعينين والأذنين، وسائر الأعضاء، حياتها بروح واحدة.

وكذلك العرش والكرسي، والجنة والنار، واللَّوح والقلم، والسَّماء والأرض، والأنهار والبِحَار، والأنبياء والملائكة، والجنّ والإنس، من العرش إلى الفرش، ومن الفلك إلى السمك، ومن العُلا إلى الثَّرَى، أجناس مختلفة الصور والأجناس، وخالقهم الواحد القهَّار، العزيز الجبَّار.

---

(١) انظر: جمع الجوامع (٥٣٠٣)، والكنز (٢٩٨٥٨).

(٢) فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أنه سبيل الغائط والبول، قاله ابن الزبير ومجاهد.

الثاني: تسوية مفاصل أيديكم وأرجلكم وجوارحكم دليل على أنكم خلقتم لعبادته، قاله قتادة.

الثالث: في خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون، قاله ابن زيد.

الرابع: في حياتكم وموتكم وفيما يدخل ويخرج من طعامكم، قاله السدي.

الخامس: في الكبر بعد الشباب، والضعف بعد القوة، والشيب بعد السواد، قاله الحسن.

ويحتمل سادساً: أنه نجح العاجز وحرمان الحازم. [النكت والعيون: ٤/١٧١]

السابع: خلق الأيَّام السَّبعة:

الأحد، الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة، والسَّبت، فإذا تفكَّر العاقل في حقائق هذه الكلمات، علم أن السموات سبع، والأرضين سبع، والبِحَار سبع، والنيران سبع، والأقاليم سبع، وأعضاء الآدمي سبع، وخلقه من سبع، ورزقه من سبع، فهذه الأشياء السَّبعة دليل على أن الخالق ليس بسبعة، ولا من سبعة، ولا في سبعة، ولا على سبعة، ولا تحت سبعة؛ بل هو خالق سبعة، ورازق سبعة، ومحيي سبعة، ومُميت سبعة.

قال بعض العلماء: إن الله خلق السَّموات والأرضين في يوم الأحد، فمن أراد البِنَاء والغِرَاس فليبنِ فيه، وخلق الشَّمس والقمر في يوم الاثنين، وصفتهما السير فمن أراد السَّفر فليسافر فيه، وخلق الحيوان والبهائم في يوم الثُّلاثاء وأباح ذبحها وإهراق دمها، فمن أراد الحجامة فليحتجم فيه، وخلق البِحَار والأنهار في يوم الأربعاء وأباح شرب مائها، فمن أراد شرب الدَّواء فليشرب فيه، وخلق الجنة والنَّار في يوم الخميس، وجعل النَّاس محتاجين إلى دخول الجنة والنَّجاة من عذاب النَّار؛ فمن أراد أن يسأل حاجة من أحد فليسأل فيه، وخلق آدم وحواء في يوم الجمعة وزوجهما فيه، فمن أراد عقد التزويج فليتزوَّج فيه.

كما قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عنه في ذلك المعنى شعرًا[1]:

لَنعمَ اليومُ يومُ السبتِ حَقاً ... لِصيدٍ إن أردت بلا امتراءِ
وفي الأحد البناءُ لأنَّ فيه ... تبدَّى الله في خَلْقِ السماءِ
وفي الاثنين إنْ سَافَرتَ فيه ... نجوت من المصائب والبلاءِ
وإن رُمْتَ الفَصَاد ففِي الثلاثا ... ففي ساعاته سفك الدماء
وإن شربَ امرؤٌ منكم شرابًا ... فنِعْمَ اليوم يومُ الأربعاءِ
وفي يوم الخميس قضاءُ الحوائج ... فإن الله آمر بالقضاء
ويومُ الجُمُعةِ التَّزْوِيجُ فيها ... ولَذَّاتُ الرِّجالِ معَ النِّساءِ
وهذا العلم لا يحويه إلا ... نبي أو وصي الأنبياءِ

(١) انظر: روح المعاني (٨٧/٢٧)، والبدء والتاريخ (٧٩/١)، والشماريخ (٣٨/١)، وصبح الأعشى (٣٩٣/٢).

وقال بعض العلماء: إن الله تعالى سمَّى يوم الأحد باسمين من أسماءِ نفسه أحدهما: الأوَّل، والثاني: الأحد، وإنما سماه أولا؛ لأنَّه أوَّل يوم ابتدأ فيه خلق الأشياء، يقول الله عزَّ وَجَلَّ: " يوم الأحد أوَّل الأيَّام، لم يكن قبله شيء، ومولاك كان و لم يكن حي؛ أي: غير الله تعالى، لا إله إلا هو الملك الحق المبين ".

شعر[1]: [الكامل]

نَقِّل فُؤادَكَ حَيثُ شِئتَ مِنَ الهَوى ... ما الحُبُّ إلا لِلحَبيبِ الأوَّلِ

كَم مَنزِلٍ في الأرضِ يَألَفُهُ الفَتى ... وحبيبه أَبَداً في أوَّل مَنزِلِ

والحبيب الأوَّل هو الله تعالى، و﴿هُوَ الأوَّل وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣] الآية.

فأنت نقِّل قلبك إلى محبة الأم، ثمَّ إلى محبة الأب، ثم إلى محبة غيرهما من الأولاد والأزواج والأموال، فإذا مِتَّ انقطع القلب عن محبتهم، ويقطعون قلوبهم عن محبَّتِك، فيقول الله عزَّ وجَلَّ: " عَبْدِي؛ أنا حبيبُكَ الأوَّل، أحببتني يوم الميثاق، وكل الأحباء هَجَرُوك وأنا أَصِلُك، فارجِعْ إليَّ حَتَّى أُكْرِمك بكَرَامة الأحياء "؛ قوله تعالى: ﴿يَأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[2] [الفجر: ٢٧ - ٢٨].

عبارة أخرى: " عبدي؛ أحباؤك أربعة: حبيب يصلح لأولك ولا يصلح لآخرك، وحبيب يصلح لآخرك ولا يصلح لأولك، وحبيب يصلح لظاهرك ولا يصلح لباطنك، وحبيب يصلح لباطنك ولا يصلح لظاهرك. أما الأوَّل؛ فهما الأبوان؛ يخدمانك في صغرك، فإذا كبرا يكونان ضعيفين، لا يقدران على أن يربياك. وأمَّا الثَّاني؛ فأولادك؛ يخدمونك إلى آخر عمرك، وأما الثالث الذي يصلح لظاهرك ولا يصلح لباطنك؛ فهم الأخلاء والأصدقاء من الرِّجال. وأما الرَّابع الذي يصلح للباطن ولا يصلح للظَّاهر؛ فأزواجك؛ يصلحن للباطن

---

(١) من شعر أبي تمام، وانظر: أخبار أبي تمام (٤٠/١)، والبيان والتبيين (٥٣٣/١)، والحماسة المغربية (١٠٢/١).

(٢) يا أيتها النفس المؤمنةُ المخلِصة الطاهرة، لا يلحقُك اليومَ خوفٌ ولا فزع. ارجِعي الى رضوان ربك راضيةً بما أُوتيتِ من النعم، مرضيّة بما قدَّمتِ من عمل، فادخُلي في زُمرة عبادي وادخلي جنَّتي، دارَ الخُلد وموطن الأبرار الصالحين. [تفسير القطان: ٤٣٣/٣]

من أمورك، ولا يقدرن على ظاهر أمورك، فيقول الله عز وجل: " عبـــدي؛ إذا أردت أن تحبَّ أحدًا فأَحِبَّني؛ فإنِّي حبيب أصلح للأوَّل والآخر، والظَّاهر والباطن ".

وثانيًا: سمَّاه: يوم الأحد. والأحد من أسماء الله تعالى، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّـــهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

فالأحد في القرآن على سبعة معانٍ؛ يُذكر في موضع والمراد منه:

قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [البلد:٥].

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ [البلد: ٧]؛ بمعني: الله تعالى[(١)].

ويذكر في موضع ويراد به: المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قوله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾ [آل عمران: ١٥٣] يعني: النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقَوْلُهُ تعالى: ﴿وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ [الحشر: ١١][(٢)].

---

(١) أي هو غافل عن قدرة الله تعالى وعن علمه المحيط بجميع الكائنات الدال عليهما أنـــه خلـــق الإدراك التي منها العيان، وخلق آلات الإبانة وهي اللسان والشفتان، فكيف يكون مفيض العلم علـــى الناس غير قادر وغير عالم بأحوالهم قال تعالى: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]. والاستفهام يجوز أن يكون تقريريا وأن يكون إنكاريا. [التحرير والتنوير: ٣١٢/٣٠]

(٢) ذَكَرَ بَعْضُ المُفَسْرين أنَّ الأحَدَ في القرآنِ على أربْعَةِ أوجُهٍ:

أحَدُها: اللهُ عزَّ وجَلَّ؛ وَمِنْهُ قوله تعالى في (البلد): ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُـــولُ أَهْلَكْتُ مَالا لُبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾.

والثاني: مُحَمَّدٌ عليه السلام؛ وَمِنْهُ قوله تعالى في (آل عمران): ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾ [آية:١٥٣].

وفي (الحشر): ﴿وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ [آية:١١].

والثالث: بلالُ بن حمامة؛ وَمِنْهُ قوله تعالى في (الليل): ﴿وَمَا لأحَدٍ عِنْدَهُ مِـــنْ نِعْمَـــةٍ تُجْـــزَى﴾ [آية:١٩]؛ أي: ما لبلال عند أبي بكر حين اشتراه وأعتقه من نعمةٍ تُجْزَى.

والرابع: بمعنى الواحد؛ وَمِنْهُ قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [آية:١]. [نزهة الأعين النواظر: ٤٩/١]

ويذكر في موضع ويراد منه: بلال رضي الله عنه؛ قوله تعالى: ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ [الليل: ١٩]؛ معناه: ما لبلالٍ عند أبي بكر رضي الله عنه من نعمة تُجْزَى.

ويذكر في موضع ويراد منه: إمليخا - رجل من أصحاب الكهف -، قوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ [الكهف: ١٩] الآية.

ويذكر في موضع ويراد منه: دقيانوس؛ قوله تعالى: ﴿وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾؛ يعني: دقيانوس الملك.

ويذكر في موضع ويُرَاد منه: زيد بن حارثة؛ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّد أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، مع قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ [الأحزاب:٣٧] الآية.

ويذكر في موضع ويُرَاد منه واحد من المخلوقين؛ قوله تعالى: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]؛ يعني: لا يريد بذلك غير الله تعالى. وإنَّما سَمَّاه الله تعالى: يوم الأحد؛ لأنَّ النَّصارى قالوا: هذا يومنا، فنفاه الله عنهم وقال: يوم الأحد.

وافترقت النَّاس بعد عيسى عَلَيْهِ السَّلام على أربع فِرَق: النّسطوريَّة، واليعقوبيَّة، والملكانيَّة، وأهل الحق. فقال النّسطوريّة س- لعنهم الله تعالى -: عيسى ابن الله، وزوجته مريم. وقالت اليعقوبية - لعنهم الله -: بل عيسى هو الله، نزل من السَّماء إلى رَحِم مريم، ثمَّ خرج إلى الأرض. تعالى الله عَمَّا يقولون عُلُوًّا كبيرًا، وقالت الملكانيَّة - لعنهم الله -: الآلهة ثلاثة: مريم، وعيسى، والله. كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال أهل الحق رحمهم الله تعالى: لا، بل عيسى عبد الله، ومريم أمة الله تعالى، فأنزل الله تعالى تصديقًا لأهل الحق، وتكذيبًا لقول النَّصارى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤][1]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

---

(١) يقول تعالى ذكره: هذا الذي بيَّنت لكم صفته، وأخبرتكم خبره، من أمر الغلام الذي حملته مريم، هو عيسى ابن مريم، وهذه الصفة صفته، وهذا الخبر خبره، وهو(قَوْلَ الْحَقِّ) يعني أن هذا الخبر الذي قصصته عليكم قول الحقّ، والكلام الذي تلوته عليكم قول الله وخبره، لا خبر غيره، الذي يقع

وقال بعض العلماء: سبب نُزُول هذه الآية والسُّورة أنَّ كل واحد من الكفَّار والمشركين ادَّعى إلهًا، وزعم أنَّه شريك الله، فأنزل الله تعالى ردًّا عليهم قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلخ؛ أي: ليس له شريك ولا نَظير، ولا نِد، ولا نصير، وهو السميع البصير.

وقال بعضهم: إن مشركي العرب، قالوا: يا مُحَمَّد؛ انسب لنا ربك من أي جنس هو؛ من ذهب، أم من فِضَّة، أم من حديد، أم من صفر؟ فاغتَّم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يجبهم بشيء، فنزل عليه جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام، فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]. وقال: يا جريء الجنان، ويا لطيف اللِّسان، ويا أيها النَّبِيّ المعظَّم، ويا أيُّها الرَّسول المُكَرَّم، قل: هو الله أحد، الله الصَّمد. يعني: السيد الذي قد انتهى سوددِه. وقيل: الصَّمد: الذي يُصْمَد إليه في الحوائج؛ أي: يقصد. وقيل: الصَّمد: الذي لا يأكل ولا يشرب. وقيل: الصَّمد: الَّذي لا يقوم به ولا ينام. وقيل: الصمد: الذي لم يلد ولم يولد.

وقال ابن عبَّاس رَضِيَ الله عنهما: الصَّمَد: الَّذِي ليس فوقه أحد، وقال كعب الأحبار[1] رضي الله عنه: الصَّمَد: الَّذي لا يصلِّ لوصف صفاته أحد. وقال مقاتل رضي

=

فيه الوهم والشكّ، والزيادة والنقصان، على ما كان يقول الله تعالى ذكره: فقولوا في عيسى أيها الناس، هذا القول الذي أخبركم الله به عنه، لا ما قالته اليهود، الذين زعموا أنه لغير رشدة، وأنه كان ساحرًا كذّابا، ولا ما قالته النصارى، من أنه كان لله ولدا، وإن الله لم يتخذ ولدا، ولا ينبغي ذلك له. [تفسير الطبري:١٨/١٩٣]

(١) هو كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة الحبر، الذي كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر رضي الله عنه، فجالس أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فكان يحدثهم عن الكتب الاسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة.

انظر: طبقات ابن سعد ٧/٤٤٥، المحبر: ١٣١، التاريخ الكبير ٧/٢٢٣، التاريخ الصغير ١/٦٢، المعارف: ٤٣٠، الجرح والتعديل ٧/١٦١، جمهرة أنساب العرب: ٤٣٤، تاريخ ابن عساكر ١٤/٢٨٠آ، أسد الغابة ٤/٤٨٧، تهذيب الأسماء واللغات ١/٢/ ٦٨، تهذيب الكمال: ١١٤٦، تذكرة الحفاظ ١/٤٩، العبر ١/٣٥، تذهيب التهذيب ٣/١٧٠آ، الإصابة ٣/٣١٥، تهذيب التهذيب ٨/٤٣٨، النجوم الزاهرة ١/٩٠، خلاصة تذهيب الكمال: ٢٧٣، شذرات الذهب ١/٤٠.

الله عنه: الصَّمد: الذي لا عيب له. وقال مالك رضي الله عنه: الصَّمَد: الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: الصَّمَد: الذي يستغنى عن كل شيء، ويحتاج إليه كل شيء. وقال عليّ كرَّم اللهُ وَجْهَهُ ورَضِيَ الله عَنْهُ: الصَّمد: الذي هو بكل شيء محيط.

نوع آخر: (قل) إثبات الوحي والتنزيل، (هو) براءة من النفي والتعطيل، (الله) براءة من الكُفْر والتَّبديل، (أحد) براءة من الشِّرك والتَّعديل، (الله الصَّمد) نفي الآفات عنه بالتَّفصيل، (لم يلد و لم يولد) نفي التَّكثير والتَّفضِيل، (و لم يكن له كفوًا أحد) نفي التَّشبيه والتَّمثيل.

نوع آخر: يا عارف قل هو، يا مشتاق قل الله، يا مطيع قل أحد، يا زاهد قل الصمد، يا عالم قل لم يلد، يا عابد قل و لم يولد، يا عاصي قل و لم يكن له كفوًا أحد.

نوع آخر: يا قلب قل هو، يا سرُّ قل الله، يا روح قل أحد، يا لسان قل الصَّمد، يا سمع قل لم يلد و لم يولد، يا بصر قل و لم يكن له كفوًا أحد.

نوع آخر: كان الله تعالى: يقول: أيُّها الطَّالبون هو إشارتي، ويا أيُّها الرَّاغبون الله اسمي، ويا أيُّها الموحِّدون أحد نَعْتِي، ويا أيُّها المشتاقون الصَّمد صِفَتِي، ويا أيها العالمون لم يلد و لم يولد نِسْبَتِي، ويا أيها العارفون و لم يكن له كفوًا أحد هَيْئَتِي.

الْمَجْلِسُ الثَّالِثُ: فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ

قال الله تعالى: ﴿لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[١] [النحل: ٥١]. وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: سُئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن يوم الاثنين، فقال: " يوم سفر وتجارة "، قالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: " لأنَّ فيه سافر شيث النَّبِيّ عَلَيْهِ السَّلام للتِّجارة، وربح في تجارته "[٢].

بساط المجلس: قال بعض العلماء: خصَّ الله يوم الاثنين بسبع فضائل:

الأولى: أن إدريس عَلَيْهِ السَّلام صعد إلى السَّمَاء يوم الاثنين.

والثانية: ذهب موسى عَلَيْهِ السَّلام إلى الطُّور في يوم الاثنين.

والثالثة: نزل دليل وحدانيَّة الله تعالى يوم الاثنين.

والرابعة: وُلِدَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم الاثنين.

والخامسة: أول ما نزل جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم الاثنين.

والسادسة: تُعْرَض أعمال الأمَّة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم الاثنين.

والسَّابعة: وفاة النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم الاثنين.

---

(١) إلهين: مفعول أول، واثنين: تأكيد، والثاني: محذوف، أي: معبودين لكم، وفائدة التأكيد: التنبيه على أن المقصود هو النهي عن الإثنينية؛ تنبيهًا على أن الإثنينية تنافي الألوهية، كما ذكر الواحد في قوله: ﴿إنما هو إله واحد﴾؛ إثبات الوحدانية دون الإلهية. قاله البيضاوي. وعبارة صاحب المطول: لفظ إلهين حامل لمعنى الجنسية – أعني: الإلهية – ومعنى العدد – أعني: الإثنينية – وكذا لفظ « الله » حامل لمعنى الجنسية والوحدة، والغرض المسوق له الكلام في الأول: النهي عن اتخاذ الاثنين من الإله؛ لا إثبات جنسه، فَوَصَفَ الإلهين باثنين وإله بواحد؛ إيضاحًا لهذا الغرض وتفسيرًا له. هـ. ويحتمل أن يكون « اثنين » مفعولا أولا، و « إلهين » مفعولا ثانيًا. [البحر المديد:٣/٢٧٠]

(٢) انظر: روح البيان (١٣/٤).

أمَّا الأوَّل؛ صَعَدَ إدريس عَلَيْهِ السَّلام إلى السَّماء في يوم الاثنين:

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٦ - ٥٧][1].

وكان اسم إدريس: أخنوخ، وسمِّيَ بإدريس لِكَثْرَة درسه في كتاب الله تعالى، وكان يخيط في كل يوم قميصًا، وكُلَّما غرز إبرة يسبح الله تعالى، فإذا خلص القميص سلَّمه إلى صاحبه، ولم يطلب الأجرة، ومع ذلك يعبد الله تعالى في كل يوم وليلة عبادةً يعجز الواصفون من وصفها، حتى اشتاق إليه مَلَكَ الموت، وسأل الله تعالى أن يأذن له في زيارته، فأَذِنَ له، فأتى إليه على صورة آدميّ، وسلَّم عليه وجلس عنده، وكان إدريس عَلَيْهِ السَّلام صائم الدَّهر، فإذا كان وقت إفطاره أتاه مَلَكَ بطعام الجنَّة فيفطر به، ثمَّ يقوم ويشتغل بعبادة ربِّه، فأتاه مَلك الموت في تِلْكَ اللَّيلة بطعام من الجنَّة، فأكل إدريس عَلَيْهِ السَّلام، وقال لملك الموت: كُلْ أنت أيضًا، فلم يأكل، فقام إدريس عَلَيْهِ السَّلام واشتغل بالعبادة

---

(١) إدريس: اسم جعل علما على جد أبي نوح، وهو المسمى في التوراة أخنوخ. فنوح هو ابن لامك بن متوشالح بن أخنوخ، فلعل اسمه عند نسابي العرب إدريس، أو أن القران سماه بذلك اسما مشتقا من الدرس. واسمه هرمس عند اليونان، ويزعم أنه كذلك يسمى عند المصرين القدماء، والصحيح أن اسمه عند المصريين توت أو تحوتي أو تموتي لهجات في النطق باسمه.

وذكر ابن العبري في تاريخه أن إدريس كان يلقب عند قدماء اليونان "طريسمجيسطيس"، ومعناه بلسانهم ثلاثي التعليم، لأنه كان يصف الله بثلاث صفات ذاتية وهي الوجود والحكمة والحياة اهـ.

ولا يخفى قرب الحروف الأولى في هذا الاسم من حروف إدريس، لعل العرب اختصروا الاسم لطوله فاقتصروا على أوله مع تغيير.

وكان إدريس نبيا، ففي الإصحاح الخامس من سفر التكوين وسار أخنوخ مع الله. قيل: هو أول من وضع للبشر عمارة المدن، وقواعد العلم، وقواعد التربية، وأول من وضع الخط؛ وعلم الحساب بالنجوم وقواعد سير الكواكب، وتركيب البسائط بالنار فلذلك كان علم الكيمياء ينسب إليه، وأول من علم الناس الخياطة. فكان هو مبدأ من وضع العلوم، والحضارة، والنظم العقلية.

فوجه تسميته في القرآن بإدريس أنه اشتق له اسم من الفرس على وزن مناسب للأعلام العجمية، فلذلك منع من الصرف مع كون حروفه من مادة عربية، كما منع إبليس من الصرف، وكما منع طالوت من الصرف. [التحرير والتنوير:١٦/٥٧]

والملك جالس عنده، حتى طلع الفجر وطلعت الشمس واستبان النَّهار، والرَّجل جالس عنده، فتعجَّبَ إدريس عَلَيْهِ السَّلام، وقال: يا هذا؛ أتسير معي إذا سِرت حتى تتفرَّجَ؟ فقال مَلَك الموت: نَعَم. فقاما وسارا حتَّى أتيا مزرعة، فقال مَلَك الموت: يا إدريس؛ أتأذن لي أن آخذ من هذا الزَّرع سنابل للأكل؟! فقال إدريس: سَبْحَان الله! لَمْ تأكل الطَّعام الحلال بالأمس، وتريد اليوم الأكل من الحرام! فمضيا حتى مضى عليهما أربعة أيَّام، وكان إدريس عَلَيْهِ السَّلام يَرَى منه ما يخالف طبع البشر، فقال: مَنْ أنت؟ فقال: أنا مَلكَ الموت، قال: أنت الذي تقبض الأرواح؟ قال: نعم، فقال له إدريس: أنت عندي منذ أربعة أيام، فهل قبضت روح أحد؟ قال: نعم؛ قبضت أرواحًا كثيرة، وأرواح الخلق عندي كالمائدة، أتناولها منها كما تُتَنَاول اللُّقمة. فقال إدريس: يا مَلَكَ الموت؛ أجئتَ زائرًا بإذن الله أم قابضًا؟ قال: جئتُ زائرًا بإذن الله عزَّ وجل، ثمَّ قال إدريس: يا مَلَك الموت؛ حاجتي عندك أن تقبض روحي، ثمَّ تدعو الله تعالى أن يحييني حتى أعبد الله تعالى بعد ما ذُقت مرارة الموت، فقال ملك الموت: إني لا أقبض روح أحد إلا بإذن الله عزَّ وجل. فأوحى الله تعالى إليه أن اقبض روح إدريس، فقبض روح إدريس عَلَيْهِ السَّلام من ساعته، فمات إدريس عَلَيْهِ السَّلام، فبكى مَلكَ الموت عَلَيْهِ السَّلام، وتضرَّع إلى الله تعالى أن يحيي صاحبه إدريس، فأجاب الله تعالى سؤله وأحياه، فعانقه مَلَك الموت، وقال: يا أخي؛ كيف وجدت مرارة الموت؟ قال: إن الحيوان إذا سُلخ جلده حال حياته، فمرارة الموت أشدُّ منه ألف مرَّة. فقال ملك الموت: الرفق الذي فعلته بك في قبض روحك ما فعلتُه بأحد غيرك قطُّ، ثمَّ قال إدريس: يا ملك الموت؛ لي إليك حاجة أخرى، أريد أن أرى نار جهنَّم وأعبد الله تعالى بعد ما أبصرت الأنكال والأهوال، فقال ملك الموت: كيف أذهب بك إلى نار جهنم بغير أمر من الله تعالى، فأوحى الله تعالى إليه أنِ اذهب بإدريس إلى جهنَّم، فذهبا إليها، فرأى فيها جميع ما خلق الله تعالى لأعدائه من السلاسل والأغلال والأنكال، ومن الحيَّات، والعقارب، والنِّيرَان، والقَطْرَان، والزَّقُّوم، والحَمِيم. ثمَّ رَجعَا، فقال إدريس عَلَيْهِ السَّلام: يا ملك الموت؛ لي حاجة أخرى، أريد أن تذهب بي إلى الجنَّة حتَّى أرى ما خلق الله لأوليائه، وأزيد في طاعتي، فقال ملك الموت: كيف أذهب بك إلى الجنة بغير أمر الله عزَّ وجلَّ؟ فأمره الله تعالى أن يذهب به إلى الجنَّة، فذَهَبَا فوقفا على باب الجنَّة، فرأى إدريس عَلَيْهِ

السَّلام ما فيها من النَّعيم والملك العظيم، والعطاء الجسيم، والأشجار والأنهار، والفواكه والثمار، فقال: يا أخي يا ملك الموت؛ قد ذُقتُ مرارة الموت، ورأيت أهوال الجحيم وأفزاعها، فهل لك أن تسأل الله تعالى أن يأذن لي في الدُّخُول إلى الجنَّة، وأشرب من مائِهَا، لتزول عني مرارة الموت، وأفزاع الجحيم؟ فاستأذن ملك الموت من الله تعالى، فأَذِنَ له أن يدخل ثمَّ يخرج، فدخل الجَنَّة، ووضع نَعْله تحت شجرة من أشجارها، وخرج من الجنة، وقال: يا ملك الموت؛ تركتُ نعليَّ في الجنة، قال: فارجع فخذ نعلك، فدخل و لم يخرج، فصاح ملك الموت: يا إدريس؛ اخرج، فقال: لا؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقد ذُقْتُ الموت، ويقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، وقد وَرَدْتُ على النَّار، ويقول الله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾. فأوحى الله إلى ملك الموت: دعه؛ فإني قضيت في الأزل أن يكون في الجنة.

وأخبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قِصَّتِهِ في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٦ - ٥٧].

شعر:

طُوبَى لإدريس هُو في الفراديس ... نال الفراديس في الدنيا بتدريس

أعطاه رب السَّما بالدَّرس سابقةً ... من فضله وكفاه شر إبليس

والثَّاني: سافر موسى عَلَيْهِ السَّلام إلى جبل طور سيناء يومَ الاثنين:

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾[1] [الأعراف: ١٤٣] الآية.

---

(١) أي للوقت الذي ضربه له أي لتمام الأربعين كما تقول أتيته لعشر خلون من الشهر ومعنى اللام الاختصاص والجمهور على أنه وحده خصّ بالتكليم إذ جاء للميقات، وقال القاضي: سمع هو والسبعون كلام الله، قال ابن عطية: خلق له إدراكاً سمع به الكلام القائم بالذات القديمة الذي هو صفة ذات، وقال ابن عباس وابن جبير: أدنى الله تعالى موسى حتى سمع صريف الأقلام في اللوح المحفوظ وقال الزمخشري: ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه أنْ يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام كما خلقه محفوظاً في اللوح وروي أن موسى كان يسمع الكلام في كل جهة، وعن ابن عباس كلمة أربعين يوماً وأربعين ليلة وكتب له الألواح، وقيل: إنما كلمة في أول الأربعين انتهى، وقال وهب كلمه في ألف مقام وعلى أثر كل مقام يرى نور على وجهه ثلاثة أيام و لم يقرب النساء مذ كلّمه

وكان لموسى عَلَيْهِ السَّلام سبعة أسفار في يوم الاثنين:

الأول: سفر الغضب.

والثاني: سفر الهرب.

والثالث: سفر الطَّلب.

والرابع: سفر السَّبَب.

والخامس: سفر العجب.

والسادس: سفر الأدب.

والسابع: سفر الطرب.

أما سفر الغضب؛ حين ألقته أمه في البحر خوفًا من غضب فرعون عليه اللَّعنة؛ قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص:٧][(١)].

=

الله وقد أوردوا هنا الخلاف الذي في كلام الله وهو مذكور ودلائل المختلفين مذكور في كتب أصول الدين وكلّمه معطوف على جاء، وقيل حال وعدل عن قوله وكلمناه إلى قوله ﴿ وَكَلَّمَهُ ﴾ ربه للمعنى الذي عدل إلى قوله ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ و ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ﴾. [البحر المحيط:٥/٤٣٩]

(١) الوحى إلى أم موسى، يجوز أن يكون عن طريق الإلهام، كما فى قوله - تعالى -: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ..﴾ أو عن طريق المنام، أو عن طريق إرسال ملك أخبرها بذلك.

قال الآلوسى: والظاهر أن الإيحاء إليها كان بإرسال ملك، ولا ينافى ذلك الإجماع على عدم نبوتها، لما أن الملائكة - عليهم السلام - قد ترسل إلى غير الأنبياء وتكلمهم.

والظاهر - أيضا - أن هذا الإيحاء كان بعد الولادة.. وقيل: كان قبلها...

و ﴿أَنْ﴾ فى قوله ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ مفسرة، لأن الوحى فيه معنى القول دون حروفه.

والخوف: حالة نفسية تعترى الإنسان، فتجعله مضطرب المشاعر، لتوقعه حصول أمر يكرهه.

والحزن: اكتئاب نفسى يحدث للإنسان من أجل وقوع ما يكرهه، كموت عزيز لديه. أو فقده لشىء يحبه.

وفى الكلام حذف يعرف من السياق، والتقدير: وحملت أم موسى به فى الوقت الذى كان فرعون يذبح الأبناء، ويستحيى النساء، وأخفت حملها عن غيرها، فلما وضعته اصابها ما أصابها من خوف

أمَّا سفر الهرب؛ حين خرج من مصر إلى مَدْيَن، قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص] الآية[1].

وسفر الطَّلب: حين رجع من مدين واحتاج إلى النَّار، فرأى نورًا فقصده وطلب النار؛ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩] الآية.

وسفر السَّبَب: حين خَرَجَ نحو البَحْر وتَبِعَه فِرْعَون عَلَيه اللَّعنة، فَصَار سفره سببًا لهلاك فرعون عليه اللَّعنة؛ قوله تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٥ - ٦٦].

وسفر العجب: حين ضلُّوا الطريق في التيه أربعين سنة، فأطعمهم الله المنَّ والسَّلْوَى، وأخرج الماء من الحجر، فشرب منه قوم موسى ودوابهم؛ قوله تعالى: ﴿إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ [الأعراف: ١٦٠]، ويقال: كان معه في التيه سبعون ألفًا من قومه. وقيل: كانت بني إسرائيل اثني عشر سبطًا كل سبط سبعين ألفًا لكل سبط منهم عينًا على حِدَة.

=

وفزع على مصير ابنها، وهنا ألهمناها بقدرتنا وإرادتنا. وقذفنا فى قلبها أن أرضعيه فى خفاء وكتمان ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ من فرعون وحاشيته أن يقتلوه كما قتلوا غيره من أبناء بنى إسرائيل.

﴿فَأَلْقِيهِ فِي اليم﴾ أى: فى البحر والمراد به نهر النيل، وسمى بحرا لاتساعه، وإن كان الغالب إطلاق البحر على المياه غير العذبة.

(١) أى: واستمر موسى - عليه السلام - بعد قتله للقبطى، يساوره القلق، فأصبح يسير فى طرقات المدينة التى حدث فيها القتل، ﴿خَآئِفاً﴾ من وقوع مكروه به ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ ما سيسفر عنه هذا القتل من اتهامات وعقوبات ومساءلات.

والتعبير بقوله ﴿خَآئِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ يشعر بشدة القلق النفسى الذى أصاب موسى - عليه السلام - فى أعقاب هذا الحادث، كما يشعر - أيضا - بأنه - عليه السلام - لم يكن فى هذا الوقت على صلة بفرعون وحاشيته، لأنه لو كان على صلة بهم، ربما دافعوا عنه، أو خففوا المسألة عليه.

وسفر الأدب: حين سافر لطلب الخضر عَلَيْهِ السَّلام إلى مجمع البحرين؛ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠].

وسفر الطرب: حين سافر إلى طور سيناء لمناجاة مولاه؛ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٤٣] الآية.

وفي هذه الآية دليل على عِظَم سفر مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث قال في قصة مِعْرَاج موسى عَلَيْهِ السَّلام: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾، وقال في معراج مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾[1] [الإسراء: ١]، والذي يجيء بنفسه - وهو موسى - لا يكون كمن أسرى

---

(١) هذا مما اختص به نبينا عليه السلام وأمته لوجهين: أحدهما أن الله أخبر عن ذهاب إبراهيم عليه السلام إلى حضرته باجتهاده وهو المؤونة بقوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] وأخبر عن موسى عليه السلام بمجيئه وهو أيضاً المؤونة وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ وأخبر عن حال نبينا عليه السلام بقوله: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾ وهو المعونة فخفف عنه المؤونة وأخبر عن حال هذه الأمة بقوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣] وهو أيضاً بالمعونة وهي جذبات العناية، والوجه الثاني أن النبي صلى الله عليه وسلّم وأمته مخصوصون بالوصول والوصال مخفف عنهم كلفة الفراق والانقطاع فأما النبي عليه السلام فقد خص بالوصول إلى مقام قاب قوسين أو أدنى وبالوصال بقوله: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النجم:١١] وانقطع سائر الأنبياء عليهم السلام في السموات السبع كما رأى ليلة المعراج آدم في سماء الدنيا إلى أن رأى إبراهيم عليه السلام في السماء السابعة فعبر عنهم جميعاً إلى كمال القرب والوصول.

وأما الأمة فقال في حقهم "من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً" فهذا هو حقيقة الوصول والوصال ولكن الفرق بين النبي والولي في ذلك أن النبي مستقل بنفسه في السير إلى الله والوصول ويكون حظه من كل مقام بحسب استعداده الكامل والولي لا يمكنه السير إلا في متابعة النبي وتسليكه في سبيل الله ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨] ويكون حظه من المقامات بحسب استعداده فينبغي أن يسارع العبد إلى تكميل المراتب والدرجات برعاية السنة وحسن المتابعة لسيد الكائنات.

قال جنيد البغدادي قدس سره: مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة.

به مولاه، وموسى جاء بسبعين رجلا من أصحابه إلى جبل طور سيناء، ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزل عن البُرَاق عند بيت المقدس، والمعراج في الهواء عند سدرة المنتهى، فبلغ مقامًا تقول نفسه: أين قلب المصطفى؟ ويقول قلبه: أين روح المصطفى؟ وتقول روحه: أين سِر المصطفى؟ ويقول سره: أين مشاهدة المصطفى؟

والفرق بين معراج موسى، وبين معراج المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن معراج موسى كان على جبل طور، ومعراج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان على بساط من النُّور، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾[1] [طه: ٨٣]، وقال لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ [الإسراء: ١]، وأنزل الله إليه ملائكة، وأسرى به.

وقال لموسى في معراجه: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢]. وقال لمحمد: لا تخلع نعليك، كما روي أن النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " هَمَمْتُ ليلة المعراج أن أخلع نَعْلَيَّ، فسَمِعْتُ النِّداء من قِبَل اللهِ تَعَالَى: لا تخلع نعليك يا مُحَمَّد ليتشرَّف

=

قال علي كرم الله وجهه: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلّم. [روح البيان:٢/١٩٢]

(١) حكايةٌ لما جرى بينه تعالى وبين موسى عليه الصلاة والسلام من الكلام عند ابتداءِ موافاته الميقاتَ بموجب المواعدةِ المذكورة، أي قلنا له: أيُّ شيءٍ أعجلك منفرداً عن قومك؟ وهذا كما ترى سؤالٌ عن سبب تقدمه على النقباء مَسوقٌ لإنكار انفرادِه عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من مخايل إغفالهم وعدمِ الاعتداد بهم مع كونه مأموراً باستصحابهم وإحضارِهم معه، لا لإنكاره نفسَ العجلة الصادرةِ عنه عليه الصلاة والسلام لكونها نقيصةً منافية للحزم اللائقِ بأولي العزم، ولذلك أجاب عليه الصلاة والسلام بنفي الانفرادِ المنافي للاستصحاب والمعية حيث ﴿قَالَ هُمْ أُولاء عَلَى أَثَرِي﴾ [طه:٨٤] يعني إنهم معي وإنما سبقتهم بخُطاً يسيرة ظننتُ أنها لا تُخِل بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب، فإن ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقةِ أصلا، وبعد ما ذكرَ عليه الصلاة والسلام أن تقدّمَه ذلك ليس لأمر منكر ذكَر أنه لأمر مَرضيّ حيث قال: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ عنّي بمسارعتي إلى الامتثال بأمرك واعتنائي بالوفاء بعهدك، وزيادةُ ربِّ لمزيد الضراعةِ والابتهال رغبةً في قَبول العذر. [تفسير أبي السعود: ٤/٣٧٨]

العرش والكرسيّ تحت نعليك. فقلت: يا رب؛ قلتَ لأخي موسى: اخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى. فقال الله تعالى: ادن منِّي يا أبا القاسم، ادنُ مني يا أحمد، لست كموسى، فإنَّ موسى كليمي، وأنت حبيبي، وليس الكليم كالحبيب ".

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، جاء موسى بن عمران إلى ميقاتنا – في حينٍ ووقتٍ من أوقاتنا –، فجاوز هِمَّة الإنسان لِمَا أَوْلَيته من الإحسان، فطمع في الرؤية عَيَانًا، فقلت: يا موسى؛ هيهات ذلك؛ لن تراني وأنا الإله الواحد القهار، اليوم لا تراني الأبصار.

والثالث: نزول دليل وحدانيّة الله تعالى في يوم الاثنين:

قال الله تعالى: ﴿لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١]، وقال الله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] يعني: اثنين، ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ [يس: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

فالحاصل: أن ما سوى الله تعالى جائز في صفاتهم أن يقول: اثنين، والله تعالى مُنَزَّه عن ذلك.

كما قال الله تعالى: ﴿لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١]، إنَّما هو إله واحد، فردٌ لا ضدّ له، ولا ندّ له، ولا مثيل له، ولا كُفُوًا له، ولا شبيه له، ولا وزير له، ولا مُشِير له، وجعل الأشياء زوجين اثنين؛ مثل: العرش والكرسي، والجن والإنس، والجنَّة والنَّار، واللَّيل والنَّهار، والبر والبحَار، والأشجار والأنهار، واللوح والقلم، والصِّحَّة والسِّقم، والشَّمس والقمر، والسماء والأرض، والطول والعرض، والسُّنَّة والفرض، والوصل والفصلِ، والخير والشّر، والنَّفع والضر، والموت والحياة، والتُّراب والنَّبات، والنُّور والظُّلُمَات، والظّل والحَرور، والهواء والفضاء، والداء والدَّواء، والسراء والضَّرَّاء، والحجر والمدر، والشَّفع والوتر، والشَّعر والوبر، والأنثى والذكر، والقلب واللِّسان، واليدين والرجلين، والأذنين والعينين؛ ليعلم الخلائق أنَّه واحد، فرد صَمَد، ليس معه إله آخر.

قال بعض العلماء: اختلف المجوسيَّة – لعنهم الله – في الصانع، فقال بعضهم: إن الصانع اثنين؛ أحدهما: النُّور، والثَّاني: الظُّلمة، وقال بعضهم: الأرواح هو الصانع، والأجساد هو المصنوع. وقال بعضهم: الصانع هو الطبائع الأربع: الحرارة، والبرادة، والرطوبة، واليبوسة. وقال بعضهم: آدم وإبليس هما ابنا الله تعالى.

وقال بعض العلماء في قوله: ﴿لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل:٥١] دليل وحدانيَّة الله تعالى ظاهر في خلق السموات والأرض، والطول والعرض، والربح والخُسران، والوصل والهُجران، والتَّوْفِيق والخُذلان، والطاعة والعُصيان، والزيادة والنُّقصان، والكفر والإيمان، والعذاب والغفران، والسخط والرضوان، فمن تفكَّر في هذه الأشياء بالقلب والجنان، ونظر بنور المعرفة والإيمان، علم أن الصانع هو الواحد الديَّان، الحليم المنَّان، القديم الإحسان، الذي كون الأكوان، ودبر الزمان.

شعر[1]: [المتقارب]

أيا عجبًا كيف يعصي الإلـ ـه أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تسكينة وتحريكة أبدًا شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

والرابع: ولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومَ الاثنين:

وظهر له سبع معجزات في ولادته:

الأولى: كل حامل يلحقها العَنَاء والمشقَّة من حَمْلِهَا، ووالدة المصطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يلحقها العناء من حملها.

والثانية: يكون للحامل مخاض حال الولادة، ولم يكن لأمه ذلك.

والثالثة: انفصل عن أمه وخرَّ ساجدًا عَلَى وجهه لله تعالى، وقال في سجوده: " أمَّتي أمَّتي "[2]، ورفع رأسه في السُّجود، وهو يقول: " أشهد أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله".

---

(١) لأبي العتاهية، انظر: الديوان ٦٩/١، والأغاني ٣٥/٤.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (١٩٣)، والترمذي (٢٥٩٣)، وابن ماجه (٤٣١٢)، وأحمد في مسنده (٢٤٨/٣)، والدارمي (٥٢).

نُكْتَة: وهو أنَّ ثنائه أجلّ من ثناء عيسى عَلَيْهِ السَّلام؛ لأنَّه أثنى بلسانه و لم يسجد، والنَّبيّ أثنى وسجد. ولأنَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلام مكلِّم الأم، والنَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكلِّم الرَّب. وعيسى أشهد على تنزيه الوالدة، ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشهد على تنزيه الواحد؛ فيكون ثناؤه أجل.

والرابعة: أنه وُلد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مختونًا.

والخامسة: مُنعت الجنّ والشَّيَاطين من السَّماء حين ولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك أنَّه كانت الجن والشَّيَاطين تصعد إلى السَّماء، وتسمع حديث الملائكة، فَلَمَّا ولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد الجنّ أن يصعدوا إلى السَّماء، فمنعوا من ذلك، فاجتمعوا إلى إبليس عليه اللَّعنة، وقالوا: كنَّا نصعد إلى السَّماء إلا هذا اليوم، فقد مُنِعْنَا عن ذلك، فقال إبليس عليه اللَّعنة: طوفوا مشارق الأرض ومغاربها؛ لتنظروا أي حادثة حدثت على وجه الأرض، فطافوا حتى أتوا مكَّة، فرأوا فيها نبيًّا قد حفَّته الملائكة، وسطع منه نور إلى السَّماء والملائكة يهنئ بعضهم بعضًا، فرجعوا وأخبروا إبليس، فصاح صيحةً عظيمة، وقال: آه، خرج آية العالم، ورحمة بني آدم، فلذلك مُنْعتُم من الصُّعود إلى السَّماء؛ لأنَّ السَّماء موضع نظره ونظر أَمَتِه، قال الله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾[1] [الحجر: ١٦]، فإذا لم يكن للشياطين سبيل إلى السَّماء الَّتِي هي موضع نظر المؤمن، فكيف يكون له سبيل إلى القلب الذي هو موضع نظر المهيمن؟!

قال كعب الأحبار رضي الله عنه: رأيت في التَّوراة أن الله تعالى أخبر قوم موسى عَلَيْهِ السَّلام عن وقت خروج مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: إن الكوكب الذي هو معروف عندكم بالثَّابت، إذا تحرَّك وسار عن موضعه، فهو وقت خروج مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمَّا وُلِد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سار الكوكب، فعرف اليهود جميعًا بذلك خروج مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلى الدنيا، ولكن كتموه حَسَدًا من عند أنفسهم، وأخبر قوم عيسى عَلَيْهِ السَّلام في الإنجيل: أنَّ النَّخلة اليابسة إذا أورقت واخضرَّت وأثمرت، فهو وقت خروج مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمَّا وُلِد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) لولا النجوم لما كان للسماء هذا المنظر البهي والهيئة العجيبة، وهذا مما يدعو الناظرين إلى التأمل فيها والنظر في معانيها والاستدلال بها على باريها.

أورقت النَّخْلَة اليابِسَة وأثمرت، فعرفوا ذلك بهذه العلامة، وكَتَمُوا ذلك حسدًا من عند أنفسهم.

وأُخبروا قوم داود عَلَيْهِ السَّلام في الزَّبُور: أنَّ العين المعروفة التي غاض ماؤها إذا نبع منها الماء، فهو وقت خروج مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمَّا وُلد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبع منها الماء، فعرفوا بهذا الآية، وكتموا ذلك حسدًا من عند أنفسهم.

والسادسة: أن حليمة[1] ظئر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كانت لا يدر اللبن من إحدى ثدييها، فلما وضعتها في فم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَرَّ اللَّبن منها.

والسابعة: لَمَّا ولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج صوت من زوايا الكعبة من الأولى يقول: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾[2] أي: الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ:٤٩]، ومن الثانية: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة:١٢٨] الآية، ومن الثالثة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ هو النَّبِيّ ﴿وَكِتَابٌ﴾ قرآن ﴿مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] أي: بَيِّنٌ ظاهر.

---

(١) حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر السعدي البكري الهوازني: من امهات النبي صلى الله عليه وسلم في الرضاع.

كانت زوجة الحارث بن عبد العزى السعدي من بادية الحديبية وكان المرضعات يقدمن إلى مكة من البادية لارضاع الاطفال ويفضلن من يكون أبوه حيا لبره إلا أن محمدا كان يتيما، مات أبوه عبد الله، فتسلمته حليمة من امه (آمنة) ونشأ في بادية بني سعد في الحديبية وأطرفها، ثم في المدينة، وعادت به إلى أمه.

انظر: الإصابة ٤/ ٢٧٤، وتاريخ أبي الفداء ١/ ١١٢، والأعلام ٢/٢٧١.

(٢) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم:(قُلْ) يا محمد لمشركي قومك(إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ) وهو الوحي، يقول: ينزله من السماء، فيقذفه إلى نبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم(عَلامُ الْغُيُوبِ) يقول: علام ما يغيب عن الأبصار، ولا مَظْهَر لها، وما لم يكن مما هو كائن، وذلك من صفة الرب، غير أنه رفع لمجيئه بعد الخبر، وكذلك تفعل العرب إذا وقع النعت بعد الخبر، في أن أتبعوا النعت إعراب ما في الخبر، فقالوا: إن أباك يقوم الكريم، فرفع الكريم على ما وصفت، والنصب فيه جائز؛ لأنه نعت للأب، فيتبع إعرابه(قُلْ جَاءَ الْحَقُّ) يقول: قل لهم يا محمد: جاء القرآن ووحي الله(وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ) يقول: وما ينشىء الباطل خلقًا. [تفسير الطبري: ٢٠/٤١٩]

ومن الرَّابعَة: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

وروي أنَّ عبد المطَّلب قال: كنتُ في الكعبة، وفيها أصنام، فسقطت الأصنام من أماكنها وخَرَّت ساجدة لله، وسمعتُ صوتًا من جدار الكعبة يقول: وُلد النَّبيّ المختار، الذي يهلك بيده الكفَّار، ويطهرني من هذه الأصنام، ويأمر بعبادة الملك العلام.

والخامس: أوَّل ما نزل جبْريل عَلَيْهِ السَّلام إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم الاثنين:

وسببه: أنَّه عَلَيْهِ السَّلام عبد الله تعالى عبادة كثيرة، وجاهد في طاعته أربعين سنة، حَتَّى اتَّفق النَّاس على حُسن خلقه، حتى قالوا: إنَّه مُحَمَّد الأمين، فلمَّا طال تهجُّده، غَلَبَ شوق الله تعالى على قلبه بحبه عن سائر أحبابه، وصار دائم التفكُّر والأحزان.

بيت شعر[1]:

إذا لعب الرِّجال بكل شيء رأيت الحبَّ يلعب بالرجال

حتى اطلع على حاله جميع النَّاس، فقال عمّه حمزة رضي الله عنه لأخته عاتكة: ماذا همَّ مُحَمَّد؛ فإني أراه مُصفر الوجه، دائم التَّفكُّر، غير مستأنس بالنَّاس؟ فما أجابته بشيء، ودعوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالوا له: إن كان في قبلك همّ أو داءٌ في نفسك، فأخبرنا عنه حتى نكفيك، فلم يجبهم بشيء، وقالوا: إنَّه يصادق أبا بكر رضي الله عنه، فسأله عن ذلك، فقال: " يا أبا بكر؛ القلب في قلق، والنَّفس في حرق، والعين في غرق، لا أدري لم سُلب مِنِّي القرار، وغلب على وجهي الاصفرار "، ثمَّ أخذ الماء واغتسل، واتَّزر بمئزر، وارتدى برداء، وتَوَجَّه إلى جبل حِرَاء، فصعد الجبل، ووضع على وجهه التراب، وبكى بكاءً شديدًا، وتَضَرَّعَ إلى الله تعالى حتى ضجَّت الأملاك في السَّمَوات السَّبْع، والحور العين في الجِنَان، وقالوا: إلهنا؛ نسمع أنين محبّ، وضراعة مشتاق، فأوحى الله تعالى إلى جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام، وقال: يا جبْرِيل؛ جاء وقت إنزال الوحي، وإظهار أحكام الأمر والنَّهي، أنزل إلى حبيبي وصَفِيِّي وخيرتي، وبلِّغْهُ تحيَّتي، وأوصل إليه هديتي. فنزل جبْرِيل

(١) انظر: سراج الملوك ٨٢/١، والرسالة القشيرية ٨٥/١، وعدة الصابرين ٣٤/١، والمدهش ٢٢٦/١.

عَلَيْهِ السَّلام، وصاح عَلَيْهِ من الهواء، فنَظَرَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَأى شخصًا بين السَّمَاء والأرض عليه ثِيَاب خُضر، فنزل فقال: اقرأ، فهاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثمَّ مدَّ يَدَه وأخذه وحرَّكه، وقال: اقرأ. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما أنا بقارئ؟ فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[1] [العلق]، ثمَّ غاب عن عيني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرَجَع إلى منزله، وقصَّ القصة لزوجته خديجة رضي الله عنها، وقال لها: " دثِّريني يا خديجة؛ فإني قد دُهِيت "[2]، فقالت خديجة: يا مُحَمَّد؛ إنَّك تصل الأرحام، وترحم الأيتام، وتحبّ معالي الأمور ومحاسن الأخلاق، فلا يفعل بك ربّك إلا ما يجمل بك، فلعلَّه النَّاموس الأكبر الذي يأتي الأنبياء، فلمَّا دَثَّرَته نزل جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام، وقال: ﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[3] [المدَّثر: ١ - ٢]، فقال

---

(١) قالت عائشة - رضي الله عنها -: أول ما بدئ به صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة، فجاءه الملك، فقال: ﴿اقرأ باسم رَبِّكَ الذي خَلَقَ﴾، خرجه البخاري.

وروت عائشةُ - رضي الله عنها - أنها أول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعدها « ن، والقلم » ثم بعدها ﴿ياأيها المدثر﴾ [المدثر: ١]، ثم بعدها « والضُّحَى »، ذكره الماوردي.

ومعنى قوله: « اقْرَأ » أي: ما أنزل عليك من القرآن مفتتحاً باسم ربك وهو أن تذكر التسمية في ابتداء كلِّ سورةٍ، أو اقرأ على اسم ربِّك، على ما تقدم من الإعراب. [اللباب في علوم الكتاب ٣٩٥/١٦]

(٢) أخرجه البخارى (١٨٧٤/٤، رقم ٤٦٣٨)، ومسلم (١٤٤/١، رقم ١٦١) وأخرجه أيضًا: أحمد (٣٠٦/٣، رقم ١٤٣٢٦)، والنسائى فى الكبرى (٥٠٢/٦، رقم ١١٦٣٣)، وأبو يعلى (٤٥٣/٣، رقم ١٩٤٩).

(٣) قال الواحدي: قال المفسرون: لما بدىء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي أتاه جبريل، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرير بين السماء والأرض كالنور المتلألىء، ففزع ووقع مغشياً عليه، فلما أفاق دخل على خديجة، ودعا بماء، فصبه عليه، وقال: «دثروني دثروني»، فدثروه بقطيفة، فقال: ﴿يأَيُّهَا المدثر ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ ومعنى ﴿يأَيُّهَا المدثر﴾: يا أيها الذي قد تدثر بثيابه، أي: تغشى بها، وأصله المتدثر، فأدغمت التاء في الدال لتجانسهما. وقد قرأ الجمهور بالإدغام، وقرأ أبي: " المتدثر " على الأصل، والدثار: هو ما يلبس فوق الشعار، والشعار: هو الذي يلي الجسد، وقال عكرمة: المعنى: يا أيها المدثر بالنبوّة وأثقالها. قال ابن العربي: وهذا مجاز بعيد لأنه لم يكن نبياً إذ ذاك

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يا خديجة؛ هاهو قد حضر "، فقالت خديجة: يا مُحَمَّد؛ إني أكشف شعري، فإن كان شيطانًا فلا يبرح من مكانه، وإن كان رسول الله فهو يغيب، فلمَّا أبدت شعرها غاب عن عين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: " يا خديجة؛ غاب عن عيني "، فقالت: يا مُحَمَّد؛ اعرِض عليَّ الإسلام؛ فإنَّك رسول الله، وإنه الرّوح الأمين. فعرض عليها الإسلام فأسلمت، فهي أوَّل من أسلم من النِّساء.

والسَّادس: تُعْرَضُ أعمال الأمَّة على روح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الاثنين:

كما روى أبو هريرة رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ، وَمَوْتِي خَيْرٌ لَكُمْ "، قيل: يا رسول الله؛ قد عَلِمْنَا أن حياتك خير لنا، فكيف يكون مماتك خيرًا لنا؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " حياتي خير لكم؛ ما دمت فيكم دعوتكم إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، ومماتي خير لكم؛ وذلك أن أعمالكم تُعْرَض عليَّ في كل يوم اثنين وخميس، فما رأيت من خير استبشرتُ به، وما رأيت غير ذلك استغفرت الله لكم "[(١)].

والسَّابع: وفاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم الاثنين، في الثاني عشر من شهر ربيع الأوَّل:

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّه قال: لما دنا فِرَاقُ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَنَا فِي بَيْتِ أُمِّنَا عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَنَظَرَ إلينا فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، ثم قال: " مرحبًا بكم، حيَّاكم الله تعالى، رَحِمَكُم الله، آوَاكُمُ اللَّهُ، هداكم الله، أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأُوصِي اللَّهُ بِكُمْ، وَأَسْتَخْلِفُهُ عَلَيْكُمْ، إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مبين، وأن لا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ

=

﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي: امض فخوّف أهل مكة وحذرهم العذاب إن لم يسلموا، أو قم من مضجعك، أو قم قيام عزم وتصميم. وقيل: الإنذار هنا هو إعلامهم بنبوّته. وقيل: إعلامهم بالتوحيد. وقال الفراء: المعنى قم فصلّ، وأمر بالصلاة. [فتح القدير للشوكاني: ٣٤٦/٧]

(١) أخرجه ابن سعد (١٩٤/٢). وأخرجه أيضًا: الحارث كما فى بغية الباحث (٨٨٤/٢ رقم ٩٥٣).

الله تعالى قَالَ لِي وَلَكُمْ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] قُلْنَا: مَتَى أَجَلك يا رسول الله؟ قال: " قَدْ دَنَا الأجل وَالْمُنْقَلَبُ إِلَى اللَّهِ تعالى، وَإِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وإلى جنَّة المأوى، والفردوس الأعلى". قُلْنَا: مَنْ يُغَسِّلُكَ مِنَّا يا رسول الله؟ قَالَ: " رجل من أهل بيتي ". قُلْنَا: كيف نُكَفِّنُكَ؟ قَالَ: " فِي ثِيَابِي هَذِهِ إِنْ شِئْتُمْ، أَوْ فِي حُلَّةٍ يَمَانِيَّةٍ ". قُلْنَا: مَنْ يُصَلِّي عَلَيْكَ مِنَّا؟ وَبَكَيْنَا وَبَكَى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثمَّ قال: " مَهْلا، غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ، إِذَا غَسَّلْتُمُونِي وَكَفَّنْتُمُونِي فَضَعُونِي عَلَى سَرِيرِي فِي بَيْتِي هَذَا عَلَى شَفِيرِ لَحْدِي، ثُمَّ اخْرُجُوا عَنِّي سَاعَةً، فأَوَّلَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيَّ جليسي وَخَلِيلِي جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام، ثُمَّ مِيكَائِيلُ، ثُمَّ إِسْرَافِيلُ، ثُمَّ عزرائيل مَلَكُ الْمَوْتِ مَعَ جُنده، ثُمَّ ادْخُلُوا أفواجًا أفواجًا وصلُّوا عَلَيَّ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا، وَلْيَبْدَأْ بالصَّلاةِ عَلَيَّ رجل من أَهْلِ بَيْتِي، ثُمَّ نِسَاؤُهُمْ، ثُمَّ أَنْتُمْ "[1]. فمرض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من يومه، ولبث مريضا ثمانية عشر يومًا يعوده الناس، وكان ذلك يوم الاثنين. بُعِث في يوم الاثنين، وقُبض في يوم الاثنين، فلمَّا كان يوم الأحد ثقل مرضه، فأذن بلال ووقف بالباب، وقال: السَّلام عليك يا رسول الله، الصلاة يرحمك الله. فقالت فاطمة رضي الله عنها: إن رسول الله مشغول بنفسه، فدخل بلال المسجد، فلمَّا أسفر الصّبح، جاء بلال رضي الله عنه فقام بالباب، وقال كالأول: فسمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صوت بلال، فقال: " ادخل يا بلال "، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إني مَشْغُولٌ بِنَفْسِي، مُرْ يا بلال أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ "، فخرج بلال ويده على أم رأسه وهو ينادي: وَاغَوْثَاهُ، وَاغَوْثَاهُ، وَانْقِطاع ظَهْرَاهُ وانكساراه، لَيْتَنِي لَمْ تَلِدْنِي أُمِّي، ثُمَّ دخل المسجد، وقال: يا أبا بكر؛ إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرك أن تَتَقَدَّمَ تُصَلِّي بالناس، فَلَمَّا نَظَرَ أبو بكر رضي الله عنه إِلَى خُلُوِّ الْمَكَانِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلا رقيقًا، لَمْ يَتَمَالَكْ نَفْسَهُ وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَضَجَّ المسلمون، فسمع الضَّجَّة، فقال: " يا فاطمة؛ ما هذه الضَّجَّة؟ "، قالت: ضَجَّةُ المسلمين لفقدك، فَدَعَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالعَبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما، وتوكأ عليهما، وخَرَجَ إِلَى

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٦٢/٣، رقم ٤٣٩٩)، والطبراني في معجمه الأوسط (٤/ ٢٠٨، رقم ٣٩٩٦).

الْمَسْجِدِ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثم ولَّى وجهه إلى النَّاس، وقال: " يا معاشر المسلمين؛ أنتم في وداع الله وكنفه وحفظه، إنه خليفتي عليكم من بعدي، أوصيكم بِتَقْوَى اللَّهِ تعالى، فَإِنِّي مُفَارِقٌ الدُّنْيَا، وهَذَا أَوَّلُ يَوْمي مِنَ الآخِرَةِ وَآخِرُ يَوْمي مِنَ الدُّنْيَا "، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الاثنين، أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَلَكِ الْمَوْتِ، أَنِ اهْبِطْ إِلَى حَبِيبِي بِأَحْسَنِ زيّ، وَارْفِقْ فِي قَبْضِ روحه، فإن أمرك أن تدخل فادخل، وإن نَهَاك فلا تدخل وارجع. فهبط ملك الموت في أحسن صورة أعرابيّ، فقال: السَّلامُ عَلَيْكُ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنَ الوحي والرِّسَالَةِ، فخرجت فاطمة رضي الله عنها، وقالت: يا عبد الله؛ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَشْغُولٌ بِنَفْسِهِ. ثُمَّ نَادَى الثَّانِيَةَ، وقال: السلام عليكم، أَدْخُلُ؟ وَلا بُدَّ مِنَ الدُّخُولِ، فَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: " يَا فَاطِمَةُ؛ مَنْ بِالْبَابِ؟ "، فقالت: رجل نادى، فقلت: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشغول بنفسه، ثمَّ نادى الثانية بصوت اقْشَعَرَّ منه بدني، وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصِي، وتَغَيَّرَ لوني، فقال: " أَتَدْرِي مَنْ هو؟ "، فقالت: لا أدري. فقال: " يا فاطمة؛ هَذَا هَاذِمُ اللَّذَّاتِ، وقاطع الشهوات، وَمُفَرِّقُ الْجَمَاعَاتِ، ومُخَرِّبُ الدُّورِ، وَمعمِّر الْقُبُورِ، ثمَّ قال: " ادخل يا مَلَكُ الْمَوْتِ "، فدخل، فقال: السَّلام عليك يا رسول الله. فقال: " وعليك السلام يَا مَلَكَ الْمَوْتِ، أجِئْتَ زَائِرًا أَمْ قَابِضًا؟ "، قَالَ: جِئْتُ زَائِرًا قَابِضًا إن أذنت لي، وَإِلا رَجَعْتُ، فقال: " يَا مَلَكَ الْمَوْتِ؛ أَيْنَ خلفت حبيبي جبْرِيل؟"، فقال: خَلَّفْتُهُ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا وَالْمَلائِكَةُ يُعَزُّونَهُ، فلم يلبث أن هبط جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام، وجلس عِنْدَ رَأْسِهِ، فقال النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا جبْرِيل؛ ألست تعلم أن الأمر قد قَرُب؟ "، قال: نعم يا حبيب الله، قال: " بشرني؛ ما لي عند الله؟ "، قال: إن أَبْوَابَ السَّمَاءِ قَدْ فُتِّحَتْ، وَالْمَلائِكَةَ صُفُّوا صُفُوفًا لروحَكَ، قال: " لرَبِّي الْحَمْدُ والشكر، بشرني يا جبْرِيل؛ ما لي عند الله تعالى؟ "، فقال: " إن أبواب الجنان قَدْ فُتِّحَتْ، وَحُورَهَا قَدْ زُيِّنَتْ، وَأَنْهَارَهَا قَدِ اطَّردت، وثمارها قد ذُلِّلَت وينتظرون روحك. قال: " لِوَجْهِ رَبِّي الْحَمْدُ والشكر، بشرني يا جبْرِيل؛ ما لي عند الله؟ "، فقال: أُبَشِّرُكَ؛ أَنْتَ أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ فِي الْقِيَامَةِ. قَالَ: " لوجه ربِّي الحَمْد والشُّكر، يا جبْرِيل؛ بَشِّرْنِي "، فقال: عَمَّ تَسْأَلُنِي؟ قَالَ: " عن هَمِّي وغَمِّي؛ ما لِقارئ الْقُرْآنِ مِنْ بَعْدِي؟ مَا لِصُوَّامِ رَمَضَانَ مِنْ بَعْدِي؟ ومَا لزوَّار بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ من بَعْدِي؟ وما لأمَّتِي من الصَّفَاء من بَعْدِي؟ "، فقال

جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام: أُبَشِّرُكَ أنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إني قَدْ حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى سائر الأَنْبِيَاءِ وَالأَمَمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أَنْتَ وَأُمَّتُكَ، فقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الآنَ طَابَ قلبي، يَا مَلَكَ الْمَوْتِ، ادنُ منِّي "، فدنا منه ملك الموت. فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: مَنْ يُغَسِّلُكَ ومن يكفِّنك؟ قال: " أَمَّا الْغُسْلُ؛ فأنت تُغَسِّلْنِي، وَابْنُ عَبَّاسٍ يَصُبُّ الْمَاءَ، وَجبْرِيلُ يَأْتِيك بِحَنُوطٍ مِنَ الْجَنَّةِ، فإذا غَسَّلْتُمَانِي وكَفَّنْتُمَانِي، فاخرجوا ساعة.. " على ما مرَّ ذكره، " ثمَّ دنا ملك الموت يعالج قبض روحه، فلمَّا بلغت الرّوح السُّرَّة، قال: " يا جبْرِيل؛ ما أشد مرارة الموت؟ "، فولَّى جبْرِيل بوجهه، فقال: " يا جبْرِيل؛ كرهت النَّظر إلى وجهي؟ "، فقال: يا حبيب الله؛ وَمَنْ يطيب قلبه يَنْظُرَ إِلَى وجهك وَأَنْتَ تُعَالِجُ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ. فقبض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

وقال أَنَس رضي الله عنه: مَرَرْتُ بباب عائشة رضي الله عنها وهي تَبْكِي على قبر النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقول في بكائها شعرًا[2]:

يا من لم يلبس الحرير ولم ينم على الفراش الوثير
يا من خرج من الدنيا ولم يشبع بطنه من خبز الشعير
يا من اختار الحَصِير على السَّرِير يا من لم ينم باللَّيل من خوف السَّعير

وحكي عن سعيد بن زياد: أنَّ معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليمن، فقمت بين ظهرانيهم اثنتي عشرة سنة، فبينما أنا نائم ذات ليلة، إذ أتاني آتٍ فقال لي: أتنام يا معاذ ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت أطباق الثَّرى؟! ففزع من ذلك، وقام وقال: أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم، ثمَّ صلَّى تلك الليلة، فلمَّا كان في اللَّيلة الثانية، قال له ما قال في اللَّيلة الأولى، فقال معاذ: إنها ليست من الشيطان، ثم قام معاذ فَزِعًا وصاح حتى شعر به أهل اليمن، فلمَّا أصبح الصَّباح اجتمع النَّاس، فقال: إني رأيتُ رؤيا، ائتوني بالمصحف؛ لأنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رأى رؤيا صعبة تَفَاءَلَ بالقرآن، فأخذ معاذ المصحف وفتح، فطلع قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] الآية. فصاح وغُشِيَ عليه، فلمَّا أفاق أخذ المصحف ثانية،

(١) الحديث بطوله أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٣/ ٦٥، رقم ٢٦٧٦).
(٢) انظر: نزهة المجالس ومنتخب النفائس (١/٣٢٧).

فطلع قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّد إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[1] [آل عمران: ١٤٤] الآية. فصاح وقال: وا أبا القاسماه، وا

(١) قوله – تعالى – ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [آل عمران:١٤٤] تقرير لحقيقة ثابتة، ولأمر مؤكد، وهو أن محمداً صلى الله عليه وسلم واحد من البشر، وأنه سيموت كما يموت جميع البشر، وأنه ليس له صفة تميزه عن سائر البشر سوى الرسالة التى وهبها الله – تعالى – له، ومنحه إياها، وأن هذه الرسالة لا تقتضى بقاءه أو خلوده، إذ الرسل الذين سبقوه قد أدوا رسالتهم فى الحياة كما أمرهم خالقهم ثم ماتوا أو قتلوا.

وما دام الأمر كذلك فمحمد صلى الله عليه وسلم سيموت وينتقل إلى الرفيق الأعلى كما مات الذين سبقوه من الأنبياء، وكما سيموت جميع البشر.

والقصر فى قوله – تعالى –: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ ﴾ من باب قصر الموصوف على الصفة، أى قصر محمد صلى الله عليه وسلم على وصف الرسالة قصراً إضافياً.

وفى هذا القصر رد على ما صدر من بعض المسلمين من اضطراب وضعف حين أرجف المنافقون فى غزوة أحد بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قتل.

فكأنه – تعالى – يقول لهم: إن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول من الرسل الذين أرسلهم الله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وسيكون مصيره إلى الموت إن عاجلا أو آجلا كما هو شأن سائر البشر الذين اصطفى الله – تعالى – منهم رسله، إلا أن رسالته التى جاء بها من عند الله لن تموت من بعده، بل ستستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا يصح أن يضعف أتباعه فى عقيدتهم أو فى تبليغ رسالته من بعده، بل عليهم أن يستمسكوا بما جاءهم به، وأن يدافعوا عنه بأنفسهم وأموالهم.

ولذا فقد وبخ الله – تعالى – بعض المسلمين الذين صدر منهم اضطراب أو ضعف عندما أشاع ضعاف النفوس بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قتل فى غزوة أحد فقال – تعالى –: ﴿ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾؟

أى: إذا مات محمد صلى الله عليه وسلم – أيها المؤمنون – وقد علمتم أن موته حق لا ريب فيه، أو قتل وهو يدافع عن دينه وعقيدته، ﴿ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ أى: رجعتم إلى ما كنتم عليه من الكفر والضلال.

والانقلاب: الرجوع إلى المكان. وهو هنا مجاز فى الرجوع إلى الحال التى كانوا عليها قبل الإسلام.

يقال لكل من رجع إلى حاله السيء الأول: نكص على عقبيه، وارتد على عقبيه. والعقب مؤخر الرجل. وجمع أعقاب.

محمداه. ثمَّ خرج من اليَمَن راجعًا إلى المدينة، وترك أهل اليمن، وقال: إن كان ما رأيت حقًّا، فهلكت الأرامل والأيتام والمساكين، وصرنا كالغنم بلا راعٍ. ورفع صوته وهو ينادي: واحُزْنَاه بفراق مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثمَّ فارقهم معاذ رضي الله عنه وهو يقول: يا مُحَمَّد؛ ليت شعري، أين أنت؛ فوق الأرض أم تحتها؟ فلمَّا دنا من قرب المدينة مسيرة ثلاثة أيام إذا هاتف يهتف في وسط الوادي يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء:٣٥][(١)]، فدنا معاذ من الحس فقال: مَنْ أنت؟ فقال: امرؤ من الأنصار

=

قال صاحب الكشاف: قوله ﴿أَفَإِن مَّاتَ﴾ الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبب. والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سبباً لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل، مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به يجب أن يجعل سبباً للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه.

فإن: قلت: لم ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل؟ قلت: لكونه مجوزا عند المخاطبين.

فإن قلت: أما علموه من ناحية قوله: ﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ قلت: هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوى البصيرة ".

وفى قوله ﴿انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ تنفير شديد من الرجوع إلى الضلال بعد الهدى، وتصوير بليغ لمن ارتد عن الحق بعد أن هداه الله إليه.

فقد صور – سبحانه – حالة من ترك الهداية إلى الضلال، بحالة من رجع إلى الوراء وبصره إلى الأمام، وأعقابه هى التى تقوده إلى الخلق، وهو فى حالة انتكاس، بأن جعل رأسه إلى أسفل وعقبه إلى أعلا. ولا شك أن هذا أقبح منظر يكون عليه الإنسان. [الوسيط: ١١٩/٢]

(١) قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: يعني أن كل حي ميت.

الثاني: أنها تجد كربه وشدته، وفي إعلامهم بذلك وإن كانوا يعلمونه وجهان:

أحدهما: إرهاباً بالموت ليقلعوا عن المعاصي.

الثاني: ليعلمهم أن أنبياء الله وإن اختصوا بكرامته وتفردوا برسالته فحلول الموت بهم كحلوله بغيرهم حتى لا يضلوا بموت من مات منهم، وروى جعفر الصادق عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب قال لما توّفي رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، إن في الله عزاء من كل مصيبة،

يقال لي: عبد الله، فقال معاذ: يا عبد الله؛ ما فعل مُحَمَّد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال: يا معاذ؛ إن محمدًا فارق الدنيا. فغُشِيَ على معاذ رضي الله عنه، فجعل عبد الله رضي الله عنه ينادي: يا معاذ؛ يَحِقُّ لك أن يُغْشَى عليك، فلمَّا أفاق دفع إليه الكتاب من أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه وعليه خاتم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فلمَّا رآه معاذ جعل يُقَبِّلُ الخاتم ويضعه على عينيه ويبكي بكاءً شديدًا، ومضى نحو المدينة، فلمَّا أصبح الصبح وبلغ المدينة فإذا بلال يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: معاذ أيضًا: أشهد أن محمدًا رسول الله، فبكى بلال وأذَّن بصوت رفيع، فغُشِيَ على معاذ، وكان سلمان الفارسيّ رضي الله عنه عند بلال، فقال: يا بلال؛ ارفع صوتك بذكر مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا معاذ قد غُشِيَ عليه، فلمَّا فرغ بلال أتى معاذًا، فقال السَّلام عليك: ارفع رأسك؛ فإني سَمِعْت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: " أقرئوا معاذًا منِّي السَّلام "[1]، فرفع رأسه وصاح حتى ظنُّوا أنَّ نفسه قد خرجت، وقال: بأبي وأمي من ذكرني عند أوّل فراقه الدنيا، يا بلال؛ انطلق بنا إلى قبر نبينا وبيت أُمِّنا عائشة رضي الله عنها، فانطلقا ووقفا بباب عائشة رضي الله عنها، فقال معاذ رضي الله عنه: السَّلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته، فخرجت ريحانة وقالت: انطلقت عائشة إلى بيت فاطمة رضي الله عنها. فأتى معاذ إلى باب فاطمة رضي الله عنها، فنادى وقال: السلام عليكم يا أهل البيت؛ فقالت فاطمة رضي الله عنها: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَعْمَلَكُم بالحلال والحرام: معاذ بن جبل "[2]، هذا حبيب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت:

=

وخَلَفاً من كل هالك ودركاً من كل فائت؛ فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب من حُرِمَ الثواب. [النكت والعيون: ٣٠٧/٣]

(١) انظر: نزهة المجالس ومنتخب النفائس (٣٢٧/١).

(٢) أخرجه الطيالسى (ص ٢٨١، رقم ٢٠٩٦)، وأحمد (٢٨١/٣، رقم ١٤٠٢٢)، والترمذى (٦٦٥/٥، رقم ٣٧٩١) وقال: حسن صحيح. والنسائى فى الكبرى (٦٧/٥، رقم ٨٢٤٢)، وابن ماجه (٥٥/١، رقم ١٥٤)، وابن حبان (٨٥/١٦، رقم ٧١٣٧)، والحاكم (٤٧٧/٣، رقم ٥٧٨٤)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. وأبو نعيم فى الحلية (١٢٢/٣)، والبيهقى (٢١٠/٦، رقم ١١٩٦٦)، والضياء (٢٢٥/٦، رقم ٢٢٤٠).

ادخل يا معاذ، فلمَّا رأى فاطمة وعائشة غُشِيَ عليه، فلمَّا أفاق، قالت فاطمة رضي الله عنها: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: " أَقْرِئِي مِنِّي السَّلام على معاذ، وأَعْلِمِيه أنَّه يوم القيامة أمام العلماء "[١]. ثُمَّ خرج وأتى قبر النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأخبره عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: بأنَّ فاطمة رضي الله عنها قبضت قبضةً من تربة الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوضعتها على أنفها، وقالت هذه الأبيات[٢]: [الكامل]

ماذا عليَّ من شمِّ تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صُبَّت عليَّ مصائب لو أنَّها ... صُبَّت على الأيام صِرْن لياليا

(١) أخرجه ابن عساكر من طريق الطبراني (١١٢/٤٧). وأخرجه أيضًا: الطبراني في الصغير (٣٣٥/١، رقم ٥٥٦). وأورده الحافظ في التلخيص (٧٩/٣) وعزاه للطبراني في الصغير.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ١٣٤/٢، ونزهة المجالس ومنتخب النفائس ٣٢٧/١، ونهاية الأرب ٣٠٠/١.

obeikandl.com

الْمَجْلِسُ الرَّابِعُ: فِي يَوْمِ الثُّلاثَاءِ

قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾ [المائدة: ٢٧] الآية[١].

روى أنس بن مالك رَضِيَ الله عنه قال: سُئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن يوم الثلاثاء، فقال: " يوم دمٍ وقتل "، فقيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: " لأنَّ فيه حاضت حواء، وقتل ابن آدم أخاه "[٢].

بساط المجلس: قال بعض العلماء: قُتِلَ سبعة أنفس يوم الثلاثاء:

الأوَّل: جرجيس عَلَيْهِ السَّلام.

والثَّاني: يحيى عَلَيْهِ السَّلام.

والثالث: زكريا عَلَيْهِ السَّلام.

والرابع: سحرة فرعون.

والخامس: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون.

والسادس: بقرة بني إسرائيل.

والسابع: هابيل بن آدم عَلَيْهِ السَّلام.

أمَّا الأوَّل؛ قتلوا جرجيس عَلَيْهِ السَّلام:

وسببه: أنَّ جرجيس كان من أهل فلسطين، وكان زمن ملك يقال له: داديانه يعبد الأصنام، فيومًا من الأيام نصب سريره، ووضع أصنامه وزَيَّنَهَا بالجواهر واللآلئ، وطَيَّبَهَا بالمسك والكافور، وأوقد النار بين يدي السَّرير، فمن سجد لصنمه أمضاه، ومن لم يسجد ألقاه في النَّار، فأرسل الله تعالى جرجيس عَلَيْهِ السَّلام إليه، ودعاه إلى عبادة الله تعالى،

---

(١) واقصص -أيها الرسول- على بني إسرائيل خَبَر ابنَيْ آدم قابيل وهابيل، وهو خبرٌ حقٌ: حين قَدَّم كلٌّ منهما قربانًا -وهو ما يُتَقرَّب به إلى الله تعالى - فتقبَّل الله قُربان هابيل؛ لأنه كان تقيًّا، و لم يتقبَّل قُربان قابيل؛ لأنه لم يكن تقيًّا، فحسد قابيلُ أخاه، وقال: لأقتلنَّك، فَردَّ هابيل: إنما يتقبل الله ممن يخشونه.

(٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب (٤٦/٦)، وتفسير الثعلبي (٧٣٥/١)، وتفسير القرطبي (١٤٠/٦).

وقال: لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يُبصر ولا يغني عنك شيئًا، قال الملك: إن المال والمُلك والنّعمة عندي ما لا يحصى عددها منذ عبدتُ الأصنام، فأين أثر عبادتك لربك، لا يظهر عليك شيء من النعم، فقال جرجيس عَلَيْهِ السَّلام: إن نعيم الدُّنيا زائل، والله تعالى أعطاني نعيم الآخرة في الجنة، فجرى بينهما مُباحثة كثيرة ومخاصمات شديدة، حتى أمر الملك بقتل جرجيس عَلَيْهِ السَّلام، فأمر بأن يُغْلَى الماء في المِرْجل، ويصبُّوه على بدن جرجيس ماءً حارًّا، ويمشطوا لحمه بمشطٍ من الحديد، حتى لا يبقى عليه شيء من اللَّحم إلا العظم. ثمَّ أحياه الله تعالى من ساعته على أحسن صورته، فنادى بأعلى صوته: يا كافر قل: لا إله إلا الله، ثمَّ أمر الملك بأن يأتوا بسبعة أوتادٍ من حديد، فأتوا بها، فضرب وتدين على يديه، ووتدين على رجليه، ووتدًا على رأسه، ووتدًا على كَبِدِه، ووتدًا في فمه، فأرسل الله تعالى إليه مَلَكًا فأخرج الأوتاد من أعضائه، وقام حيًّا كما كان، وقال: يا كافر؛ قل: لا إله إلا الله، فأمر أن يأتوا بقدرٍ عظيم، فأتوا بها، فألقوا جرجيس عَلَيْهِ السَّلام فيها، وأوقد النار وأغلاها، فأخرج الله تعالى من القدر عينًا باردة، حتى لم يضر غليان القدر شعرة من شعره، فخرج من القدر وهو كما كان، وقال: يا كافر، قل: لا إله إلا الله. ثُمَّ إن الملك أمر بأن يعذَّب جرجيس بعذاب بعد عذاب، ولم يضره شيء بقدرة الله تعالى، وقيل: إنهم قتلوا جرجيس عَلَيْهِ السَّلام سبعين مرة، وفي بعض الكتب مائة مرة، فَلَمَّا رأى ذلك الملك، قال: يا جرجيس؛ لي إليك حاجة، فإن أطعتني فيها أطعتك في كل ما تأمرني به، فأريد أن تسجد لصنمي سجدةً واحدةً، وتقرِّب له قربانًا، فإذا فعلت ذلك أطعتُك في كل ما تأمرني به، فسكت جرجيس عَلَيْهِ السَّلام ولم يجبه بشيء، فظنَّ الكافر أنَّه قَبِل كلامه، وقال: يا جرجيس؛ عذَّبتُك بأنواع العذاب، وآذيتك كثيرًا، فاذهب معي إلى بيتي لتستريح اللَّيلة، فذهب جرجيس عَلَيْهِ السَّلام إلى منزله، وقام إلى الصلاة وتلاوة الزَّبور حتى طلع الفجر، فأثرت قراءته في قلب امرأة الملك، فبكت بكاءٍ شديدًا، وقامت خلف جرجيس عَلَيْهِ السَّلام وتخفَّت وتابت، فعرض عليها الإسلام فأسلمت، فلمَّا خرج من بيت الملك دعاه الملك إلى السجدة، فلم يجبه، فحبسه في بيت عجوز لها ابن أصم أبكم أعمى، ومنعوه عن الطَّعام والشَّراب، وكان في بيت العجوز سارية، فدعا جرجيس عَلَيْهِ السَّلام، فاخضرت السارية وأثمرت بأنواع الثمر، فجاءت العجوز ورأت السارية فأسلمت، وسألت جرجيس

أن يدعو لابنها المعلول، فدعا له، فأزال الله تعالى عنه ما كان فيه، فصاح جرجيس عَلَيْهِ السَّلام، وقال: يا غلام. قال: لبيك يا رسول الله، قال: اذهب إلى بيت الأصنام، وقل لها: إن جرجيس عَلَيْهِ السَّلام يدعوكن، فذهب الغلام ودخل بيت الأصنام، وكانت سبعين صنمًا، فلمَّا بلَّغ الرِّسَالة عن جرجيس عَلَيْهِ السَّلام، خَرَّت الأصنام، وسقطت على رءوسهن بقدرة الله عزَّ وجلَّ إلى جرجيس عَلَيْهِ السَّلام، فَلَمَّا رآها جرجيس عَلَيْهِ السَّلام، أشار إلى الأرض، وركض برجله فانخسفت الأرض بها، فلمَّا رأت امرأة الملك هذه المعجزة، صعدت القصر ونادت: يا أهل البلدة؛ ارحموا أنفسكم وأسلموا، فقال لها زوجها: إني رأيت منذ سبعين سنة معجزات كثيرة فما أسلمت، فإنَّك تسلمين برؤية معجزة واحدة! فقالت: ذلك من شقاوتك، وهذا من سعادتي. فأمر بقتلها فقُتِلت، ثمَّ ناجى جرجيس عَلَيْهِ السَّلام ربَّه، وقال: إلهي؛ قاسيت منذ سبعين سنة أذى الكفَّار، فلم يبقَ لي طاقة بعد اليوم، فارزقني الشهادة، وعذِّبهم عذابًا شديدًا، فلمَّا فرغ من دعائه رأى نارًا تنزل من السماء، فلمَّا دَنَت النار منهم، سَلُّوا سيوفهم وقتلوا جرجيس، فنزلت النَّار وأهلكتهم جميعًا، وكان ذلك يوم الثلاثاء.

والثاني: قتل يحيى عَلَيْهِ السَّلام يوم الثلاثاء:

وذلك أنَّه كان مَلكٌ في بني إسرائيل له زوجة، ولها بنت من غيره، فأرادت المرأة أن تزوَّج بنتها لزوجها خوفًا من أن يتزوَّج غيرها، فاصطنعت وليمةً وَدَعَتْ يحيى عَلَيْهِ السَّلام، فاستأذنته في ذلك الأمر، فقال يحيى عَلَيْهِ السَّلام: هذا حرام في دين الإسلام، وخرج من عندها، فغضبت عليه واحتالت في قتل يحيى عَلَيْهِ السَّلام، فَسَقَتْ زوجها من الأشربة المُسْكِرَة، فَلَمَّا سكر زيَّنَت بنتها وعرضتها عليه، وقالت للملك: إن يحيى يأبى عليك أن أزوجك بها. فأحضر الملك يحيى عَلَيْهِ السَّلام، وقال له: ما تقول في هذا الأمر؟ قال: إنه حرام. فَأَمَرَ بذبحه، فذبحوه كما تُذْبَحُ الشَّاة، فَبَكَتْ ملائكة السموات، وقالت: إلهي؛ بأي ذنب قتلوا يحيى عَلَيْهِ السَّلام؟! قال الله تعالى: ما أذنب يحيى ولا هَمَّ بالذنب قطُّ، ولكن أحبَّني فأحببته، ولا بد في الحبِّ من القتل.

وحُكِيَ عن حسين الحلاج رحمة الله عليه: إنَّهم حبسوه ثمانية عشر يومًا، فجاءه الشبلي رحمة الله عليه، فقال: يا حسين؛ ما المحبة؟ فقال: لا تسألني اليوم واسألني غدًا، فلما

جاء في الغد أخرجوه من السِّجن، ونصَبوا الجذع لأجل قتله، فمرَّ الشبليّ بين يديه، فنادى: يا شبلي؛ المحبة أولها حرق، وآخرها قتل.

وحكي عن أبي يزيد البسطاميّ رحمة الله عليه أنَّه كان يمشي في البادية، فرأى أربعين شابًّا من أصحاب الطريقة ماتوا جميعًا جياعًا وعطاشًا، فناجى أبو يزيد ربه، وقال: إلهي؛ كم تقتل الأحباب، وإلى كم تُرِيق دم الأصحاب؟! فسمع هاتفًا يقول: يا أبا يزيد؛ أُرِيقُ الدمَ وأُعطي دِيَتُهُ. وقال: ما دِيَّة هؤلاء؟ فسمع هاتفًا يقول: ديَّة مقتول الخلق: الدينار، ودية مقتول الحق: رؤية الغفَّار.

وسُئِلَ أبو بكر الشّبليّ عن المحبَّة، فقال: المحبَّة السُّكْر، شربوا بكأس الوداد، فضاقت عليهم الأرض والبلاد، من عرف الله حق معرفته في عظمته، تحيَّر في قدرته، ومن شرب بكأس حبِّه غرق في بحر أُنْسِه، وتلذَّذَ بمناجاته، ومن عرف الله، لم يكن له أُنْس بغيره، ثمَّ أنشد شعرًا:

ذكر المحبَّة يا مولاي أسكرني وهل رأيت محبًّا غير سكران؟!

والثالث: قتل زكريا عَلَيْهِ السَّلام في يوم الثلاثاء:

وذلك أن زكريا عَلَيْهِ السَّلام هرب من اليهود، فَقَفُوا أثره، فَلَمَّا دَنُوا منه رأى شجرة، فقال لها: يا شجرة؛ التئميني فيك، فانشقَّت الشَّجَرَة فدخل فيها، ثمَّ التأمت الشَّجَرَة، فجاءوا فلم يجدوه، فقال لهم إبليس عليه اللَّعنة: إنه قد التئم في هذه الشَّجَرَة، فأتوا بمنشار وشقُّوا تلك الشَّجَرَة نصفين لأجل أن يموت فيها، ففعلوا كما قال إبليس عليه اللَّعنة، فلمَّا بلغ المنشار أمَّ رأسه صاح، وقال: آه، فوقعت الزَّلزلة في ملكوت السموات، فنزل جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام من ساعته، وقال: يا زكريا؛ إن الله تعالى يقول لك: لو قلت مرَّة ثانية آه، لمحوت اسمك من ديوان الأنبياء، فعضَّ زكريا شفتيه حتى شقُّوه نصفين. ليعلم الظالمون أن أشد البلاء للأولياء والأنبياء.

وحكي عن يحيى بن معاذ الرَّازِي رحمة الله عليه أنَّه ناجى في ليلة، فقال: إلهي؛ إن طلبتك أتعبتني، وإن هربت منك أحرقتني، وإن أحببتك قتلتني، فلا منك فرار ولا معك قرار.

الرابع: قُتِلَت سحرة فرعون يوم الثُّلاثاء:

حين قالوا: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف]، فتوعَّدهم فرعون وقال: ﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ﴾[1] [الأعراف: ١٢٤]، فاستقاموا على إيمانهم و لم يرجعوا، فقطع أيديهم وأرجلهم وصلَّبهم على جذوع النَّخل.

وفي الحديث: أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " ليلة أُسْرِيَ بي إلى السماء رأيتُ في الجنة طيورًا خُضْرًا على الأشجار، فسألت عنها، فقيل لي: هذه الطيور أرواح الَّذين قتلهم فرعون وصلَّبهم على جذوع النَّخل ".

والخامس: قُتِلَت آسية امرأة فرعون يوم الثلاثاء:

وهي المَعْنِيَّة بقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾[2] [التحريم: ١١] الآية.

وإنَّها كانت منذ سِتِّين سنة مسلمة، وكانت تكتم إيمانها من فرعون، فلمَّا اطَّلع فرعون على إيمانها أَمَرَ بأن تُعذَّب، فعذَّبوها بأنواع العَذَاب، وقال لها: ارتدِّي، فلم ترتدّ، فأتوا بأربعة أوتاد وضربوها في أعضائها، وذلك قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ

---

(١) أي: يخالف الطرف الذي تقطع منه اليد الطرف الذي تقطع منه الرجل، قال الكلبي: لأقطعنّ أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى ﴿ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ أي: أعاقبكم ممددة أيديكم لتصير على هيئة الصليب أو حتى يتقاطر صليبكم وهو الدهن الذي فيكم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ أي: لا أترك منكم أحداً تفضيحاً لكم وتنكيلا لأمثالكم قال ابن عباس: أوّل من صلب وقطع الأيدي والأرجل فرعون أي: إنه أوّل من سنّ ذلك فشرعه الله تعالى للقطاع تعظيماً لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته.

(٢) قال أبو العالية: اطّلع فرعون على إيمان امرأته فخرج على الملأ فقال لهم: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها، فقال لهم: فإنها تعبد ربّاً غيري، فقالوا له: اقتلْها، فأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها، فدعت آسية ربها فقالت: « رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة » الآية، فكشف لها الغطاء فنظرت إلى بيتها في الجنة، فوافق ذلك حضور فرعون، فضحكت حين رأت بيتها في الجنة، فقال فرعون: ألا تعجبون من جنونها، فعذبها وهي تضحك وقُبض روحها. [النكت والعيون: ٢٩٧/٤]

﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ﴾[1] [الفجر: ١٠ - ١١] ثمَّ قال: ارتدِّي، فقالت: إنَّكَ تُعَذِّبُ نفسي وبدني، وقلبي في عصمة ربي، لو قطَّعتني إربًا إربًا ما ازددت إلا حبًّا. فَمَرَّ موسى عَلَيْهِ السَّلام بين يديها، فنادت: يا موسى؛ أخبرني عن ربِّي، أَرَاضٍ هو عنِّي أم ساخط عَلَيَّ؟ فقال موسى عَلَيْهِ السَّلام: يا آسية؛ ملائكة سبع سموات في انتظارك، والله تعالى يباهي بك، فاسألي حاجتك، فإنه لا يردد لك. فقالت: ربِّ ابن لي عندك بيتًا في الجنَّة. وليس المراد من العندية في السؤال: الدَّار، ولكن المراد: الجار؛ لأنَّهَا إنَّما قالت: إلهي؛ أريد كما هو شأن خواص العبيد.

السادس: ذُبحَت بقرة بني إسرائيل يوم الثُّلاثَاء:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾[2] [البقرة: ٦٧] الآية.

وسببه: أَنَّه كان في بني إسرائيل أخوان فقيران، وكان لهما عمٌّ غنيّ يقال له: عاميل، ليس له وارث سواهما، وكان لا يواسيهما بشيء، فأجمعا على قتله لأجل ميراثه، فقتلاه وحملاه وألقياه بين قريتين من قُرَى بني إسرائيل ورجعا، وقالا: إنَّ عَمَّنَا قُتِلَ في موضع كذا وكذا، وجلسا لتعزيته، ثُمَّ طلبا من القريتين ديَّته، فوقعت الخصومة بين القريتين، وذلك

---

(١) ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن الأوتاد الجنود، فلذلك سمي بذي الأوتاد لكثرة جنوده، قاله ابن عباس.

الثاني: لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد يشدها في أيديهم، قاله الحسن، ومجاهد، قال الكلبي: بمثل ذلك عذب فرعون زوجته آسية بنت مزاحم عندما آمنت حتى ماتت.

الثالث: أن الأوتاد البنيان فسمي بذي الأوتاد لكثرة بنائه، قاله الضحاك.

الرابع: لأنه كانت له فطال وملاعب على أوتاد وحبال يلعب له تحتها، قاله قتادة.

ويحتمل خامساً: أنه ذو الأوتاد لكثرة نخلة وشجرة، لأنها كالأوتاد في الأرض. [النكت والعيون ٤/٤١٦]

(٢) أمرهم الله - تعالى - بذبح بقرة دون غيرها من الحيوانات؛ لأنها من جنس ما عبدوه وهو العجل، وفي أمرهم بذلك تهوين لشأن هذا الحيوان الذي عظموه وعبدوه وأحبوه فكأنه - سبحانه - يقول لهم: إن هذا البقر الذي يضرب به المثل في البلادة، لا يصلح أن يكون معبوداً من دون الله، وإنما يصلح للحرث والسقى والعمل والذبح. [الوسيط: ١/١١٦]

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة:٧٣]، فجاء أهل القريتين إلى موسى عَلَيْهِ السَّلام، وقالوا: ادع لنا ربّك يبين لنا أمر القتيل، فقال موسى عَلَيْهِ السَّلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٦٧ - ٧١].

فأمر الله تعالى موسى عَلَيْهِ السَّلام أن يضرب المقتول بلِسَان البَقَرَة، فضُرِبَ فأحياه الله وكلَّم بني إسرائيل، وقال: قتلني ابنا أخي. وذلك قوله: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٧٣] الآية[(١)].

والإشارة فيه: أنَّ الله تعالى أمر بذبح البقرة دون سائر الحيوانات؛ لأنَّ قوم موسى عَلَيْهِ السَّلام عبدوا العجل، فأُمِرُوا بذبح البقرة ليعلموا أنَّ جنس البقر لا يصلح إلا للذَّبح والإهانة، وكذلك عذَّب الكافرين بالنَّار، وأطفأ النَّار بالإيمان؛ ليعلم الكفَّار وعبدة النَّار أنَّها مخلوقة من مخلوقات الله تعالى.

وقيل: إن البقرة كانت ليتيم في بني إسرائيل، فاشتروها منه بملء مسكها ذهبًا؛ لأنَّ اليتيم كان بارًّا بوالديه. ويقال: إن أبا اليتيم لما حضرته الوفاة ناجى ربه، فقال: إلهي؛ ليس لي شيء سوى هذه البقرة يرثها ولدي، فأودعتك هذه البقرة كي تسلمها إلى ولدي إذا احتاج إليها، فلمَّا سلَّمها لله تعالى، حفظها له وباعها بملء مسكها ذهبًا؛ ليعلم العالمون أنَّ من أودع الله تعالى شيئًا يرده إليه، مثل ما ردَّ البقرة على اليتيم.

ومثل هذا ما حُكِيَ: أنَّ رجلا حَضَرَ إِلَى عمر بن الخطَّاب رضي الله تعالى عنه ومعه ابن له، وكان الابن يُشبه أباه جدًّا، فتعجَّب عُمَر رضي الله عنه، وقال: ما رأيت غرابًا أشبه بأبيه مثل هذا. فقال الرَّجل: يا أمير المؤمنين؛ إن في شأن ولدي هذا شيئًا عجبًا؛ أنَّه مَكَثَ في القبر تسعة أشهر، ثمَّ خرج بقدرة الله تعالى، فوثب عمر رضي الله تعالى عنه، وقال: إيش تقول يا هذا؟! فقال الرجل: أردت أن أسافر وكان ولدي هذا في بطن أمه، فتوضأت وصَلَّيْتُ ركعتين، ورفعت يديَّ إلى السماء، فقلت: إلهي؛ أودعت ولدي الذي

---

(١) أخرج القصة ابن جرير الطبري (١١٧٣) حدثني قال: حدثنا آدم، به. ونقلها ابن كثير (١٥٤/١) عن آدم بن أبي إياس في تفسيره، به سندا ومتنا.

في بطن زوجتي عندك، فرُدَّه إليَّ سالمًا إذا رجعت. ثم خرجت إلى السفر ومكثت فيه تسعة أشهر، ثمَّ رجعت فوجدت زوجتي قد ماتت، فذهبت إلى زيارة قبرها، فعانقتُ قبرها وبكيت بكاءً شديدًا، فإذا صوت من قبرها، فتعجبت وقلت: اكشف القبر حتى أنظر ما هذا الصوت الذي أسمع، فرأيت زوجتي قد بليت وجسدها قد تفسخ جميعه ما خلى ثدييها، والغلام يرضع فَرَفَعْتُ الصَّبِي، وقلت: إلهي؛ مَنَنْتَ عليَّ بردِّ ولدي هذا، فلو رَدَدْتَ زوجتي لعظمت مِنَّتُكَ عليَّ. فسمعت هاتفًا يقول: أودعت ولدك عند الله فردَّهُ إليك سالمًا، فلو أودعت زوجتك لردَّها إليك سالمةً كما ردَّ ولدك سالمًا.

والسابع: قتل هابيل في يوم الثلاثاء:

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾ [المائدة: ٢٧] الآية.

وسبب ذلك: أَنَّ حَوَّاء عَلَيْهِمَا السَّلام ولدت مائة وعشرين ولدًا، وفي رواية أخرى: ولدت مائة وثمانين ولدًا، وفي رواية: خمس مائة ولدٍ، وكلَّما ولدت بطنًا يكون ذكرًا وأنثى، زوَّجت أحد التوأمين ذكرًا بأنثى ذلك، وذكر ذلك بأنثى هذا، فأوَّل ما ولدت قابيل وأخته إقليميا، ثُمَّ ولدت هابيل وأخته دميمًا – وقيل: لبورا –، فَلَمَّا بلغا أوحى الله تعالى إلى آدم صلوات الله عليه: أنَّ زوِّج دَمِيمًا بقابيل، وإقليميا بهابيل، فأخبرهما آدم بوحي الله تعالى، فرضي هابيل وأَبَى قابيل، وقال: إن أختي أحسن فلا أبدّلها، فقال آدم عَلَيْهِ السَّلام: يا بني؛ لا تخالف أمر الله تعالى، فقال قابيل: لم يأمرك الله بهذا، ولكنَّك تحبُّ هابيل فتزوّجه أحسن بناتك، فقال آدم عَلَيْهِ السَّلام: اذهبا وتحاكما إلى الله تعالى، وتقرَّبا إلى الله بقربان، فأيُّكما يقبل قربانه فهو أحقّ. فذهبا إلى الموضع الذي بناه آدم عَلَيْهِ السَّلام، وكان قابيل زرَّاعًا، فأتى بسنابل من زرعه، وكان هابيل راعيًا، فأتى بكبش، فوضعا قربانهما على جبل – أي: جبل مِنَى –، وقالا: إلهنا؛ تقبَّل مِنَّا. فنزلت نار بلا دخان على صورة عنقاء لها جناحان أخضران، فأحرقت قربان هابيل، ولم تلتفت إلى قربان قابيل. والإشارة فيه: كأنَّ الله تعالى يقول: أحرقت قربان سائر الأمم، ولم أُجِز أن أحرق قربان حبيبي، فأمرهم بإطعام الفقير، فإذا لم أُجِز إحراق القربان، فكيف أحرق من يقرأ القرآن؟!

نُكْتَة: سبعة حاكمة في وقت سبعة من الأنبياء عَلَيْهِم السَّلام:

فالقربان حاكم آدم عَلَيْهِ السَّلام؛ فمن احترق قربانه، علم أنَّه حق، ومن لم يحترق قربانه، علم أنَّه على باطل.

والثاني: السفينة كانت حاكم نوح عَلَيْهِ السَّلام؛ فمن وضع يده على السفينة و لم تتحرك السفينة، عُلِمَ أنَّه حق، ومن وضع يده عليها وتحركت، عُلِمَ أنه باطل.

والثالثة: السلسلة كانت حاكم داود عَلَيْهِ السَّلام؛ فمن وصلت يده إليها وأخذها فهو حق، ومن لم يقدر أن يأخذها عُلِمَ أنَّه باطل.

والرابع: النَّار كانت حاكم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلام؛ فمن وضع يده على النَّار و لم تحترق، عُلِمَ أنَّه حق، ومن وضع يده على النَّار وأحرقتها، عُلِمَ أَنَّهُ باطل.

والخامس: الصَّاع كان حاكم يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام؛ فمن وضع يده على الصاع فصوت؛ عُلِمَ أنه حق، ومن وضع يده عليه وسكت، فهو باطل.

والسادس: الحفرة في صومعة سليمان عَلَيْهِ السَّلام كانت حاكمًا لسليمان؛ فمن وضع رجله فيها و لم تأخذها الحفرة، عُلِمَ أنَّه حق، ومن وضع رجله في الحفرة وأخذتها، عُلِمَ أَنَّهُ باطل.

والسابع: قلم حديد كان حاكم زكريا عَلَيْهِ السَّلام؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[1] [آل عمران: ٤٤] الآية. وكانوا يكتبون اسم الخصم على القلم ويلقونه في الأبحر، فإذا جرى القلم على الماء، علم أنَّه حق، فإذا رسب

---

(١) فيه قولان:

أحدهما: أنهم تشاجروا عليها وتنازعوا فيها طلباً لكفالتها، فقال زكريا: أنا أحق بها لأن خالتها عندي، وقال القوم: نحن أحق بها لأنها بنت إمامنا وعالمنا، فاقترعوا عليها بإلقاء أقلامهم وهي القداح مستقبلة لجرية الماء، فاستقبلت عصا زكريا لجرية الماء مصعدة، وانحدرت أقلامهم فقرعهم زكريا، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ وهذا قول ابن عباس، وعكرمة، والحسن، والربيع.

والقول الثاني: أنهم تدافعوا كفالتها لأن زكريا قد كان كفل بها من غير اقتراع، ثم لحقهم أزمة ضعف بها عن حمل مؤونتها، فقال للقوم: ليأخذها أحدكم فتدافعوا كفالتها وتمانعوا منها، فأقرع بينهم وبين نفسه فخرجت القرعة له، وهذا قول سعيد. [النكت والعيون: ١/٢٣١]

في الماء، علم أنَّه باطل، فلمَّا بلغت النُّبُوَّة إلى مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: " البيِّنَة على المدَّعي، واليمين على من أنكر "[1]. حتى لا يُهتك سِتْر من كان كاذبًا، فإذا لم يهتك ستر من كان كاذبا في الدُّنيا في الدَّعوى، فكيف يهتك سِتْر من صَدَّق بشهادة أن لا إله إلا الله في العُقْبَى؟!

وفي الخَبَر: " إذا كان يوم القيامة، يأمر الله كل نبي أن يحاسب مع أمّته، ويقول لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تحاسب مع أمَّتك، فيناجي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقول: إلهي؛ اجعل حساب أمَّتي في يدي، لا يطَّلع على مساوئهم غيري. فيقول الله عزَّ وجلَّ: يا مُحَمَّد؛ إنك تريد أن لا يطَّلع على مساوئهم غيرك، وأنا أريد أن لا يطلع على مساوئهم أحد غيري، لا أنت ولا مَلَك مقرَّب ".

رجعنا إلى القصة: فلمَّا تُقُبِّلَ قربان هابيل، حَسَدَه قابيل، فقال: لأقتلنَّك، فأجاب هابيل وقال – كما قال الله تعالى –: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[2] [المائدة: ٢٧].

---

(١) أخرجه الترمذى (٦٢٦/٣، رقم ١٣٤١) وقال: فى إسناده مقال. وأخرجه أيضًا: الدارقطنى (١٥٧/٤)، و البيهقى (٢٥٢/١٠، رقم ٢٠٩٩٢). والشافعى (١٩١/١).

(٢) موعظة وتعريض وتنصل مما يوجب قتله.يقول: القبول فعل الله لا فعل غيره، وهو يتقبل من المتقي لا من غيره.يعرض به أنه ليس بتقي، ولذلك لم يتقبل الله منه.وآية ذلك أنه يضمر قتل النفس.ولذا فلا ذنب، لمن تقبل الله قربانه، يستوجب القتل.وقد أفاد قول ابن آدم حصر القبول في أعمال المتقين، فإذا كان المراد من المتقين معناه المعروف شرعا المحكي بلفظه الدال عليه مراد ابن آدم كان مفاد الحصر أن عمل غير المتقي لا يقبل؛ فيحتمل أن هذا كان شريعتهم، ثم نسخ في الإسلام بقبول الحسنات من المؤمن وإن لم يكن متقيا في سائر أحواله؛ ويحتمل أن يراد بالمتقين المخلصون في العمل، فيكون عدم القبول أمارة علة عدم الإخلاص، وفيه إخراج لفظ التقوى عن المتعارف؛ ويحتمل أن يريد بالتقبل تقبلا خاصا، وهو التقبل التام الدال عليه احتراق القربان، فيكون على حد قوله تعالى: ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢]، أي هدى كاملا لهم، وقوله: ﴿وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٣٥]، أي الآخرة الكاملة، ويحتمل أن يريد تقبل القرابين خاصة؛ ويحتمل أن يراد المتقين بالقربان، أي المريدين به تقوى الله، وأن أخاه أراد بقربانه بأنه المباهاة.

ومعنى هذا الحصر أن الله لا يتقبل من غير المتقين وكان ذلك شرع زمانهم. [التحرير والتنوير: ٨٣/٥]

نُكْتَة: سبعة أشياء يتمنَّاها كل النَّاس، ولكن وعدها الله المتَّقِين:

أولها: كل النَّاس يتمنَّى أن يُكَفِّر الله سيئاته، ولكن وعدها الله المتَّقِين؛ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ [الطَّلاق: ٥] الآية.

وثانيها: كل النَّاس يَتَمَنَّى أن ينجو من النَّار، ولكن وعدها الله المتقين؛ قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ [الزمر: ٦١] الآية.

والثَّالث: كل النَّاس يتمنَّى أن يجد خيرًا لعاقبته، ولكن وعدها الله تعالى المتَّقِين؛ قوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

والرابع: كل النَّاس يتمنَّى أن يرث ملك الجنَّة، ولكن وعدها الله تعالى المتَّقِين؛ قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣].

والخامس: كل النَّاس يتمنَّى أن يجد الفوز والنُّصرة من الله تعالى، ولكن وعدها الله تعالى المتَّقين؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨].

والسادس: كل النَّاس يتمنَّى أن يجد محبَّة الله تعالى، ولكن وعدها الله تعالى المتَّقين، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

والسابع: كل النَّاس يتمنَّى أن يُتقبَّل منه الطاعة والدعاء، ولكن وعدها الله تعالى المتقين؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] الآية.

فلمَّا قال قابيل: لأقتلنَّك، قال هابيل: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[1] [المائدة: ٢٨]، فما زال قابيل يَطْلُب الفرصة ليقتله، فَفِي يوم من الأيَّام ذهب في طلبه فَوَجَدَه نائمًا عند غَنَمِه، فرَفَعَ حَجَرًا بتعليم إبليس عليه اللَّعنة، وضرب به رأس هابيل فقتله، وكان ذلك يوم الثلاثاء، فلمَّا أراق

---

(١) أي: لئن بدأتني بالقتل لم أبدأك به، أو لم أدفعك عني، وهل تركه للدفع تورع، وهو الظاهر أو كان واجبًا عندهم، وهو قول مجاهد؟ وأما في شرعنا: فيجوز الدفع، بل يجب، قاله ابن جزي. وقال البيضاوي: قيل: كان هابيل أقوى منه، فتحرج عن قتله، واستسلم له خوفًا من الله، لأن الدفع لم يُبح بعدُ، أو تحريًا لِمَا هو الأفضل. قال صلى الله عليه وسلم: « كُن عبدَ الله المقتُول، ولا تكُن عبدَ الله القاتل » وإنما قال: ﴿ مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ ﴾ في جواب ﴿ لَئِن بَسَطتَ ﴾؛ للتبري من هذا الفعل الشنيع، والتحرز من أن يوصف به، ولذلك أكد النفي بالباء. أهـ. [البحر المديد: ٥٤/٢]

دَمَه، اجتمعت النُّسور، فتَحيَّر قابيل في كَتْمِه، فأخذ يدور به الأرض ويجرُّه، وكل أرض وقعت فيها قطرة من دم هابيل صارت سبخة، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١]، فبحث الغراب في الأرض وكَتَم فيها شيئًا، ثم سَوَّى عليه التُّراب، فلمَّا رآه قابيل، قال: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[1] [المائدة: ٣١] يعني: ندم على كَوْنه عاجزًا عن كَتْم أخيه، و لم يندم على قتله؛ لأنه لو كان نادمًا على قتل أخيه لصار ندمه توبةً، وإنه مات بغير توبة.

نظيره: قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٧]؛ ندموا لِمَ لَمْ يقتلوا ولد النَّاقة، و لم يندموا على قتل النَّاقة.

فلمَّا وارى أخاه في التُّرَاب رَجَعَ إلى مَنْزِله، وكان آدم عَلَيْهِ السَّلام قد ذَهَب إلى بيت الله الحَرَام، فَرَجَع آدم عَلَيْهِ السَّلام بعد أيَّام، فاستقبله جميع أولاده إلا هابيل، فسأل عَلَيْهِ السَّلام أولاده وقال: أين ولدي هابيل؟ وكان يحبُّه من جميع أولاده، فقالوا: غاب هابيل منذ أيَّام ولا ندري أين هو، فاغتمَّ آدم عَلَيْهِ السَّلام، وبات تلك اللَّيلة، فرأى في منامه

---

(١) الظاهر أن ندمه كان على قتل أخيه لما لحقه من عصيان وإسخاط أبويه، وتبشيره أنه من أصحاب النار. وهذا يدل على أنه كان عاصياً لا كافراً.

قيل: و لم ينفعه ندمه، لأن كون الندم توبة خاص بهذه الأمة.

وقيل: من النادمين على حمله.

وقيل: من النادمين خوف الفضيحة.

وقال الزمخشري: من النادمين على قتله لما تعب من حمله، وتحيره في أمر، وتبين له من عجزه وتلمذته للغراب، واسوداد لونه، وسخط أبيه، و لم يندم ندم التائبين انتهى.

وقد اختلف العلماء في قابيل، أكان كافراً أم عاصياً؟ وفي الحديث: « إن الله ضرب لكم ابني آدم مثلا فخذوا من خيرها ودعوا شرها » وحكى المفسرون عجائب مما جرى بقتل هابيل من رجفان الأرض سبعة أيام، وشرب الأرض دمه، وإيسال الشجر، وتغير الأطعمة، وحموضة الفواكه، ومرارة الماء، واغبرار الأرض، وهرب قابيل بأخته إقليميا إلى عدن من أرض اليمن، وعبادته النار، وانهماك أولاده في اتخاذ آلات اللهو وشرب الخمر والزنا والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان، والله أعلم بصحة ذلك. [البحر المحيط: ٤١٨/٤]

هابيل وهو يناديه من بعيد: يا أبتِ؛ الغوث. فانتبه من نومه مذعورًا، وبكى حتى غُشِيَ عليه، فنزل جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام، ورفع رأسه ووضعه في حجره، فلمَّا أفاق قال: يا جبْرِيل؛ أين ابني هابيل؟ فقال جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام: يا آدم؛ عظَّم الله أجرك في هابيل، قد قتله قابيل، فقال آدم عَلَيْهِ السَّلام: أنا بريء من قابيل، وقال جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام: يا آدم؛ إن الله يقول أيضًا: أنا بريء من قابيل، ثمَّ قام آدم عَلَيْهِ السَّلام وقال: يا جبْرِيل؛ أَرِني قبر ولدي. فأراه قبره، فرآه متلطِّخًا بالدِّماء، فصاح: وا حسرتاه، وا ولداه، وا حبيباه، وبكى حتى بَكَتْ ملائكة السَّموات السَّبع لبكائِه، وقالت: إلهي؛ بَكَى آدم ثلاث مائة عام لم يسترح إلا مدَّة يسيرة، ثمَّ اشتغل بالبَكَاء، قال الله تعالى: نعم؛ إنَّ الدُّنيا دار الفناء والبلاء والعناء والبكاء، وكان آدم عَلَيْهِ السَّلام يبكي[1]، ويُنْشِد شعرًا[2]: [الوافر]

تَغَيَّرَتِ البِلادُ ومَنْ عَلَيْهَا ... فوجْهُ الأَرْضِ مُغْبَرٌّ قَبِيحُ
تغيَّر كل طعم ولون ... وزال بشاشة الوجه المليح
فوا أسفى على هابيل ابني ... قتيل قد تضمَّنه الضَّريح

وكان آدم عَلَيْهِ السَّلام إذا بلغ واديًا بكى الوادي لبكائه، وإذا صعد جبلا بكت الحجارة لبكائه.

أما قابيل؛ فكان إذا لقي شيئًا من الوحوش، فَرَّت منه وقالت: ليس له وفاء من لا يرحم أخاه، فكيف يرحمنا؟!

---

(١) قال الزمخشري: وروي أن آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك، وأنه رثاه بشعر.، وهو كذب بحت، وما الشعر إلا منحول ملحون. وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر.

وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس أنه قال: من قال إنّ آدم قال شعراً فهو كذب، ورمى ردم بما لا يليق بالنبوّة، لأن محمداً والأنبياء عليهم السلام، كلهم في النفي عن الشعر سواء.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾ ولكنه كان ينوح عليه، وهو أول شهيد كان على وجه الأرض ويصف حزنه عليه نثراً من الكلام شبه المرثية، فتناسخته القرون وحفظوا كلامه، فلما وصل إلى يعرب بن قحطان وهو أول من خط بالعربية فنظمه. [البحر المحيط: ٤/٤١٩]

(٢) انظر: البداية والنهاية (١/١٠٥)، والكامل في التاريخ (١/١١٥)، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١٧/٣٦٤)، وحلية الأولياء (٦ / ٦٣)، والميزان (٢ / ٢٨٤). وقد روى الطبري الخبر في تاريخه (١ / ١٤٥) وتفسيره (٦/١٩٠)، والشعر مفتعل منحول.

الْمَجْلِسُ الْخَامِسُ: فِي يَوْمِ الأَرْبَعَاءِ

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾[1] [القمر:١٩] الآية، وكان يوم الأربعاء، بدليل ما روى أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: سُئِلَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن يوم الأربعاء، قال: " يوم نحسٍ مستمِر "، قالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: " أغرق الله تعالى فيه فرعون وقومه، وأهلك عادًا وثمود، وهم قوم صالح"[2].

بساط المجلس: قال بعض العُلَمَاء: أهلك الله تعالى سبعة من الكفَّار بسبعة من الأشياء في يوم الأربعاء:

الأوَّل: عوج بن عنق بالهُدْهُد.

والثاني: قارون بالخَسْف.

---

(١) الصرصر: وزنه بالميزان الصرفي فعفل، وفي معنى الصرصر لعلماء التفسير وجهان معروفان:

أحدهما: أن الريح الصرصر هي الريح العاصفة الشديدة الهبوب، التي يسمع لهبوبها صوت شديد، وعلى هذا فالصرصر من الصرة، التي هي الصيحة المزعجة.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ [الذريات:٢٩]، أي في صيحة، ومن هذا المعنى صرير الباب والقلم، أي صوتهما.

الوجه الثاني: أن الصرصر من الصر الذي هو البرد الشديد المحرق، ومنه على أصح التفسيرين قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران:١١٧]، أي فيها برد شديد محرق، ومنه قول حاتم الطائي:

أوقد فإن الليل ليل قر ... والريح يا واقد ريح صر

عل يرى نارك من يمر ... إن جلبت ضيفا فأنت حر

فقوله: ريح صر، أي باردة شديدة البرد.

والأظهر أن كلا القولين صحيح، وأن الريح المذكورة. جامعة بين الأمرين، فهي عاصفة شديدة الهبوب، باردة شديدة البرد.

وما ذكره جل وعلا من إهلاكه عادا بهذه الريح الصرصر، في تلك الأيام النحسات، أي المشؤومات النكدات، لأن النحس ضد السعد، وهو الشؤم جاء موضحا في آيات من كتاب الله. [أضواء البيان:١٧/٧]

(٢) رواه السيوطي في الآلئ المصنوعة (٤٤٢/١).

والثالث: فرعون وجنوده باليَمِّ.

والرابع: ونَمْرُود بالبَعُوضَة.

والخامس: وقوم لُوطٍ بالحَجَر.

والسادس: شداد بن عاد بصيحة جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام.

والسابع: وقوم عادٍ بالرِّيح.

أمَّا الأوَّل؛ أهلك الله تعالى عَوْجًا في يوم الأربعاء:

وهو ابن أربعة آلاف وخمس مائة سنة، وكان عوج طويل القامة، حتى إنَّ ماء الطوفان في وقت نوح عَلَيْهِ السَّلام لم يتجاوز ركبتيه. ويقال: إنَّه كان يجلس على جبل ويمد يده في البحر ويأخذ السَّمكة ويشويها بالشَّمس ويأكلها. وكان إذا غضب على أهل بلد بال عليهم، فيغرقون في بوله. فلمَّا دخل موسى عَلَيْهِ السَّلام في التيه، قصد إليه عَوْج ليهلكهم، فجاء وحزر عسكر موسى عَلَيْهِ السَّلام، فوجد مواضع عسكره فرسخًا في فرسخٍ، فقلع جبلا فرسخًا في فرسخ، فوقع على رأسه ليلقيه على عسكر موسى عَلَيْهِ السَّلام، فأرسل الله تعالى هدهدًا بحجر الماس، فوضعه على الجبل الذي على رأس عَوْج بن عنق، ونَقَبَه بقدرة الله تعالى، فوقع على عنقه و لم يقدر على إزالته، فهَلَكَ به.

ويقال: كانت قامة موسى عَلَيْهِ السَّلام أربعين ذراعًا، وعصاه أيضًا أربعين ذراعًا، ووَثَبَ في الهواء أربعين ذراعًا، وضربه بعصاه على كعبه، فسقط بقدرة الله تعالى ومات، و لم يَنْجُ من الموت مع طول قامته وقوته.

شعر[1]: [البسيط]

المَوْتُ بَابٌ وكُلُّ النـاس دَاخِلُـهُ	يا ليت شعري بعد الموت ما الدَّار
الدَّار جنة خلـدٍ إن عملـت بمـا	يرضى الإله وإن خالفـت فالنَّـار
هما محـلان مـا للنـاس غيرهمـا	فانظر لنفسـك أي الـدار تختـار

(١) من شعر أبي العتاهية، انظر: الديوان ٦٣/١، وثمار القلوب ٦٩٥/١، والأغاني ٣٠٨/١٠.

والثاني: أُهْلِكَ قارون عليه اللَّعنة يوم الأربعاء:

وكان قارون من قوم موسى عَلَيْهِ السَّلام وختنًا له، فلمَّا أمر موسى عَلَيْهِ السَّلام بكتابة التوراة بالذهب، قال: إلهي؛ أين أجد الذهب؟ فعلم اللهُ تعالى موسى علم الكيمياء، وكان قارون فقيرًا ومُقلا وذا عيال، عابدًا لربه؛ قائمًا باللَّيل وصائمًا بالنَّهار، فرَحِمَه موسى عَلَيْهِ السَّلام لفقره، وعلَّمَهُ علم الكيمياء؛ ليكون له معينًا على طاعة الله تعالى ونفقة أولاده، فعلَّمه، فاجتمعت عنده أموال كثيرة، قال الله تعالى: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾[1] [القصص: ٧٦]، فكان مفاتيح خزائنه حمل مائة بعير - وفي رواية: حمل سبعين بعيرًا -، وقال مجاهد رحمه الله تعالى: كان وزن كل مفتاح درهمًا، وفي رواية: نصف درهم، ويُفْتح بكل مفتاحٍ سبعون بابًا.

فلمَّا بدأ بجمع المال، ترك النَّوافل من العبادات، ثمَّ أمر اللهُ تعالى موسى عَلَيْهِ السَّلام أن يسأل منه زكاة أمواله، فحسب مقدار زكاته فوجده كثيرًا فلم يُعْطِه، وكان عنده ألف مملوك وألف جارية، يركبون كلّهم بسروج الذَّهب، وثيابهم كذلك، فتفرَّقَ بنو إسرائيل فرقتين؛ فرقة عند موسى عَلَيْهِ السَّلام، وفرقة عند قارون عليه اللَّعنة، فلمَّا ألحَّ موسى عَلَيْهِ

---

(١) نَوؤها بالعُصْبة أن تُثقلهم، والعُصْبة هَا هنا أربعون رجلا ومفاتحه: خزائنه. والمعنى: مَا إن مفاتحه لتُنِىء العُصْبة أى تميلهم من ثقلها فإذا أدخلت الباء قلت: تنوء بهم وتُنِىء بهم، كما قال ﴿ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ والمعنى: ائتونى بقِطْرٍ افرغ عَليه، فإذا حذفت الباء زدت فى الفعل ألِفاً فى أوَّله. ومثله ﴿فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ ﴾ معناه: فجاء بها المخاض. وقد قال رجل من أهل العربية: إن المعنى: ما إن العُصْبة لتنوءُ بمفاتحه فحوّل الفعل إلى المفاتح كما قال الشاعر:

إن سراجاً لكريم مفخره تَحْلَى به العَيْنُ إذا ما تَجْهَرُه

وهو الذى يَحْلَى بالعين. فان كان سَمع بهذا أثراً فهو وجه. وإلا فإنّ الرجل جَهل المعنى. ولقد أنشدنى بعض العرب:

حتى إذا ما التأمَتْ مَوَاصِلُهْ ونَاءَ فى شقِّ الشِّمالِ كاهِلُهْ

يعنى الرامى لَمَّا أخذ القوس ونزع مال على شِقِّه. فذلك نَوْؤه عَليها. ونُرى أن قول العرب: مَا ساءك وناءك من ذلكَ، ومَعناه ما سَاءك وأناءك، إلا أنّه أَلقى الأَلِف؛ لأنه مُتْبَع لساءك، كما قالت العرب: أكلت طعاماً فهَنَأَنِى ومَرَأَنِى، ومَعْنَاه، إذا أفردت: وأمرأنى، فحذفت منه الأَلِف لَمّا أن أُتبع ما لا ألفَ فيه. [معاني القرآن للفراء: ٢٨٢/٣]

السَّلام في أمر الزَّكاة، قال قارون: أجمع أهل المصر غدًا وأناظر معه، فإن غلبني بالحجَّة، أعطيته زكاة المال، وإلا فلا.

وكان في بني إسرائيل امرأة ذات جمال معروفة بالفسق والفجور، فدعاها قارون عليه اللَّعنة، وقال لها: إني أجمع بني إسرائيل، فإن شهدت على موسى بالفسق وقلتِ: إنه زنا بي وأنا حامل منه؛ فإني أعطيك مالا كثيرًا. فقَبِلَت المرأة قوله، ثمَّ جمع قارون عليه اللَّعنة بني إسرائيل في داره، ودعا موسى عَلَيْهِ السَّلام، فلمَّا حضر موسى، قال له بنو إسرائيل: يا موسى؛ عِظْنَا بموعظة ننتفع بها. فبدأ موسى عَلَيْهِ السَّلام بالوَعْظ، فقال في أثناء كلامه: مَنْ سرق مالا أقطع يده، ومن قطع طريقًا أقطع رأسه، ومن زَنَى بامرأة أرجمه بالحجارة. فقام قارون عليه اللَّعنة وقال: يا موسى؛ إن فعلت ما قلت، فكيف الحكم عليك؟ قال موسى عَلَيْهِ السَّلام: فإن فعلتُ فالحكم عليَّ كما حكم الله تعالى. فقال: إن لي شاهدًا أنَّك زنيتَ بهذه المرأة، فإنَّها تُقِرُّ أنَّها حامل منك، وأشار إلى المرأة فقامت، فأوقع الله في قلبها الخوف، وحوَّل لسانها من الكَذِب إلى الصِّدق، وقالت: إن موسى بريء مما تقوله يا قارون، فإنَّ قارون دَعَاني ووعدني أموالا كثيرة، وعلَّمَني أن أفتري على موسى بُهتانًا، وإنِّي أخاف الله أن أفتري على رسوله وكليمه. فغضب موسى عَلَيْهِ السَّلام، وقال: يا عدو الله؛ إيش أردت بهذا الأمر؟ ثمَّ خرج من عندهم وسجد لله تعالى، وناجى واشتكى من قارون ومكره، فجاء جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام، وقال: يا موسى؛ إن الله تعالى يقول: قد جعلت الأرض في أمرك؛ في أي شيء تأمرها فهي تطيعك في هلاك قارون عليه اللَّعنة، فرجع موسى إلى قارون عليه اللَّعنة، فوجده جالسًا على السَّرِير، مُتَّكِئًا على فِرَاش من الدِّيباج، فضرب موسى عَلَيْهِ السَّلام عصاه في الأرض، وأشار إلى سريره، فانخسف سريره، فوثب قارون، فقال موسى عَلَيْهِ السَّلام: يا أرض خُذيه. فأخذته إلى ركبتيه، فتضرَّعَ إلى موسى فلم يلتفت إلى قوله، وقال: يا أرض خذيه، فأخذته إلى رقبته، فبقي يتضرع إلى موسى عَلَيْهِ السَّلام، فقال: يا أرض خذيه. فانخسفت به الأرض وبداره.

ويقال: إن قارون كان راكبًا وعنده أربعة آلاف راكب، فدعا موسى عَلَيْهِ السَّلام، فأخذت الأرض أرجل مراكبهم، فاستغاثوا بموسى عَلَيْهِ السَّلام، فلم يلتفت لهم، وقال: يا أرض خذيهم، فأوحى الله تعالى إلى موسى عَلَيْهِ السَّلام أنَّه استغاث بك أربع مراتٍ فلم

تُغِثْه، فوعِزَّتِي وجلالي لو استغاث بي مرةً واحدةً لأغثته، ثمَّ قال بنو إسرائيل: إن موسى دعا على قارون لتَبْقَى له أمواله وخزائنه، فدعا موسى عَلَيْهِ السَّلام على أمواله وخزائنه، فخسف الله تعالى بها الأرض.

والإشارة فيه: كان سبب هلاك قارون ثلاثة أشياء:

أولها: حُبُّ الدنيا.

والثاني: منع الزَّكاة.

الثالث: افتراؤه على موسى عَلَيْهِ السَّلام.

فيا باهت اعتبر بقارون، ولا تَفْتَرِ على أحد، ويا مانع الزَّكاة اعتبر بخسف قارون، ويا صاحب الدُّنيا تفكَّر في أمر قارون وما جرى له.

شعر:

يا طامعًا في كنز قارون ... ثوبك اغسله بصابون

يا مفتر الكذب ويا مانع الزكاة ... فانظر ما كان بقارون

شعر[1]: [الطويل]

إذا جاءت الدنيا عليك فجُدْ بها ... على الناس طرًّا إنها تتقلب

فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت ... ولا البخل يبقيها إذا هي تذهبُ

الثالث: أُهْلِكَ فرعون وجنوده يوم الأربعاء:

وقصته: أنَّه خرج موسى عَلَيْهِ السَّلام إلى شطِّ البحر ومعه سبعون ألفًا من بني إسرائيل، فتبعه فرعون مع جنوده، وكانوا ألف ألف – مرتين –، فلمَّا رآهم قوم موسى خافوا، وقالوا لموسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، قَالَ موسى عَلَيْهِ السَّلام: ﴿كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[2] [الشعراء: ٦٢].

---

(١) انظر: ديوان الإمام علي (٤٦/١)، وروح المعاني (٤٤/٢١).

(٢) « كلا » هذه نفي، وكيف يقول موسى: « كلا » وما رصيدها؟ إنه لم يقل: « كلا » ببشريته، ولكن قالها برصيده من الإيمان بالإله العظيم فقال: ﴿قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

نقل المسألة من الأسباب إلى المسبب تبارك وتعالى. فبمنطق الأحداث يكون فرعون وجنوده سيدركونهم. ولكن بمنطق الحق سبحانه وتعالى فإنه سيهيئ لهم طريق النجاة.

ونظيره: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الغار لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: " لا تحزن؛ إن الله معنا "[(١)]. وقال الله تعالى لأمَّة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]. فالذي قال: " إن معي ربي "[(٢)] نجا من الكفَّار، فكيف لا يُنْجى من قال له الجبار: (إني معكم) من عذاب النار؟! فأوحى الله تعالى إلى موسى عَلَيْهِ

=

وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى بأن يضرب بعصاه البحر فانفرق. وهكذا توقف قانون الماء وهو الاستطراق والسيولة. وانفرق البحر وأصبح كل جزء منه كالجبل. ذرات الماء تماسكت مع بعضها البعض لتكون جبلين كبيرين بينهما يابس يمر منه بنو إسرائيل. [تفسير الشعراوي: ١/١٨٠]

(١) أخرجه البخاري (٥/٤، رقم ٣٦٥٣)، ومسلم (٧/١٠٨، رقم ٢٣٨١) والنسائى فى السنن الكبرى (٤/٢٦٣، رقم ٧١١٩)، والطبرانى (٧/٥٧، رقم ٦٣٦٧)، قال الهيثمى (٥/١٨٣): رجاله ثقات.

(٢) كتبَ بعضُ السَّلف إلى أخٍ له: أمَّا بعد، فإنْ كان الله معك فمن تخاف؟ وإنْ كان عليك فمن ترجو؟

وهذه المعيةُ الخاصة هي المذكورةُ في قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾، وقول موسى: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾. وفي قول النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – لأبي بكر وهما في الغار: " ما ظَنُّكَ باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إنَّ الله معنا ".

فهذه المعيةُ الخاصةُ تقتضي النَّصر والتَّأييدَ، والحفظ والإعانة بخلاف المعية العامة المذكورة في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾، وقوله: ﴿وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾، فإنَّ هذه المعية تقتضي علمَه واطِّلاعه ومراقبته لأعمالهم، فهي مقتضيةٌ لتخويف العباد منه،

والمعية الأولى تقتضي حفظ العبد وحياطَتَه ونصرَه، فمن حفظ الله، وراعى حقوقه، وجده أمامَه وتُجاهه على كُلِّ حالٍ، فاستأنس به، واستغنى به عن خلقه، كما في حديث: " أفضلُ الإيمان أنْ يعلمَ العبدُ أنَّ الله معه حيث كان ".

ورُويَ عن بُنان الحمَّال: أنَّه دخل البريَّةَ وحدَه على طريق تبوك، فاستوحش، فهتف به هاتف: لِمَ تستوحش؟ أليس حبيبُك معك؟.

وقيل لبعضهم: ألا تستوحشُ وحدَك؟ فقال: كيف أستوحش، وهو يقول: " أنا جليسُ مَنْ ذكرني". [انظر: جامع العلوم والحكم ١/٢١١]

السَّلام: ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء:٦٣][(١)]، فمرَّ موسى عَلَيْهِ السَّلام مع قومه، فجاء فرعون ودخل البحر مع جنوده، فأمر الله تعالى البحر بأن يغرقهم، فأُغْرِقُوا وأُدخلوا نارًا.

ويقال: إن فرعون لَّما عاين العَذَاب، أراد أن يُسْلِم في حال الغرق، فرفع جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام الطِّين، وجعله في فيه حتى استغاث بجبريل سبعين مرة، فعاتبه الله تعالى، وقال: يا جِبْرِيل؛ إن فرعون استغاث بك سبعين مرة فلم تُغِثْهُ، فوعزَّتي وجلالي لو استغاث بي مرَّة واحدة لأغثته وأنجيته من الغرق.

شعر[(٢)]:

ولو أن فرعون لما طغى ... وقال على الله إفكًا وزورًا

أناب إلى الله مستغفرًا ... لما وجد الله إلا غفورًا

والرابع: أُهْلِكَ نمرود بن كنعان عليه اللَّعنة وقومه بالبعوضة يوم الأربعاء:

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ﴾[(٣)] [المدثر: ٣٢]، وكان عند نمرود عليه اللَّعنة سبع مائة ألف فارس دارع ومقنع وشاك، فقال نمرود عليه لعنة الله: يا إبراهيم؛ إن كان لربك ملك فليرسل عسكرًا، وليتحارب معي، وليأخذ المُلك منِّي.

---

(١) فخرق الله لموسى قانون سيولة الماء واستطراقه، ويتجمد الماء، ويصير كالجبل ويتحول البحر إلى يابسة، ويعبر موسى وقومه إلى الناحية الأخرى، وتنشرح صدورهم بفرحة النجاة، ويأخذ موسى عليه السلام عصاه ليضرب البحر ليعود إلى طبيعته، وحتى لا يعبره فرعون ويلحق به، لكن الحق سبحانه يأمره، أن يتركه على حاله: ﴿وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ [الدخان: ٢٤]

فعندما نزل فرعون وجنوده البحر واكتمل عددهم في قاعه أطلق الخالق سبحانه للماء قانون سيولته، فأطبق على فرعون وجنوده، وكانت آيةً من آيات الله، شاهدة على قدرته سبحانه، وأنه إنْ شاء أنجى وأهلك بالشيء الواحد، وشاهدة على قيوميته تعالى على خَلْقه، فليس الأمر كما يقولون أمر قانون أو ناموس يعمل، ويدير حركة الكون، فكل المعجزات التي مرَّتْ في تاريخ البشرية جاءت من باب خرق النواميس. [تفسير الشعراوي: ١٠/٢١٥]

(٢) انظر: أضواء البيان (٤/١٥).

(٣) المراد بهم هنا: مخلوقاته – تعالى – الذين سخرهم لتنفيذ أمره، وسموا جنودا، تشبيها لهم بالجنود فى تنفيذ مراده – سبحانه –.

فناجى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلام ربَّه وقال: إلهي؛ إنَّ نمرود ركب مع جنوده ينتظر إلى عسكرك، فأرسل إليه جُنودًا من أضعف خلقك، فإن أضعف الحيوان جنود البعوض؛ لأنَّ سائر الحيوان إذا شبع يحيا، والبعوض إذا شبع يموت، فجمع نمرود عسكره في المعركة، فأمر الله تعالى جنود البعوض أن تخرج من البحر، فخرجت حتى مَلأت وجه الأرض وجو السماء، وقالت: إلهنا؛ إيش تأمرنا؟ قال الله تعالى: قد جعلت رزقكنَّ اليوم لحم عسكر نمرود، فاشتغلوا في طلب رزقكم، فسلَّط الله عليهم البعوض، وقوَّى منقايرها حتَّى لم يحجبها الدُّروع ولا المغافر، حتَّى أكلت لحومهم ودماءهم حتى لم يبق منهم أحد، فهرب نمرود عليه اللَّعنة، فأوحى الله تعالى إلى البعوضة التي سلَّطَهَا عليه أن أمهليه حتى يرى هلاك قومه وجنوده، فأمهلته حتى رجع إلى بيته، فتعجَّب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلام، فأوحى الله تعالى: يا إبراهيم؛ فوعزَّتي وجلالي ولو لم تسألني البعوض لأرسلت إليهم جندًا لو اجتمع منهم ألف لم يكن مثل قدر البعوض، فأهلكتهم. قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ﴾ [المدثر: ٣٢].

وقيل: لما دنا وقت عذاب نمرود عليه اللَّعنة أرسل الله إليه بعوضة، فجعلت تطوف حول شجرة، وبعد ثلاثة أيَّام طارت في خياشيمه، وجعلت تأكل من دماغه أربعين يومًا. كانت الحكمة في طوافها ثلاثة أيام تنبيهًا لنمرود؛ كأن الله يقول له: أمهلناك بمعاصيك وكفرك، فلم نأخذك بغتة، فإن رجعت إلينا في الثلاث، فلك الأمان، ومنَّا القبول والإحسان، فإن لم ترجع فالعيب منك، فأما نحن فقد استعملنا فضلنا وكرمنا.

=

أى: وما يعلم عدد جنود ربك – أيها الرسول الكريم – ولا مبلغ قوتهم، إلا هو – عز وجل – وما هذا العدد الذى ذكرناه لك إلا جزء من جنودنا، الذين حجبنا علم عددهم وكثرتهم.

قال الإمام ابن كثير: قوله – تعالى –: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ ﴾ أى: وما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو – تعالى –، لئلا يتوهم متوهم أنهاهم تسعة عشر فقط.

وقد ثبت فى حديث الإسراء المروى فى الصحيحين وغيرهما، " عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى صفة البيت المعمور، الذى فى السماء السابعة: فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك.. " [الوسيط: ٣٧٩/٩]

والخامس: أهلك قوم صالح بصيحة جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام يوم الأربعاء:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾[1] [القمر: ٣١].

وقصته: أن صالحًا عَلَيْهِ السَّلام أخبر قومه أَنَّ في هذا الزمان يولد غلام فيكون سبب هلاك هذا القوم منه، فاجتمع أشرافهم وقالوا: نعتزل عن زوجاتنا، ومن كانت حاملا نقتل ولدها إن كان ذكرًا. ففعلوا ذلك، فولدت امرأة رجل غلامًا فلم يقتله؛ لأنَّه كان لا يولد له قبل، وسمَّاه: قدارًا. وكان تسعة رهط قتلوا أولادهم، فلمَّا كبر قدار ورأوه، نَدَمُوا على قتل أولادهم، وتشاوروا في قتل صالح عَلَيْهِ السَّلام، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ﴾[2] [النمل: ٤٨] الآية. فقالوا: نسافر إلى أرض، ثم نرجع في خفية من النَّاس، ثمَّ نقتل صالحًا، ثمَّ نحلف بالله عند قرابته أنَّا ما قتلناه ولا علمنا قاتله، وكان قدار ابن خمس عشرة سنة، فبينما هم يشربون الخمر احتاجوا إلى

---

(١) لا يفصل القرآن هذه الصيحة. وإن كانت في موضع آخر في سورة « فصلت » توصف بأنها صاعقة: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت:١٣] وقد تكون كلمة صاعقة وصفاً للصيحة. فهي صيحة صاعقة. وقد تكون تعبيراً عن حقيقتها. فتكون الصيحة والصاعقة شيئاً واحداً. وقد تكون الصيحة هي صوت الصاعقة. أو تكون الصاعقة أثراً من آثار الصيحة التي لا ندري من صاحبها.

وعلى أية حال فقد أرسلت على القوم صيحة واحدة، ففعلت بهم ما فعلت، مما جعلهم ﴿ كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾.. والمحتظر صانع الحظيرة. وهو يصنعها من أعواد جافة. فهم صاروا كالأعواد الجافة حين تيبس وتتحطم وتصبح هشيماً. أو أن المحتظر يجمع لماشيته هشيماً تأكله من الأعواد الجافة والعشب الناشف. وقد صار القوم كهذا الهشيم بعد الصيحة الواحدة!

وهو مشهد مفجع مفزع. يعرض رداً على التعالي والتكبر. فإذا المتعالون المتكبرون هشيم. وهشيم مهين كهشيم المحتظر! وأمام هذا المشهد العنيف المخيف، يرد قلوبهم إلى القرآن ليتذكروا ويتدبروا.

(٢) يقول تعالى ذكره: وكان في مدينة صالح، وهي حِجر ثمود، تسعة أنفس يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وكان إفسادهم في الأرض، كفرهم بالله، ومعصيتهم إياه، وإنما خصّ الله جلّ ثناؤه هؤلاء التسعة الرهط بالخبر عنهم أنهم كانوا يفسدون في الأرض، ولا يصلحون، وإن كان أهل الكفر كلهم في الأرض مفسدين، لأن هؤلاء التسعة هم الذين سعوا فيما بلغنا في عقر الناقة، وتعاونوا عليه، وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود. [تفسير الطبري: ٤٧٧/١٩]

الماء، وكان الماء في ذلك اليوم للناقة، فطلبوا ماءً فلم يجدوا، فقام قدار، وقال: إني أرى أن أقتل ناقة صالح؛ لأنَّا في ضيق وحَرَج من الماء، فقالوا جميعًا: هذا صواب. فأخذ سيفًا وخرج، فاكتتم في شعب جبل، وكان وقت رجوع النَّاقة من الماء، فلمَّا دَنَت منه حمل عليها وقتلها، ثم قصد إلى حوارها، فدنا الحوار إلى الجبل الذي خُلِقَت منه أمّه، فانشقَّ الجبل بقدرة الله تعالى، ودخل فيه.

وقال سعيد بن المسيّب رحمة الله عليه: كان سبب قتل النَّاقة شرب الخمر، وكان سبب فتنة هاروت وماروت شرب الخمر، وكان سبب قتل يحيى شرب الخمر، وكان سبب إيذاء قوم نوح لنوح عَلَيْهِ السَّلام شرب الخمر، وكان سبب عبادة العجل من بني إسرائيل شرب الخمر، وكان سبب قتل عثمان رضي الله عنه شرب الخمر، وكان سبب قتل الحسين رضي الله عنه شرب الخمر. فلذلك قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الخمر أم الخبائث "[1].

رجعنا إلى القصة: فلمَّا علم صالح عَلَيْهِ السَّلام بقتل النَّاقة قال: تمتَّعُوا في داركم ثلاثة أيَّام، ثمَّ يأتيكم العذاب، وعلامة ذلك أن يكون وجوهكم في اليوم الأوَّل حمرًا، وفي اليوم الثَّاني صفرًا، وفي اليوم الثالث سودًا، فلما رأوا هذه العلامات قالوا: نقتل صالحًا كما قتلنا الناقة، فقصدوا إلى داره، وكان ذلك يوم الأربعاء، فجاء جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام وأخذ بسور البلد وزلزله، ثمَّ صاح عليهم صيحةً واحدة، فماتوا جميعًا.

نُكْتَة: إن الله تعالى أخرج الناقة من الجبل بدعاءِ صالح عَلَيْهِ السَّلام، وكان قادرًا على أن ينجي الناقة من يد الكفَّار وقتلهم، ولكن تركهم حتَّى قتلوها، فاغتمَّ المسلمون على قتلوها فاستحقوا الثواب، وفرح الكفَّار فاستحقوا العذاب.

وكذلك كان قادرًا أن ينجِّي الحسين رضي الله عنه من القتل، ولكنَّه تركهم حتى قتلوه، حتى يستوجب العذاب من قَتَلَهُ ومن أعان على قتله، ويستحق الثَّواب من اغتمَّ لأجْلِه.

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٨١/٤، رقم ٣٦٦٧)، والدارقطنى (٢٤٧/٤)، والقضاعى (٦٨/١، رقم ٥٧) قال المناوى (٥٠٨/٣): فيه الحكم بن عبد الرحمن البجلى أورده الذهبى فى الضعفاء وقال: مختلف فيه. وقال العجلونى (٤٥٩/١): رواه القضاعى بسند حسن.

سؤال: فإن قيل: إن الحسين رَضِيَ الله عنه كان أفضل من النَّاقة، فنزل العذاب بقتل الناقة، و لم ينزل بقتل الحسين رضي الله عنه؟

قيل في الجواب: إنَّ الناقة صارت سبب فتنة قوم صالح عَلَيْهِ السَّلام، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾[1] [القمر: ٢٧ - ٢٧].

جواب آخر: لَّما جاء النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدُّنيا، رفع العَذَاب عن جميع الخلائق، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، وإن الحسين رضي الله عنه ولد من أرسل رحمةً للعالمين. وفي وقت صالح عَلَيْهِ السَّلام، كانت أبواب العذاب مفتوحة، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢١]، وفي وقت مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت أبواب الرَّحمة مفتوحة، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[2] [الأنبياء: ١٠٧].

---

(١) أي ابتلاء واختبارا، وهو مفعول من أجله، لأنهم اقترحوا على صالح إخراج ناقة من صخرة، وأنها إن خرجت لهم منها آمنوا به واتبعوه، فأخرج الله الناقة من تلك الصخرة معجزة لصالح، وفتنة لهم أي ابتلاء واختبارا، وذلك أن تلك الناقة معجزة عاينوها، وأن الله حذرهم على لسان نبيه صالح من أن يمسوها بسوء وأنهم إن تعرضوا لها بأذى أخذهم الله بعذابه.

والمفسرون يقولون: إنهم قالوا له: إن أخرجت لنا من هذه الصخرة ناقة وبراء عشراء اتبعناك.

وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن الله أرسل لهم هذه الناقة امتحانا واختبارا، وأنهم إن تعرضوا لآية الله هذه، التي هي الناقة بسوء أهلكهم. [أضواء البيان: ٤٧٩/٧]

(٢) هذا خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وفيه تشريف عظيم، وانتصب رحمة على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول، والمعنى على هذا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الرحمة، ويحتمل أن يكون مصدراً في موضع الحال من ضمير الفاعل تقديره: أرسلناك راحمين للعالمين، أو يكون مفعولا من أجله، والمعنى على كل وجه: أن الله رحم العالمين بإرسال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى، والنجاة من الشقاوة العظمى، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى، وعلمهم بعد الجهالة وهداهم بعد الضلالة، فإن قيل: رحمة للعالمين عموم، والكفار لم يرحموا به؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنهم كانوا معرضين للرحمة به لو آمنوا فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم، والآخر أنهم رحموا به لكونهم لم يعاقبوا بمثل ما عوقب به الكفار المتقدّمون من الطوفان والصيحة وشبه ذلك. [التسهيل لعلوم التنزيل: ١٠٦/٢]

والسادس: أهلك شداد بن عاد في يوم الأربعاء:

وقصته: كان لعاد ابنان؛ أحدهما: شديد، والآخر: شداد، وكان شداد يقرأ في الكتاب، فقرأ في الكتاب صفة الجنَّة، فقال إني أصنع لي جنة في الدُّنيا مثل الجنة، وكان وجه الأرض في حكمه، فشاور الملوك وقال: إني أريد أن أبني مثل الجنَّة التي وصفها الله تعالى في كتابه، فقالوا: الأمر إليك، والدنيا كلها في حكمك، والخزائن كلها ملكك، فأمر بأن يُجمع الذَّهب والفضَّة من المشرق والمغرب، فقال: ابنوا لي جنة في ثلاث مائة سنة، فجمع بين يديه بنائين كثيرة، فاختار منهم ثلاث مائة بناء، تحت كل واحد منهم ألف رجل، فطافوا عشر سنين، فوجدوا أرضًا طيبة فيها الأشجار والأنهار، فبدأوا ببناء الجنة، وقيل: طول الجنة وعرضها فرسخًا في فرسخ؛ لبنةً من ذهب، ولبنةً من فِضَّةٍ، فلمَّا تَمَّ بناؤهم، أجروا فيها الأنهار، وغرسوا فيها الأشجار، جذوعها من فضة وفروعها من ذهب، وبنوا فيها قصورًا من ياقوت أحمر، وبلّور أبيض، وعَلَّقُوا فيها الدُّر والياقوت، وأنواع الجواهر واللآلئ، ألقوها في الأنهار، والمسك والعنبر نثروهما بين الأنهار والأشجار، فلمَّا تَمَّ بناء الجنَّة، أرسلوا إلى شداد وأخبروه بتمام الجنة، فأخذ بأهبَّة المسير إليها عشر سنين، فكان الملوك والأعوان يأخذون الذهب والفضة ظلمًا حتَّى لم يبقَ من الذهب والفضة شيء في الدُّنيا إلا مقدار دِرْهم في عنق صبيّ، فأخذوا الصَّبي وقصدوا أن يأخذوا ذلك منه، فقال الصبي: لِمَ تأخذونه؟ فقالوا: أمرنا الملك. وأخذوه، قال: فرفع الصبي وجهه إلى السماء، فقال: إلهي؛ أنت أعلم بما يعمل هذا الظالم بعبيدك وإمائك، فأغثنا يا غيَّاث المستغيثين. فأمَّن من ملائكة السماء على دعائه، فأرسل الله تعالى جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام، وكان شداد وصل إلى الجنة مع جنوده، فصاح جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام من السماء، فماتوا جميعًا قبل الدُّخول في الجنَّة، فلم يبق غنيّ ولا فقير، ولا ملك ولا وزير، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾[1] [مريم: ٩٨].

---

(١) قول تعالى ذكره: وكثيرًا أهلكنا يا محمد قبل قومك من مشركي قريش، من قرن، يعني من جماعة من الناس، إذا سلكوا في خلافي وركوب معاصي مسلكهم، هل تحسّ منهم من أحد: يقول: فهل تحسّ أنت منهم أحدًا يا محمد فتراه وتعاينه.

والسابع: أهلك قوم هود يوم الأربعاء بالرِّيح:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [القمر: ١٩] الآية.

وقصته: أن قوم هود لَّما عصوا ربهم وآذوا نبيهم وقالوا: يا هود؛ إنا نعبد الأصنام ولا نلتفت إلى قولك، ولا نخاف من تحذيرك، فإن كنت صادقًا، فأنزل علينا عذابًا، قال: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ [الأعراف: ٧١] الآية، فمنع الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين، فلم تُمْطِر عليهم حتى وقع القحط في بلادهم، وهلكت المواشي والدَّواب، وصار الخلق في وقت صعب شديد، فقال هود عَلَيْهِ السَّلام: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣] الآية، فقالوا: إنا لا نتوب، ولكن نرسل رجالا إلى مكَّة للاستسقاء، وكان مشركو العرب يعظِّمون مكَّة ويذهبون إليها بالاستسقاء، فاختاروا ستة رجال فأُرْسِلُوا إلى مكة، فأتوا مكة فأسلم منهم رجلان، وقالا: إلهنا وسيدنا؛ إنا نعلم أنك تهلك قوم هود، ونحن لسنا منهم، فاستجب دعوتنا واقض حاجتنا. فسمعا صوتًا يقول: سَلْ تُعْطَ، فقال أحدهما: إلهي؛ إني أسألك عمر سبع نسور، فسمع صوتًا: أُعطيتَ ذلك. فعاش ألفًا وست مائة وعشرين سنة. وقال الآخر: إلهي؛ إنِّي لا أطيق على الجوع، فأطعمني. فسمع صوتًا: أُعطيتَ ذلك.

فبقي أربعة من الكفار، وكان أحدهم يدعو فيقول: اللهم إني لم أجئ لمريض فأداويه، ولا لأجل أسير فأفديه، اللَّهم اسقِ عادًا كما كنت تسقيهم، فهاجت ثلاث سحابات؛ بيضاء وحمراء وسوداء، فسمع صوتًا: اختر أيها شئت، فقال: اخترت السوداء، فسمع صوتًا يقول: قد اخترت رمدًا لم يبق من عاد أحدًا، لا والدًا ولا ولدًا، فأمر الله تعالى الموكَّل على الرِّيح أن يرسل من الصَّرصر بمقدار حلقة درع.

قال وهب بن مُنبه اليمانيّ رحمه الله: إن تحت الأرض السُّفلى ريحًا، يقال لها: العقيم، تعصف يوم القيامة فتقلع الجبال من أماكنها، وتزلزل الأرضين وترفعها، وتشقِّق السماء،

=

(أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) يقول: أو تسمع لهم صوتا، بل بادوا وهلكوا، وخلت منهم دورهم، وأوحشت منهم منازلهم، وصاروا إلى دار لا ينفعهم فيها إلا صالح من عمل قدّموه، فكذلك قومك هؤلاء، صائرون إلى ما صار إليه أولئك، إن لم يعالجوا التوبة قبل الهلاك. [تفسير الطبري: ١٨/٢٦٤]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[1] [الحاقة: ١٤]، وسبعة آلاف ملك موكَّلة على هذه الريح، أمر الله تعالى الملك الموكَّل أن يرسل جزءًا من هذه الرِّيح إلى قوم عاد، فقال: إلهي؛ كم أرسل؟ قال: بمقدار منخر ثور، فقال: كثير. فأمر الله أن يرسل بمقدار حلقة خاتم، فقال: هذا كثير، قال الله تعالى: بمقدار سم الخياط. فلمَّا جاءتهم السحابة، قالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]، فأجابهم هود: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فجاءت الرِّيح، فخرج منهم سبع مائة رجل فصعدوا الجبل، وأخذ كل واحد منهم بيد الآخر، فلما أحسُّوا باشتداد الرِّيح صاحوا وركضوا الجبل، فساخوا إلى رُكَبِهم في الحجر، فلمَّا حان وقت العذاب أطَّت السَّماء أطيطًا ورعدت، ونزلت ريح فهدمت جميع أبنيتهم، ورفعها الريح فجعلها مثل الدَّقيق المطحون، فصارت رملا، وهذه الرِّمال الَّتي على وجه الأرض من ذلك، ثُمَّ رفع قوم عاد إلى الجو وضربهم على الأرض، فصاروا كأنَّهم أعجاز نخل خاوية.

وفي الخبر في لطائف القصص: أن هودًا عَلَيْهِ السَّلام جمع المسلمين وخط حولهم خطًّا، فكانت الرِّيح تأتي إلى ذلك الخط وترجع.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [القمر: ١٩] الآية، وكل إرسال في القرآن للإنسان، فالمراد منه حقيقة الإرسال؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ [نوح: ٢]، وكل إرسال لغير الآدميين، فالمراد منه الفتح؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الروم: ٤٨].

قال وهب بن منبه: الرِّياح سبعة: ثلاثة منها رياح الرَّحمة، وأربعة منها رياح العقوبة. أمَّا رياح الرَّحمة:

فأوَّلُها: الناشرات، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ [المرسلات: ٣].

---

(١) رفعت من أماكنها بمجرد القدرة الكاملة أو بتوسط زلزلة أو ريح عاصفة ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة١٤] فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء أو فبسطتا واحدة فصارتا أرضا ولا عوج فيها ولا أمتا لأن الدك سبب التسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها وأرض دكاء للمتسعة المستوية. [تفسير البيضاوي: ١/٣٨٠]

والثانية: المبشِّرات، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾[(١)] [الروم:٤٦].

والثالثة: الذَّارِيَات، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ [الذاريات: ١]، فهذه رياح الرَّحمة تهبّ في الدُّنيا.

أمَّا رياح العقوبة؛ فأولاها: الصَّرصر، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة:٦].

والثانية: العَقِيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات:٤١][(٢)].

والثالثة: العَاصِف، قَالَ تَعَالَى: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس:٢٢].

والرَّابعة: القاصف، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ [الإسراء:٦٩]. وهذه الرِّياح تهبّ في البحر دون البرّ برحمة الله تعالى.

وقال: ثلاثة رياح أُخَر؛ وهي رياح الرَّحمة: الجنوب، والشَّمال، والصَّبا.

الجنوب: تهبُّ من الجنَّة، وخلق الله تعالى الدَّوَاب منها، كما روي عن علي رضي الله عنه، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: " لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ الفَرَس، قَالَ لِرِيحِ الْجَنُوبِ: إِنِّي أخلق مِنْكِ خَلْقًا أَجْعَلُهم عزًّا لأوْلِيَائي، وَمَذَلَّةً لأعدائي، وحاملة لأهْلِ طَاعَتِي، فقبلت الرِّيحُ: فَقَبَضَ الله تعالى مِنْهَا قَبْضَةً فَخَلَقَ الفرس، وَقَالَ لها: خَلَقْتُكَ وَجَعَلْتُ الْخَيْرَ مَعْقُودًا بِنَاصِيَتِكَ، فجَعَلْتُكَ تَطِيرين بِلا جَنَاحٍ، فَأَنْتَ لِلطَّلَبِ وَأَنْتَ لِلْهَرَبِ،

---

(١) قال الآلوسى: قوله: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ ﴾ أى: الجنوب، ومهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا، والصبا: ومهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش. والشمال: ومهبها من بنات نعش إلى مسقط النسر الطائر، فإنها رياح الرحمة. أما الدبور ومهبها من مسقط النسر الطائر إلى مطلع سهيل، فريح العذاب. [تفسير الآلوسي: ٣٨٣/١٥]

(٢) وُصفت بالعقيم لأنها أهلكتهم، وقطعت دابرهم، أو: لأنها لم تتضمن خيراً مَّا، من إنشاء مطرٍ، أو إلقاح شجرٍ، وهي الدَّبور، على المشهور، لقوله عليه السلام: « نُصرتُ بالصَّبَا، وأُهلكت عادٌ بالدَّبور »، ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ ﴾ أي: مرت عليه ﴿ إِلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ وهو كل ما رمّ، أي: بلي وتفتت، من عظم، أو نبات، أو غير، والمعنى: ما تركت شيئاً هبتَ عليه من أنفسهم وأموالهم إلا أهلكته. [البحر المديد: ١٥٢/٦]

وَسَأَجْعَلُ عَلَى ظَهْرِكَ رِجَالا يُسَبِّحُونِي وَيَحْمَدُونِي وَيُهَلِّلُونِي ويكبروني، فتسبحي إذا سبحوني، وتُهَلِّلِي إذا هَلَّلُوني، وتُكَبِّرِي إذا كَبَّرُونِي "[١].

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ما من تسبيحة، وما من تحميدة يذكرها صاحب الفرس إلا وتسمعه وتجيبه بمثلها ".

وريح الصَّبا: ريح مبارك، تهبُّ من قِبَل الكعبة وقت الأسحار، وتحمل الاستغفار إلى الملك الجبَّار، وهي الرِّيح الَّتي أوصلت ريح يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام إلى يعقوب عَلَيْهِ السَّلام؛ حيث قال: ﴿إِنِّي لأجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾[٢] [يُوسُف: ٩٤].

فلهذا قال أبو علي الدَّقَّاق رَحِمَه الله: الرِّيح رسول العُشَّاق:

شعر: [الخفيف]

إن لي إلى الرِّيح حاجة إن قضاها ... أنا للرِّيح ما حييت غلام

أيّها الرِّيح بلِّغ الحب عنِّي ... شدَّة الشوق والهوى والسلام

شعر:

نسيم الصبا بلِّغ سلامي إليهم ... بفضلك وارفق في الهُبُوب عليهم

فقل لهم إنِّي وإن كنت غايبًا ... فقلبي وروحي حاضران لديهم

---

(١) رواه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/٢٢٤).

(٢) روي أنّ الريح استأذنت ربّها في أن تأتي يعقوب (عليه السلام) بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير، فأذن لها فأتته بها، ابن السدّي عن أبيه عن مجاهد، قال: أصاب يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثلاثة أيّام وذلك أنّه هبّت فصفقت القميص فاحتملت الريحُ ريحَ القميص إلى عقوب فوجد ريح الجنّة فعلم أن ليس في الأرض من ريح الجنّة إلا أن تأتي من ذلك القميص فمن ثمّ قال: إنّي لأجدُ ريح يوسف، وهو منه على مسيرة ثماني ليال.

وروى شعيبة عن أبي سنان قال: سمعت عبدالله بن أبي الهُذيل قال: سمعت ابن عباس يقول: وجد يعقوب ريح يوسف روى أبو سنان عن أبي هذيل قال: سمعت ابن عباس يقول: وجد يعقوب ريح يوسف وهو منه على مسيرة ثماني ليال، وروى شعيبة عن أبي سنان قال: سمعت عبدالله بن أبي الهُذيل عن ابن عباس في هذه الآية قال: وجد ريحه من مسيرة ما بين البصرة والكوفة. وقال الحسن: ذكر لنا أنّه كان بينهما يومئذ ثمانون فرسخاً. [تفسير الثعلبي: ٢/١٠٩]

وقيل في التفسير: إن الله تعالى نصر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الأحزاب بالصَّبا، كما قال عمر رضي الله عنه، عن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قال: " نُصرت بالصَّبا، وأهلك عادٌ بالصَّرصر "(١).

للـه عزَّ وجَلَّ ثمانية رياح: أربعة منها ريح العقوبة، وأربعة منها ريح الرَّحمة.

أمَّا ريح العقوبة؛ فأولها: ريح القَطِيعَة: وهي تهبّ على الكافر، كما قال الله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنعام: ٤٥] أي: كفروا.

وريح الفُرْقَة: وهي تهبّ على النَّصارى، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩] وهم النَّصَارى، وكانوا في شيع عيسى عَلَيْهِ السَّلام، فرَّقهم الله عن دينهم، وأيأسهم عن رحمته.

وريح اللَّعنة: وهي تهبّ على اليَهُود، كما قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: ٧٨]، وهم اليَهُود.

وريح الغَفْلَة: وهي تهبّ على عامة الخلق، كما قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]؛ أي: عن الطَّاعة والخدمة.

وأما ريح الرَّحمة؛ فأولها: ريح المودَّة: وهي للمؤمنين؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٦٩].

وريح المحبَّة: وهي تهبّ على التَّائبين؛ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

وريح الوصلة: وهي هَبَّت على قلوب العارفين، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ [القصص: ٥١] الآية.

---

(١) أخرجه البخارى (١/٣٥٠، رقم ٩٨٨)، ومسلم (٢/٦١٧، رقم ٩٠٠). وأخرجه أيضًا: أحمد (١/٢٢٨، رقم ٢٠١٣)، والطيالسى (ص ٣٤٣، رقم ٢٦٤١)، وابن أبى شيبة (٦/٣٠٤، رقم ٣١٦٤٦)، وعبد بن حميد (ص ٢١٤، رقم ٦٣٧)، والنسائى (٦/٤٧٦، رقم ١١٥٥٦)، وأبو يعلى (٥/٨٢، رقم ٢٦٨٠)، والطبرانى فى الأوسط (٤/١٩٠، رقم ٣٩٤١)، وابن حبان (١٤/٣٣١، رقم ٦٤٢١)، والبيهقى (٣/٣٦٤، رقم ٦٢٧٦).

وأيضًا يخرج من خزانته ريحان: ريح القُدْرَة، وريح الرَّحْمَة. أمَّا ريح القُدْرَة؛ إذا هَبَّتْ على الماء يصير جامدًا. وريح الرَّحْمَة إذا هبَّت على الماء الجامد يصير ماء.

نكته لَطِيفَة: سُبْحَان من يُجْرِي السُّفُن بالرِّيَاح، ويخرج الأرزاق بالرِّيَاح، ويُوْقِدُ النَّار بالرِّياح، ويسقط الأوراق من الأشجار بالرِّياح، ويرفع السَّماء بالرِّيـــاح، وينزلهـــا إذا أراد بالرِّياح، كذلك إذا أراد يوم القيامة تهبّ ريح قدرته على نار جهنم، فتصير تحت أقدام أمَّة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خامدة، فيمرُّون عليها بقدرة الله تعالى، والله أعلم.

obeikandl.com

الْمَجْلِسُ السَّادِسُ: فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ

قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾[١] [الفتح: ٢٧] الآية.

روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سُئِلَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن يوم الخميس، فقال: " يوم قضاء الحوائج "، فقيل: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: " لأن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلام دخل فيه على ملك مصر، فقضى حاجته، وأعطاه هاجر ".

بساط المجلس: قال أرباب القصص سبعة من الأنبياء والأولياء وجدوا سبعة أشياء يوم الخميس:

الأول: دخل إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلام على ملك مصر فوجد هاجر.

والثاني: خرج الساقي من السِّجن يوم الخميس، فوجد الملك والنجاة، قوله تعالى: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾[٢] [يُوسُف: ٤١].

والثالث: دخل إخوة يُوسُف على يُوسُف، فوجدوا النِّعمة؛ قوله تعالى: ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾[٣] [يُوسُف: ٥٨] أي: لم يعرفوه.

والرَّابع: دخل بنيامين في مصر فوجد يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام؛ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُف آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾[١] [يُوسُف: ٦٩].

---

(١) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في منامه قبل خروجه عام الحديبية كأنَّه وأصحابه يدخلون مكَّة مُحلِّقين ومُقصِّرين غير خائفين، فلمَّا خرج عام الحديبية كانوا قد وطنوا أنفسهم على دخول مكَّة لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمَّا صدُّوا عن البيت راب بعضهم ذلك، فأخبر الله تعالى أنَّ تلك الرُّؤيا صادقةٌ، وأنَّهم يدخلونها إن شاء الله آمنين. [الوجيز للواحدي: ٩٢٠/١]

(٢) أي قال للساقي: إنك ترد على عملك الذي كنت عليه من سقي الملك بعد ثلاثة أيام، وقال للآخر: وأما أنت فتدعى إلى ثلاثة أيام فتصلب فتأكل الطير من رأسك، قال: والله ما رأيت شيئا؛ قال: رأيت أو لم تر ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾. [تفسير القرطبي: ١٣٩/٩]

(٣) إنما أنكروه لبعد العهد به وتغيير سنة أو لأنه كان متلثماً، روى أنهم دخلوا عليه وهو على هيئة عظيمة من الملك وأنه سألهم عن أحوالهم، وأخبروه أنهم تركوا أخاً لهم، فحينئذ قال لهم: ائتوني بأخ لكم من أبيكم وهو بنيامين شقيق يوسف. [التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٦٣/١]

والخامس: دخل يعقوب عَلَيْهِ السَّلام في مصر فوجد الأمن؛ قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يُوسُف: ٩٩ - ١٠٠] الآية.

والسادس: دخل موسى عَلَيْهِ السَّلام في مصر فوجد القبطيّ؛ قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ﴾[٢] [القصص: ١٥] الآية.

والسابع: دخل مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة فوَجَد الفتح والنُّصرة؛ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾[٣] [الفتح: ٢٧].

أمَّا الأوَّل؛ وهو دخول إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلام على ملك مصر:

قصته: إن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلام لَّما جعل الله عليه النَّار بردًا وسلامًا، قصد نحو مصر، وقال: إني ذاهب إلى ربي سيهدين، وذهب بسارة، فقيل له: إن في مصر ملك ملكًا عظيمًا ظالمًا، يأخذ أزواج النَّاس ظُلْمًا، وله في كل طريق عشار، وكان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلام غيورًا، وسارة رضي الله عنها كانت من أجمل النِّساء، حتى لم يكن في زمانها نظير، واتَّخذ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلام صندوقًا وأدخل سارة فيه، ووضع القفل على الصندوق وحمله على

=

(١) أي: ضم إليه بنيامين على الطعام، أو في المنزل. رُوي أنه أضافهم، فأجلسهم اثنين اثنين، فبقي بنيامين وحيداً فبكى، وقال: لو كان يوسف حياً لجلس معي، فأجلسه معه على مائدته، ثم قال: لينزل كل اثنين بيتاً، وهذا لا ثاني له فيكون معي، فبات عنده، وقال له: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ قال: من يجد إذاً مثلك، ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، ﴿قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ﴾ وعرفه بنفسه. [البحر المديد: ١٢٣/٣]

(٢) دخل موسى المدينة فى وقت غفل فيه أهلها، فوجد فيها رجلين يقتتلان: أحدهما من بنى إسرائيل، والآخر من قوم فرعون، فاستعان به الإسرائيلى على خصمه فأعانه موسى، وضرب الخصم بقبضة يده فقتله من غير قصد. ثم أسف موسى، وقال: إنَّ إقدامى على هذا من عمل الشيطان. إن الشيطان لعدو ظاهر العداوة واضح الضلال.

(٣) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أري في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين، ويحلقون رؤوسهم ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا وحسبوا أنهم داخلو مكة عامهم ذلك، فلما انصرفوا و لم يدخلوا شق عليهم، فأنزل الله هذه الآية. [الطبري: ٢٦ / ١٠٧، الدر المنثور: ٧ / ٥٣٨.]

البعير، وقصد نحو مصر، فلمَّا وصل إلى العشار وسأل منه المكس، وأراد فتح الصندوق، قال إبراهيم: أعطيك ما تريد من المكس ولا تفتح الصُّندوق، فلم يزل حتى غلب عليه مع أعوانه وفتحوا الصندوق، فرأوا امرأة ذات جمالٍ، قالوا لإبراهيم: هذه زوجتك؟ قال: هي أختي، فقالوا: إنها تصلح للملك، فذهبوا بسارة إلى الملك، وذهب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلام أيضًا، فأدخلوا سارة عند الملك، ومُنِعَ إبراهيم عن الدُّخول، فرفع الله تعالى عن إبراهيم الحِجَاب، حتَّى رأى سارة من خارج الدَّار، فقصد الملك الظالم نحو سارة، ومدَّ يده إليها، فيبست يده ورجله، فقال: يا امرأة؛ إنك ساحرة، قد يَبُسَت يدي ورجلي، فقالت: ما أنا ساحرة، ولكنَّ زوجي خَلِيل الله تعالى، فدعا عليك فأيبس الله يدك ورجلك، فتُبْ إلى الله حتَّى يصحِّح الله يدك ورجلك، فتُبْ إلى الله تعالى، فصحَّح الله تعالى يده ورجله من ساعته، ثُمَّ نظر إلى سارة ولم يصبِر، فعَمَدَ إليها ثانيًا، فأعمى الله عينيه، فقال لها: يا امرأة؛ إنَّك ساحرة. فقالت: معاذ الله، ما أنا ساحرة، ولكن زوجي خليل الله تعالى، وأنت نويت في نفسك ما لا يُرْضِي الله، فأعمى عينيك، فتُبْ من ذنبك إلى ربك، وأخلص حتى تخلص، فتاب فتاب الله عليه وردَّ بصره، ثُمَّ نظر إلى سارة مرَّة ثلاثة، ومدَّ يده إليها فأيبس الله تعالى سبعة أعضائه، ثُمَّ قال: يا امرأة؛ إنَّك ساحرة، فقالت: ما أنا ساحرة، ولكن زوجي خليل الله، فدعا عليك فأصابك ما أنت فيه. ثم دعا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلام واعتذر إليه، وقال: يا إبراهيم؛ احكم عليَّ ما شئت، وادع لي ربك ليعافيني مِمَّا ابتلاني به، فقال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلام: هذا من أمر ربي، فلا أحكم ما لم يأذن الله تعالى لي، فنزل جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام، فقال: يا إبراهيم؛ ربك يقرؤك السلام ويقول لك: قل للملك ليخرج من جميع أملاكه وخزائنه، ويسلمه جميعه إليك، ثمَّ ادع له. فأخبره إبراهيم بحكم الله تعالى، فرضي الملك بحكم الله تعالى وسَلَّمَ الجميع إلى الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلام، فدعا له، فأصلح الله تعالى أعضاءه جميعًا.

نُكْتَة لَطِيفَة: كانت سارة امرأة يحبها الخليل، فحفظها الله تعالى من الملك الظالم، حتى لم يجد إليها سبيلا، وإن كلمة التَّوحيد التي في قلب المؤمن يحبها الجليل، فإذا لم يكن للعدو سبيل إلى محب الخليل، فكيف يكون للشيطان سبيل إلى محب الجليل؟!

obeikandi.com

رجعنا إلى القصة: فلمَّا صحَّ الملك أتى بهاجر ووهبها لسارة، فقالت: إني أهبها إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلام؛ إنَّه اغتمَّ لأجلي، فوَهَبَتْهَا له واعتذرت، فقال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلام: لا تغتمِّي، فإنَّ الله رفع الحجاب بيني وبينك.

فإن قيل: إن محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من إبراهيم الخليل، فلِمَ لَمْ يُرفع الحجاب فيما بينه وبين عائشة رضي الله عنها حين تخلَّفت عنه واتَّهمها المنافقون؟

قالوا الجواب: لو رُفِعَ لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورأى أحوال عائشة رضي الله عنها، لتيقَّن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَكَّ المنافقون وسائر النَّاس، وقالوا: إنَّ محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يهتك سِتْرَ زوجته، فلذلك لم يرفع الحجاب، ولكن أخبر في كلامه الأزليّ وبالوحي السماويّ عن طهارة عائشة رضي الله عنها بقوله: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦] الآية، كي لا يشك فيه المنافقون والملحِدُون.

جواب آخر: كان الله تعالى يقول: يا مُحَمَّد؛ رفعنا عن إبراهيم الحجاب، حتى حفظ زوجته بعينه، ولم أرفع الحجاب عنك، ولكن حفظت زوجتك بنفسي؛ فحافظ سارة الخليل، وحافظ عائشة الجليل.

والثاني: دخل الساقي في السِّجن يوم الخميس:

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾[1] [يُوسُف: ٣٦]؛ أحدهما: ساقي الملك الرَّيان، والثَّاني: طباخه. وسبب سجنهما: أن ملك الرُّوم بعث إلى السَّاقي والطبَّاخ أموالا ليجعلوا في طعام الملك الرَّيَّان وشرابه سُمًّا، فقبله الطَّبَّاخ ولم يقبله السَّاقي، فسعى السَّاقي إلى الملك بهذه الحادثة، فسجنهما في السّجن سنةً – وفي رواية: ثلاثة أيام –، فرأيا يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام في السّجن يعبِّر الرؤيا، ولم يريا رؤيًا، ولكن قالا لأجل تجربة تعبير يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام. وقال بعض العلماء: رأى السَّاقي الرُّؤيا، ولم يَرَ الطباخ رؤيا. وقيل: رأيا، ولكن بدَّلا رؤيا أحدهما برؤيا الآخر.

---

(١) غلامان كانا للملك الأكبر الريان بن الوليد، كان أحدهما على شرابه والآخر على بعض أمره في سخطة سخطها عليهما، اسم أحدهما مجلب، والآخر نبوا الذي كان على الشراب. فلما رأياه قالا: يا فتى، والله لقد أحببناك حين رأيناك. [الدر المنثور: ٤٠٧/٥]

والصحيح: أن كل واحد منهما رأى بنفسه، فقال السَّاقي: إنِّي رأيت ثلاث طاسات من ذهب، وإني أعصر فيها عنبًا واتّخذها خمرًا، وأسقيها الملك الرَّيان. وقال الآخر: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾ [يُوسُف ٣٦]، فعبَّر يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام، وقال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾[1] [يُوسُف: ٤١]، فلمَّا عَبَّر الرؤيا ضَحِكَ الطَّبَّاخ، وقال: إني لم أر رؤيا، فقال يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام: إني عبَّرت، وقضى الله تعالى، فذلك قوله تعالى: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[2] [يُوسُف: ٤١] الآية، فلم يمض فيه من الزمان إلا يسير حتى جاء أعوان الملك، وذهبوا بالطَّبَّاخ فصلبوه.

إشارة: من خان في أمر الرَّيان يصليه ويقطع رأسه، فكيف حال من خان في أمر الدَّيَّان؟!

---

(١) افتتح خطابهما بالنداء اهتماما بما يلقيه إليهما من التعبير، وخاطبهما بوصف ﴿صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ أيضا. ثم إذا كان الكلام المحكي عن يوسف – عليه السلام – في الآية صدر منه على نحو النظم الذي نظم به في الآية وهو الظاهر كان جمع التأويل في عبارة واحدة مجملة، لأن في تأويل إحدى الرؤيين ما يسوء صاحبها قصدا لتلقيه ما يسوء بعد تأمل قليل كيلا يفجأه من أول الكلام، فإنه بعد التأمل يعلم أن الذي يسقي ربه خمرا هو رائي عصر الخمر، وأن الذي تأكل الطير من رأسه هو رائي أكل الطير من خبز على رأسه.

وإذا كان نظم الآية على غير ما صدر من يوسف – عليه السلام – كان في الآية إيجاز لحكاية كلام يوسف عليه السلام، وكان كلاما معينا فيه كل من الفتيين بأن قال: أما أنت فكيت وكيت، وأما أنت فكيت وكيت، فحكي في الآية بالمعنى. [التحرير والتنوير: ٦٧/١٢]

(٢) تحقيق لما دلت عليه الرؤيا، وأن تعبيرها هو ما أخبرهما به فإنهما يستفتيان في دلالة الرؤيا على ما سيكون في شأن سجنهما لأن ذلك أكبر همهما، فالمراد بالأمر تعبير رؤياهما.

والاستفتاء: مصدر استفتى إذا طلب الإفتاء. وهو: الإخبار بإزالة مشكل، أو إرشاد إلى إزالة حيرة. وفعله أفتى ملازم للهمز و لم يسمع له فعل مجرد، فدل ذلك على أن همزه في الأصل مجتلب لمعنى، قالوا: أصل اشتقاق أفتى من الفتى وهو الشاب، فكأن الذي يفتيه يقوي نهجه ببيانه فيصير بقوة بيانه فتيا أي قويا. واسم الخبر الصادر من المفتي: فتوى – بفتح الفاء وبضمها مع الواو مقصورا، وبضم الفاء مع الياء مقصورا –. [التحرير والتنوير: ٦٧/١٢]

ثُمَّ مَكَثَ السَّاقي في السِّجن ثلاثة أيَّام، فجاء رسول الملك يوم الخميس، وأخرجه من السَّجن، وخلع عليه، فذهب إلى الملك بالتَّشريف والإكرام، فقال يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام عند خروجه: اذكرني عند ربِّك – أي: ملكك –. فلمَّا قال: اذكرني عند ربك، تزلزلت الجبال، وانشقَّ الجدار، وتباعدت الملائكة وقد جاء جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام، وقال: يا يُوسُف؛ إن الله تعالى يقول: مَنْ حببك في قلب يعقوب؟ فقال: ربي، قال: ومَنْ أنجاك من كيد إخوتك؟ فقال: ربي، قال: ومَنْ حفظك في قعر الجُبِّ؟ قال: ربي، قال: ومَنْ أعشق إليك زليخا؟ قال: ربي، قال: ومَنْ نجاك من كيدها؟ قال: ربي، قال جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام: يا يُوسُف؛ إن الله عزَّ وجل أحسن إليك جميع هذا الإحسان، فأي عجز رأيت منه حتى استعنت من غيره؟! يا يُوسُف؛ إن جدَّك إبراهيم عَلَيْهِ السَّلام لم يستعن من جِبْرِيل وهو نازل في الهواء إلى النَّار حين قال: هل لك من حاجة؟ قال: أما إليك فلا. وجدُّك إسماعيل عَلَيْهِ السَّلام لم يستعن من أبيه إبراهيم وقت القربان، ولكن قال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[1] [الصافات: ١٠٢]، فأنت لم تصبر في السجن ثلاثة أيَّام، حتى استعنت من الملك الرَّيَّان، وتركت استعانة الدَّيَّان. فخرَّ يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام ساجدًا لله تعالى، وبكى أربعين يومًا، وقال: إلهي؛ بحرمة جَدِّي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق عَلَيْهِم السَّلام، وبحق والدي يعقوب عَلَيْهِ السَّلام ارحمني وتجاوز عني. فجاء جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام وقال: إن الله تعالى يقول: قد عفا عنك، ولكن حكم بأن تكون في السِّجن سبع سنين بذِلَّة.

والإشارة فيه: أن يُوسُف رسول الله بَقِي في السِّجن سبع سنين بذِلَّة واحدة، فكيف حال من عَصَى رَبَّهُ سبعين سنة، ثُمَّ يبقى في سجن النِّيران.

---

(١) رُوي أن إبراهيم قال لابنه: انطلق بنا نُقرب قرباناً لله تعالى، فأخذ سكيناً وحبلا، ثم انطلق معه، حتى إذا ذهب بين الجبال، قال له الغلام: يا أبتِ أين قربانك؟ فقال: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ...﴾ الآية، فقال: يا أبت خذ بناصيتي، واجلس بين كتفي، حتى لا أؤذيك إذا أصابتني الشفرة، ولا تذبحني وأنا ساجد، واقرأ على أمي السلام، وإن رأيت أن تردّ قميصي إلى أمي فافعل، عسى أن يسليها عني. قال إبراهيم: نِعْمَ العون أنت على أمر الله تعالى. فربطه إبراهيم عليه السلام ثم جعل يُقبّله، وهو يبكي، والابن يبكي، حتى استنقعت الدموع تحت خده. [البحر المديد: ٢٤٢/٥]

والثالث: إخوة يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام دخلوا على يُوسُف في يوم الخميس، فوجدوا النعمة:

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُف فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ [يُوسُف:٥٨] الآية[١].

وقصته: إن إخوة يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام لَّما دنوا من مصر، فجاء جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام إلى يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام، وقال: جاء أخوتك إليك، فكيف تعاملهم؟ فقال: يا جبْرِيل؛ إنهم آذوني كثيرًا وقصدوا قتلي، والآن أتوا إليَّ محتاجين، قال: لا أرى إلا العفو والتجاوز.

قال بعض العلماء: إن إخوة يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام جاءوا إلى يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام ثلاث مرَّات؛ فجاءوا في أوَّل مرة محتاجين سائلين، فأكرمهم يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام وأعطاهم النعمة، وقال: ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾[٢] [يُوسُف: ٦٢] الآية.

وجاءوا في المرَّة الثَّانيَة متكبرين فرحين، فرجعوا مهمومين؛ حين قال أخوهم: ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلا بِمَا عَلِمْنَا﴾ [يُوسُف:٨٠]؛ لأنَّ يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام كان ملكًا، والملوك لا تحب المتكبرين.

---

(١) رُوِيَ أنَّ يوسف عليه الصلاة والسلام لا يشبعُ من طعامٍ في تلك الأيَّام؛ فقيل له: أتجوعُ ويبدِكَ خزائِنُ الأرض؟ فقال: أخافُ إن شبعتُ نسيت الجياع، وأمر يوسفُ طبَّاخِي الملك أن يَجْعلُوا غذاءه نصف النهار؛ وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجُوعِ، ولا يَنْسَى الجَائعِينَ، من ثمَّ جعل الملوكَ غذاءهم نصف النَّهار.

وعمَّ القَحْطُ البلاد حتَّى أصاب أرض كنعان وبلاد الشام. ونزل بيعقوب ما نزل بالنَّاس؛ فأرسل بنيه إلى مصر؛ للميرة، وأمسك بنيامين أخا يوسف لأمه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ وكانوا عشرة، وكان منزلهم بالقُرياتِ من أرض فلسطين بغور الشام، وكانوا أهل باديةٍ، وإبل، وشاء، فقال لهم يعقوب: بلغنِي أنَّ بمصرَ مَلِكاً صالِحاً يبيعُ الطعامَ فتجهَّزوا، واذهبُوا؛ لتَشْتَروا منه الطعام، فقدوا على مصر، فدخلوا على يوسف، فعرفهم يوسفُ.

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما، ومجاهدٌ: عرفهم بأول ما نظر إليهم، وهم ما عرفوه ألبتة. [اللباب في علوم الكتاب: ٣٠٣/٩]

(٢) قال يوسف لغلمانه: اجعلوا ثمن ما أخذوه في أمتعتهم سرًا؛ رجاء أن يعرفوه إذا رجعوا إلى أهلهم، ويقدِّروا إكرامنا لهم؛ ليرجعوا طمعًا في عطائنا.

وجاءوا في المرَّة الثالثة بالابتهال والتَّضَرُّع، فرجعوا فرحين مسرورين؛ لأنَّ يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام كان رحيمًا، والرحيم يُجب من تضرَّعَ إليه، فلمَّا دخلوا مصر أمر يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام بتزيين مصر قصورها ودورها، وأخرج من خزائنه أنواع الثياب وألبسها خُدَّامه وغلمانه، وفرشوا في داره أنواع الفُرُش، وهيَّئُوا أسباب الملوك والسياسية، ثمَّ نُصِبَ سرير وكرسيٌّ، وجلس يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام على الكرسي، وأقام حشمه وخدمه بين يديه صُفُوفًا، ثُمَّ أمر بدخول إخوته عليه، فدخلوا فعرفهم وهم له منكرون.

وفي هذا أقاويل: أنَّه عرفهم يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام، فكيف لم يعرفوه؟!

قيل: إن يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام كان وافيًا، وإخوته كانوا جافين، فشؤم الجفاء أعمى قلوبهم حتى لم يعرفوه، فجفاء إخوة يُوسُف أثَّرَ في قلوبهم حَتَّى لم يعرفوه، فمن جفا في حق مولاه سبعين سنة، أَلا يخاف أن يزول عنه معرفته وقت النزع، وقد قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1] [الأنعام: ١١٠] الآية.

قال الشَّيخ الإمام أبو عمرو عثمان بن عبد العزيز رحمه الله: أن الجفاء يأتي بسبعة أشياء، ويذهب بسبعة أشياء:

الأول: يأتي بالغضب، ويذهب بالألفة.

والثاني: يأتي بالمخالفة، ويذهب بالموافقة.

والثالث: يأتي بالمنازعة، ويذهب بالصُّلح.

والرابع: يأتي بالبعد، ويذهب بالقرب.

والخامس: يأتي بالفُرقة، ويذهب بالوصلة.

---

(١) هذا من الله عقوبة لهم، وفيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها عقوبة من الله في الآخرة يقلبها في النار.

والثاني: في الدنيا بالحيرة حتى يزعج النفس ويغمها.

والثالث: معناه أننا نحيط بذات الصدور وخائنة الأعين منهم.

وفي قوله: ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ تأويلان:

أحدهما: أول مرة جاءتهم الآيات.

والثاني: أن الأول أحوالهم في الدنيا كلها، ثم أكد الله تعالى حال عنتهم. [النكت والعيون: ١/٤٣١]

والسادس: يأتي بالبغض، ويذهب بالمودة.

والسابع: يجعل صاحبه أجنبيًّا، ويذهب بالأخوّة.

والقول الثاني: إن يُوسُف عرفهم لأنَّهم كانوا على الصِّفة التي رآهم يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام أولا، و لم يكن يُوسُف على الصِّفة التي رأوه فيها، فلذلك لم يعرفوه.

والقول الثالث: أَنَّ يُوسُف كان لم يقطع الرَّجاء عن رؤيتهم، فلذلك عرفهم، وإخوة يُوسُف كانوا يقطعون الرَّجاء عن رؤيته، فلذلك لم يعرفوه.

والإشارة فيه: أن قلب يُوسُف كان مشغولا باشتياقهم، فلمَّا رآهم عرفهم، وقلوب إخوته كانت خالية عن اشتياقه، فلذلك لم يعرفوه. فكذلك قلب المؤمن مشغول بمحبة الله، فلذلك عرفوه بغير رؤية، وقلب الكافر مشغول بمحبة الصَّنم، فلذلك لم يعرفوا الله بعد ما رأوا دلائل ظاهرة ومعجزات ظاهرة.

والقول الرَّابع: أن يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام كان متبرقعًا، فلذلك لم يعرفوه، وقال: اجعلوا بضاعتهم في رحالهم، وإنما رَدَّ إليهم ليكون لهم تقوية على الرُّجوع إلى مصر مرة أخرى حتى يروا يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام. فكذلك كتم الله بضاعة الإيمان في قلب المؤمن، ليكون لهم تقوية إلى وصول الجنة حتَّى يروا المولى.

والرابع: دخل بنيامين في مصر فوجد يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام في يوم الخميس:

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُف آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾[1] [يُوسُف: ٦٩] الآية.

وقصته: قيل: أنَّ يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام كان وافيًا، وأخوته لَمَّا أتوا ببنيامين فدخلوا على يُوسُف، فقاموا بين يديه، وكان يُوسُف على السَّرير في حجاب، فلمَّا رأى أخاه بنيامين تذكر أباه يعقوب، فبكى بكاءً شديدًا، ثمَّ أمر الحاجب بأن يسأل منهم كيف حال أبيهم يعقوب عَلَيْهِ السَّلام؟ فلمَّا سأل منهم الحاجب خرُّوا سُجَّدا ورفعوا رءوسهم، وقالوا: هو في البكاء والحزن والتضرُّع، ثُمَّ أمر برفع الحجاب، فسلَّمُوا جميعًا، وتقدَّمَ بنيامين، وأعطاه كتاب أبيه، فأخذه وقلبه، ثُمَّ أمر بإلقاء الستور، وفتح الكتاب، وبكى بكاءً شديدًا، أو كان في ذلك الكتاب صفة ما أصاب يعقوب عَلَيْهِ السَّلام بحزن يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام، فقرأ الكتاب وطَواه، وغيض دمعه، وأمر برفع الحجاب، وأمر بأن يحضر الطعام، وأمر يُوسُف بأن يجلس من كان لأب وأم على مائدة واحدة، فجلسوا مثنى مثنى فبقي

---

(١) أي ضمه إليه في الطعام أو في المنزل أو فيهما. روي أنهم لما دخلوا عليه قالوا له: هذا أخونا قد جئناك به، فقال لهم: أحسنتم وستجدون ذلك عندي فأكرمهم ثم أضافهم وأجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيداً فبكى وقال: لو كان أخي يوسفُ حياً لأجلسني معه، فقال يوسف: بقيَ أخوكم فريداً وأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله ثم أنزل كلَّ اثنين منهم بيتاً فقال: هذا لا ثانيَ معه فيكون معي فبات يوسف يضمه إليه ويَشمُّ رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال: لي عشرةُ بنينَ اشتققْتُ أسماءهم من اسم أخٍ لي هلك، فقال له: أتُحِب أن أكون أخاك بدلَ أخيك الهالِك؟ قال: من يجدُ أخاً مثلك ولكن لم يلدْك يعقوبُ ولا راحيل، فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وتعرف إليه وعند ذلك ﴿قَالَ إِنِّى أَنَاْ أَخُوكَ﴾ يوسف ﴿فَلا تَبْتَئِسْ﴾ أي فلا تحزن ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ بنا فيما مضى فإن الله تعالى قد أحسن إلينا وجمعنا بخير ولا تُعلِمْهم بما أعلمتك، قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وعن وهْبٍ أنه لم يتعرّف إليه بل قال له: أنا أخوك بدل أخيك المفقودِ ومعنى فلا تبتئس لا تحزنْ بما كنت تلقى منهم من الحسد والأذى فقد أمِنْتَهم. وروي أنه قال له: فأنا لا أفارقك، قال: قد علمتُ باغتمام والدي بي فإذا حبستُك يزداد غمُّه ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أنسُبَك إلى ما لا يجمُل، قال: لا أبالي فافعل ما بدا لك، قال: أدُسّ صاعي في رَحْلك ثم أنادي عليك بأنك سرقتَه ليتهيّأ لي ردُّك بعد تسريحِك معهم، قال: افعلْ. [تفسير أبي السعود: ٤٥٦/٣]

بنيامين وحيدًا؛ لأنَّهُ كان من أم يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام، فبكى بنيامين، ولم يتناول الطعام، فسأل يُوسُف: لِمَ يبكي هذا الفتى؟ فقالوا: كان له أخ من أمّه فأكله الذئب، فهو يبكي على فِرَاقه. فقال يُوسُف: تعال يا فتى اجلس معي، لا تأكل وحدك، فلمَّا دنا منه ورآه غُشِيَ عليه، فلمَّا أفاق قال له يُوسُف: لِمَ غُشِيَ عليك؟ قال: لأنَّ أخي كان يشبهك، فقال له يُوسُف: أنا أخوك، فتعانقا وبكيا.

نُكْتَة لَطِيفَة: بنيامين كان غريبًا متحيرًا، فقال له يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام: إني أنا أخوك، وموسى عَلَيْهِ السَّلام كان غريبًا متحيرًا، فقال له الله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه: ١٢] الآية[(١)]. وكذلك العاصي؛ إذا تَحَيَّر في بحر المعاصي والذنوب، يقول الله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

والخامس: دخل يعقوب عَلَيْهِ السَّلام مصر يوم الخميس فوجد يُوسُف:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُف آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾[(٢)] [يُوسُف: ٩٩].

---

(١) اخْتُلِفَ في السبب الذي مِنْ أَجْله أُمِرَ بخلْعِ النعلين: فقالتْ فِرْقَةٌ: كَانَتَا من جِلْد حَمِارٍ مَيِّتٍ، فأُمِرَ بِطَرْحِ النَّجَاسَةِ.

وقالت فرقةٌ: بل كَانَتْ نَعْلاهُ مِنْ جِلْدِ بقَرَةٍ ذَكِيّ؛ لكن أُمِر بخلعهما لينَالَ بركَةَ الوَادِي المُقدَّسِ، وتَمسَّ قَدَماهُ تُرْبَةَ الوَادِي.

قال الثعالبي: وتحتمل الآيةُ مَعْنًى آخَرَ، هو الأليقُ بها عِنْدِي؛ وهو: أَن اللّه تعالى أمره أنْ يتأدَّبَ، ويتَوَاضَعَ؛ لعظم الحَالِ الَّتي حَصَلَ فيها، والعُرْف عِنْد المُلُوكِ: أَنْ تُخلَعَ النَّعْلانِ، ويبلغُ الإنْسان إلَى غاية تَوَاضُعِهِ، فكأَنَّ موسى – عليه السلام – أُمِر بذلك عَلَى هذا الوجه، وَلا تُبَالِي كيفَ كَانَتْ نَعْلاهُ من ميتة أوْ غيرها. [تفسير الثعالبي: ٤٦٨/٢]

(٢) يدل على حرارة اللقاء لمغتربين يجمعهم حنان، فالأب كان يشتاق لرؤية ابنه، ولابُدَّ أنه قد سمع من أخوته عن مكانته ومنزلته، والابن كان مُتشوِّقاً للقاء أبيه.

وانفعالات اللقاء عادة تُترك لعواطف البشر، ولا تقنينَ لها، فهي انفعالات خاصة تكون مزيجاً من الود، ومن المحبة، ومن الاحترام، ومن غير ذلك.

فهناك مَنْ تلقاه وتكتفي بأن تسلم عليه مُصَافحة، وآخر تلتقي به ويغلبُك شوقك فتحتضنه، وتقول ما شِئتَ من ألفاظ الترحيب.

كل تلك الانفعالات بلا تقنين عباديّ، بدليل أن يوسف عليه السلام آوى إليه أبويه، وأخذهما في حضنه. [تفسير الشعراوي: ٤٢٥/٩]

قال وهب بن مُنبه: لَّما دنا يعقوب عَلَيْهِ السَّلام من مصر أرسل يهوذا إلى يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام مبشِّرًا، فاستقبل يُوسُف ومعه مائة ألف من قومه، فلمَّا دنا يعقوب عَلَيْهِ السَّلام رأوا على رأسه سحابة تُظِلُّه، فآمن يومئذ بتلك المعجزة الملك الرَّيَّان وغيره، فلمَّا التقيا تعانق يُوسُف مع أبيه وخالته، وهذا معنى قوله: ﴿آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾؛ لأنَّ العرب تسمِّي الخالة: أُمًّا، والعم: أبًا، وكان يعقوب عَلَيْهِ السَّلام تزوَّجَ خالة يُوسُف من بعد موت أمِّه، وكان يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام حين فارق أباه ابن سبع سنين، وحين وصل إلى أبيه ابن سبعين سنةً.

الإشارة في قوله تعالى: ﴿آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أن الله تعالى يقول أنَّ يعقوب عَلَيْهِ السَّلام لَمَّا تَغَرَّبَ عن كنعان، جَعَلْتُ حجر يُوسُف مأواه، ورسولي مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا تَغَرَّبَ عن أبويه، جعلت حجر أبي طالب مأواه. وكذلك العبد المؤمن؛ إذا تَغَرَّبَ من دار الدَّنيا، جعلت الجنة مأواه؛ قوله تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[1] [النازعات: ٤٠ - ٤١].

فلمَّا رأى يعقوب عَلَيْهِ السَّلام أُناسًا كثيرة، قال ليوسف: من هؤلاء؟ قال: يا أبتِ؛ كلهم عبيدي، وقد أعتقتهم كلهم لأجلك. فكذلك إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى: يا مُحَمَّد؛ أعتق يُوسُف برؤية أبيه ألوفًا من العبيد، وأنا أعتق برؤيتك جميع عُصاة أمَّتِك.

---

(١) إذا ماتت النفس عن الهوى، وتركت حظوظاً وشهوات، فلا ينبغي أن يردها إلى ذلك حتى تتربص مدة، فيظهر عليها آثارُ الزهد؛ من السكون إلى الله، والتأنس بمشاهدة الله حتى تغيب عما سواه. فإذا بلغت هذا الوصف فلا جناح على المريد أن يسعفها فيما تفعل بالمعروف، من غير سَرَفٍ ولا ميل إلى هوى، لأن فعلها حينئذٍ بالله، ومن الله، وإلى الله، ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ لا يخفى عليه شيء من أمرها، ولا جناح عليكم، أيها المريدون، إن تزكت نفوسكم، وطهرت من الأغيار قلوبكم، فيما عرضتم به من خطبة أبكار الحقائق وثيبات العلوم، أو أكننتم في أنفسكم من المعارف والفهوم، علم الله أنكم ستذكرون ذلك باللسان قبل أن يصل الذوق إلى الجَنَان، فلا تصرحوا بعلوم الحقائق مع كل الخلائق؛ فإن ذلك من فعل الزنادق، إلا أن تقولوا قولا معروفاً، إشارة أو تلويحاً، فعلمنا كله إشارة، فإذا صار عبارة خفي. [البحر المديد: ١٩٢/١]

والسادس: دخل موسى عَلَيْهِ السَّلام مصر يوم الخميس:

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾(١) [القصص: ١٥].

اختلف العلماء في دخول موسى عَلَيْهِ السَّلام:

قال السدي رحمه الله: إن موسى عَلَيْهِ السَّلام لَمَّا كبر وترعرع كان يركب مع فرعون، وكان يومًا راكبًا مع فرعون، ثُمَّ رجع ودخل المدينة وقت القيلولة.

وقال مُحَمَّد بن إسحاق رَحِمَهُ الله: إن موسى عَلَيْهِ السَّلام لَمَّا تَرَعْرَعَ وتَمَّ عقله، عرف بضلال فرعون عليه اللَّعنة، فتبرَّأ عنه وخرج من المدينة، وتَبِعَهُ قوم بني إسرائيل، ففي يوم من الأيَّام رجع إلى المدينة، ودخل وقت القيلولة.

وقال أبو يزيد رحمه الله: إن موسى عَلَيْهِ السَّلام لَمَّا ضرب رجلا من فرعون أخرجه فرعون من المدينة، ثمَّ رجع موسى عَلَيْهِ السَّلام ودخل المدينة وقت الغفلة، وفي أظهر الروايات: وقت القيلولة.

وقال الحسن البصري رحمة الله عليه: كان يوم العيد، وقال مقاتل رحمة الله عليه: كان بين المغرب والعتمة.

---

(١) اختلفوا في السبب الذي لأجله دخل موسى المدينة على حين غفلة من أهلها، فقال السُّدِّي: إن موسى كان يسمى ابن فرعون، فكان يركب في مراكب فرعون، ويلبس مثل ملابسه، فركب فرعون يوماً وليس عنده موسى، فلما جاء موسى قيل له: إن فرعون قد ركب، فركب في أثره، فأدركه المقيل بأرض منف، فدخلها نصف النهار وليس في طرقها أحدن فذلك ﴿على حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾. وقال ابن إسحاق: كان لموسى شيعة من بني إسرائيل يسمعون منه ويقتدون به، فلما عرف ما هو عليه من الحق فارق فرعون وقومه وخالفهم في دينهم حتى ذكر ذلك منه، وأخافوه وخافهم، فكان لا يدخل قرية إلا خائفاً مستخفياً.

وقال ابن زيد: إنَّ موسى ضرب رأس فرعون ونتف لحيته، فأراد فرعون قتله، فقالت امرأته: هو صغير، جيءْ بجمرة فأخذها فطرحها في فيه، فبها عقد لسانه، فقال فرعون: لا أقتله، ولكن أخرجوه عن الدار والبلد، فأخرج و لم يدخل عليها حتى كبر، فدخل ﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ﴾. [اللباب في علوم الكتاب: ٣٦٥/١٢]

فوجد فيها رجلين يقتتلان؛ أحدهما: من بني إسرائيل، والآخر: من أشياع فرعون عليه اللَّعنة، فاستغاث الرَّجل الذي هو من بني إسرائيل، فأغاثه موسى فوكز القبطيّ فقتله، فخاف موسى عَلَيْهِ السَّلام، وقال: إلهي؛ تُبْتُ فلا أفعل مثله بعد هذا اليوم، ولم يقل: إن شاء الله تعالى، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص:١٧][(١)]، فخرج في اليوم الثَّاني، فرأى الرَّجل الذي أغاثه يخاصم مع واحد من الفرعونيين، فقال: إنك لغَوِيٌّ مبين، حتى قاتلت أمس رجلا وقتلته بسببك، وتقاتل اليوم مع آخر!

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثم مدَّ يده موسى وهو يريد أن يبطش بالفرعونيّ، فنظر الإسرائيليّ إلى موسى عَلَيْهِ السَّلام، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس، فخاف أن يكون أياه أراد، ولم يكن أراده، وإنَّما أراد الفرعونيّ، قال: يا موسى؛ ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ﴾[(٢)] [القصص: ١٩]، فلمَّا سَمِعَ القبطيُّ ما قال الإسرائيلي: انطلق إلى فرعون فأخبره بذلك، فأمر فرعون بقتل موسى عَلَيْهِ السَّلام، ومن هذا قيل: (عدوّ عاقل خير من صديق جاهل).

---

(١) الظهير المعين، والباء سببية، والمعنى بسبب إنعامك عليّ: لا أكون ظهيراً للمجرمين، فهي معاهدة عاهد موسى عليها ربه، وقيل الباء باء القسم، هذا ضعيف لأن قوله: ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ﴾ لا يصلح لجواب القسم، وقيل: جواب القسم محذوف تقديره: وحق نعمتك لأتوين ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾، وقيل الباء للتحليف: أي اعصمني بحق نعمتك عليّ، ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾، ويحتج بهذه الآية على المنع من صحبة ولاة الجور. [التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٥٦/٣]

(٢) يرى بعض المفسرين، أن القائل لموسى هذا القول، هو الإسرائيلي، الذى طلب من موسى النصرة والعون، وسبب قوله هذا: أنه توهم أن موسى يريد أن يبطش به دون القبطى، عندما قال له: ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾.

فيكون المعنى: قال الإسرائيلى لموسى بخوف وفزع: يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا – هى نفس القبطى – بالأمس، وما تريد بفعلك هذا إلا أن تكوه ﴿ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ ﴾ أى: ظالما قتالا للناس فى الأرض، ﴿ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ الذين يصلحون، بين الناس، فتدفع التخاصم بالتى هى أحسن.

والإشارة فيه: أن موسى كان كريمًا، والإسرائيلي كان لئيمًا، وموسى عَلَيْهِ السَّلام لم ينظر إلى لؤمه، ولكن عامله بكرمه. كذلك الرَّب الكريم؛ يعامل عبده العاصي بكرمه، ولا ينظر إلى لؤمه.

والسابع: دخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكَّة يوم الخميس:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٧] الآية.

وذلك أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان رأى رؤيا في عام الحديبية وأخبر بها أصحابه، وقال: " إن الله تعالى أراني في منامي أنَّه يكرمني بالفتح والنصرة ويدخلني مكَّة "، فَلَمَّا قصد مكَّة استقبله سُهَيْل بن عمرو، وتعاهد معه ورجع. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله؛ إنَّك أخبرت أنَّ الله تعالى أمر أن ندخل مكَّة، فلِمَ لا ندخل؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إن لم أدخل في هذا العام، سأدخل في العام الثَّاني ". فلمَّا أتى ثانيًا وفتح الله مكَّة على يده، نزل جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام بهذه الآية: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾.

قال أهل الإشارة: إنَّ الله تعالى ذكر في القرآن سبع رؤيات:

الأولى: رؤيا الخليل عَلَيْهِ السَّلام؛ قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢][(١)].

والثانية: رؤيا يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام؛ قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[(٢)] [يُوسُف: ٤].

---

(١) أي: قيل له في المنام: اذبح ابنك. ورؤيا الأنبياء وحي، كاليقظة. قال الكواشي: لم يرَ أنه يذبحه في النوم، ولكنه أُمر في النوم بذبحه، بدليل قوله: ﴿ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾. وقيل: رأى أنه يُعالج ذبحه، و لم يرَ إراقة الدم. وقال قتادة: رؤيا الأنبياء حق، إذا رأوا شيئاً فعلوه. وفي رؤيا ذلك في النوم وتحققه إياه حتى عمل بما رأى، إيذان بأن الأنبياء قد تجوهرت نفوسهم، فلا مجال للكذب فيما يُوحى إليهم، وفيما يصدر عنهم، فهم صادقون مصدَّقون، فليس للشيطان عليهم سبيل، وإيذان بأن مَن كان في منامه صادقاً كان يقظته أولى بالصدق. اهـ. [البحر المديد: ٥/٢٤٠]

(٢) فيه قولان:

والثالثة: رؤيا الساقي؛ قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يُوسُف: ٣٦].

والرابعة: رؤيا الخبَّاز؛ قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾.

والخامسة: رؤيا الملك الرَّيَّان؛ قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ [يُوسُف:٤٣].

والسادسة: رؤيا المؤمنين؛ قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس:٦٤][(١)].

والسابعة: رؤيا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٧].

=

أحدهما: أنه رأى إخوته وأبويه ساجدين له فثنى ذكرهم، وعنى بأحد عشر كوكباً إخوته وبالشمس أباه يعقوب، وبالقمر أمه راحيل رآهم له ساجدين، فعبر عنه بما ذكره، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: أنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له فتأول الكواكب إخوته، والشمس أباه، والقمر أمه، وهو قول الأكثرين. وقال ابن جريج: الشمس أمه والقمر أبوه، لتأنيث الشمس وتذكير القمر. [النكت والعيون: ٢٣٨/٢]

(١) روى عبادة بن الصَّامت، قال: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله – تعالى –: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ قال: هي الرُّؤيا الصَّالحةُ، يراها المسلمُ أو تُرى لهُ. وقال – عليه الصلاة والسلام –: « الرُّؤيا الصَّالحة جزءٌ من ستَّةٍ وأربعين جزءاً من النُّبوَّةِ. »

وقيل: البُشْرَى في الدُّنيا هي: الثَّناءُ الحسن، وفي الآخرة: الجنَّة؛ لما روى أبو ذرٍّ، قال: قلت يا رسُول الله: الرَّجل يعمل لنفسه، ويحبُّه الناس، قال: تلك عاجلُ بُشْرَى المؤمِن. وقال الزهريُّ، وقتادة: هي نزول الملائكة بالبشارة من الله – تعالى عند الموت، قال – تعالى –: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ [فصلت:٣٠]. وروى عطاء نحوه، عن ابن عباسٍ.

وقال الحسن: هي ما بشَّر الله المؤمنين في كتابه من جنَّته، وكريم ثوابه، كقوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ﴾ [البقرة: ٢٥] ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣] ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ [فصلت:٣٠].

وقيل: بشَّرهم في الدُّنيا بالكتاب والرسُول أنهم أولياء الله، وبشَّرهم في القبور، وفي كتب أعمالهم بالجنَّة. [اللباب في علوم الكتاب: ٧/٩]

الإشارة فيه: أنَّ الله تعالى قادر أن يحفظ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن لما أخرجه منها بيد الكفار، ظَنَّ الكفَّار أنَّهُم أذلُّوهم بالإخراج من مكَّة، فأكرمه الله عز وجل بالفتح والنُّصرة؛ ليعلموا أن المعز والمُذِلُّ هو الله تعالى. وكذلك كان الله عز وجل قادرًا بأن يكرم يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام بمُلك مصر من غير أن يفارق أباه، ولكن فرقه من أبيه كي لا يظن الخلائق أن عز يُوسُف بأبيه؛ ليعلموا أن المعز والمذل هو الله تعالى. وكذلك كان قادرًا أن يعصم - أي: يحفظ - عباده من المعاصي والذُّنوب، ولكن سلَّط عليهم الشَّيطَان حتَّى أوقعهم في المعاصي والذُّنوب، ثمَّ أكرمهم بالتوبة والإنابة، وتداركهم بالعفو والمغفرة؛ ليعلم الظالمون أنَّه إله كريم، وأنَّه غفور رحيم.

والإشارة: أن أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أيسوا من الرُّجُوع إلى مكَّة بشَّرهم الله تعالى بالفتح والنصرة، فقال: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾. وأولاد يعقوب عَلَيْهِ السَّلام لَمَّا أتوا مصر يئسوا من أنفسهم، فبشَّرهم بالأمن، وقال: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يُوسُف: ٩٩]. وكذلك العبد المؤمن يوم القيامة، حين يعاين الأهوال والأفزاع يخاف على نفسه، فبشَّره الله تعالى بالأمن بقوله: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦].

وقيل: لَمَّا دخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكَّة، اجتمع المشركون في المسجد آيسين من أرواحهم، فجاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى دخل المسجد وأحاطه جيشه، ودخل خواصه المسجد مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفَتَحُوا له باب الكعبة حتَّى دخل الكعبة وصَلَّى فيها، ووقف الخواص حول المسجد وأيديهم على مقابض سيوفهم، ينتظرون أن يأمرهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوضع السيوف على أعناق أعدائهم، فخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقام على عتبة الباب، وأقبل على قريش وهم منكسون رءوسهم خوفًا وحزَنًا، فقال: " يا أهل مكة؛ بئس العشيرة أنتم لنبيكم؛ آذيتموني، ومن مولدي أخرجتموني، فالآن قد أظفرني الله عليكم، فما تروني فاعلا؟ "، فقام سُهَيْل بن عمرو - وكان من رؤساء قريش -، وقال: يا مُحَمَّد؛ أنت أخ كريم، إن عذَّبتنا فبجرمٍ عظيم، وإن عَفَوْت عنَّا فبحلمٍ كريم. فتبسَّمَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وجوههم، وقال: " أقول فيكم ما قال أخي يُوسُف لإخوته، قال: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ

الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يُوسُف: ٩٢]، اذهبوا فأنتم الطُّلَقَاء "[1].

فأعتقهم جميعًا ولم يقسم أموالهم، ولم يسبُ ذراريهم، فلا جرم، قد آمن به رجالهم ونساؤهم، فالحمد الله الذي جعلنا من أمَّتِه، وأَدْخَلَنَا في شفاعته.

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/١١٨، رقم ١٨٠٥٥).

obeikandl.com

الْمَجْلِسُ السَّابِعُ: فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] الآية[١].

روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه بالإسناد الذي ذكرناه في المجلس الأوَّل، قال سُئِلَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن يوم الجمعة؟ فقال: " يوم صلة ونكاح "، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: " لأنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسَّلام كانوا ينكحون فيه".

بساط المجلس: قال بعض العلماء: سبعة أنكحة حصلت بين سبعة من الأنبياء والأولياء في يوم الجمعة:

أولهم: آدم وحواء عَلَيْهِمَا السَّلام.

والثاني: يُوسُف وزليخا عَلَيْهِمَا السَّلام.

والثالث: موسى وصفوراء عَلَيْهِمَا السَّلام.

والرابع: سليمان وبلقيس عليهما الرَّحمة والسَّلام.

والخامس: مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخديجة رضي الله عنها.

والسادس: مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعائشة رضي الله عنها.

والسَّابع: عليّ بن أبي طالب وفاطمة رضي الله عنهما.

أمَّا الأوَّل؛ نكاح آدم وحواء حصل في يوم الجمعة:

بدليل ما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قال: "خَلَقَ الله تعالى آدم عَلَيْهِ السَّلام يوم الجمعة، وأسكنه الجنَّة يوم الجمعة، وأخرجه من الجنة يوم الجمعة، وتاب عليه في يوم الجمعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يدعو الله تعالى فيها إلا استجاب له "[٢].

---

(١) يأمر تعالى عباده المؤمنين بالحضور لصلاة الجمعة والمبادرة إليها، من حين ينادى لها والسعي إليها، والمراد بالسعي هنا: المبادرة إليها والاهتمام لها، وجعلها أهم الأشغال، لا العدو الذي قد نهي عنه عند المضي إلى الصلاة.

(٢) أخرجه البزار في الزوائد (٦٢٠). وقال الهيثمي: لم أره بتمامه عند أحد. وأورده في مجمع الزوائد وقال: رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح.

وقصته: أنَّ آدم عَلَيْهِ السَّلام لما خلقه الله تعالى نظر في السموات وفي الأرض فلم ير أحدًا من جنسه ليستأنس به، كما قيل: (كل طير يطير مع شكله)، فاستوحش واشتاق إلى جنسه، وكان جالسًا فَغَشِيَهُ النّعاس، وكان بين النائم واليقظان؛ إذ أمر الله تعالى جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام بأن يخرج ضِلْعًا من جانبه الأيسر، فأخرج ولم يتألم منه آدم عَلَيْهِ السَّلام، وخلق الله تعالى منها حواء، وكل ملاحة وجمال وحُسن وظرافة ما يكون إلى يوم القيامة وضع فيها، وكل مأثُرَة ورزانة وُضِعَت فيها، وكل شَوْق وعشق ومحبَّة ومَوَدَّة وُضِعَت في قلب آدم، حتَّى صارت حواء أحسن من في السموات والأرض، وصار آدم أعشق من في السموات والأرض، ثمَّ ألبسها الله تعالى سبعين حُلة من حُلل الجنة، وتوَّجها بتاج الجنة، وأجلسها على كرسي من ذهب، ثمَّ أيقظ آدم عَلَيْهِ السَّلام وعرضها عليه، فناداها آدم: مَنْ أنتِ؟ ولِمَن أنتِ؟ فقالت: أنا حوَّاء، خلقني الله تعالى لأجلك، فقال: ائتني. قالت: بل أنت ائتني. فقام آدم عَلَيْهِ السَّلام وذهب إليها، فمن ذلك الوقت جَرَت العادة بذهاب الرَّجل إلى المرأة، فلمَّا قرب منها وأراد أن يمدَّ يده إليها، سمع النداء: يا آدم؛ أمسِك، فإن صُحبتك مع حواء لا تحلّ إلا بالصَّدَاق والنِّكَاح، ثُمَّ أمر الله سبحانه وتعالى سُكَّان الجنة بأن يُزَيِّنوها ويزخرفوها، ويحضروا موائد النثار وأطباقها، ثمَّ أمر ملائكة السموات بأن يجتمعوا تحت شجرة طوبى، فاجتمعوا، ثمَّ أثنى الله تعالى بنفسه على نفسه، وزوَّجها آدم عَلَيْهِ السَّلام، فقال الله تعالى: الحمد ثنائي، والعظمة إزاري، والكبرياء رِدَائي، والخلق كلهم عبيدي وإمائي، أشهد ملائكتِي وسكان سمواتي أني زوَّجت حواء بآدم بديع فطرتي، على صداق تسبيحي وتهليلي. ثم أمر فنثر الغلمان والملائكة نثار اللُّؤلؤ والياقوت، وسلَّمُوا حواء لآدم عَلَيْهِ السَّلام، فطلبت حواء الصَّدَاق، فقال آدم عَلَيْهِ السَّلام: إلهي؛ أي شيء أعطيها؛ أذهبًا، أم فضة، أم جوهرًا؟ فقال الله تعالى: لا، فقال: أصلِّي، أم أصوم، أم أسبِّح لك؟ فقال: لا، فقال: إلهي؛ أي شيء هو؟ فقال الله عزَّ وجلَّ: صداق حواء أن تُصَلِّي عشر مرَّات على نبيي وصفيي مُحَمَّد سيد المرسلين وخاتم النبيين.

نُكْتَة: قال الله تعالى لآدم عَلَيْهِ السَّلام: صلِّ على مُحَمَّد حتى أُحِلَّ لك حواء. وقال لأمَّة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَلُّوا على مُحَمَّد حتى أُحَرِّم عليكم النيران، وسَلِّمُوا عليه حتى أُحِلَ لكم الجِنَان.

والثاني: نكاح يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام وزليخا:

وهو أن يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام ملك مصر، وسمي عزيزًا، وزليخا صارت فقيرةً وعجوزًا عمياء، ومع ذلك محبَّة يُوسُف وعشقه يزداد في قلبها كل يوم، فلما عيل صبرها واشتدَّ أمرها، وهي تعبد الوثن إلى ذلك اليوم، رفعت وثنها وضربت به على الأرض، وتبرَّأت منه وآمنت بالله الحي القيُّوم، وناجت في ليلة الجمعة بمناجاة كثيرة، وقالت: إلهي؛ لم يبق لي مال ولا جمال، وصرت عجوزًا حقيرةً، ذليلةً فقيرةً، وابتليتني بحبِّ يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام وعِشْقِه، فإن أوصلتني إليه وإلا فأرجع حُبّه عنِّي، حتى أكون كفافًا؛ لا عليَّ ولا إليّ. فسمعت الملائكة صوتها، فناجت: إلهنا وسيدنا؛ إن زليخًا جاءت إلى حضرتك تدعوك بإيمانها وإخلاصها. فأجابهم الله تعالى: يا ملائكتي؛ قد حان وقت نجاتها وخلاصها. فكان يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام يمرُّ عليها يومًا من الأيام مع حشيمه؛ إذ خرجت زليخا، فلمَّا قرب منها نادت بأعلى صوتها: سبحان من جعل الملوك بقدرته عبيدًا، سبحان من جعل العبيد برحمته ملوكًا. فوقف يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام، وقال: مَنْ أنتِ؟ قالت: أنا التي اشتريتك بالجواهر واللآلئ، والذهب والفضة، والمسك والكافور، أنا التي لم أشبع بطني من الطَّعام منذ عَشِقْتُك، ولا نِمْت ليلة كلها منذ رأيتك، فقال يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام: لعلّك زليخا؟ فقالت: بلى، يا يُوسُف. فقال يُوسُف: أين مالك وجمالك وخزائنك؟ فقالت: أغار عشقك عليها كلها. فقال يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام: كيف عشقك؟ قالت: كما كان، بل يزداد في كل وقت وأوان.

نُكْتَة: كذلك حال المؤمن إذا وضع في قبره؛ يأتيه مَلَكان فيقولان: أين مالك؟ فيقول: ذهب به الخُصَمَاء، فيقولان: أين ضياعك وبساتينك؟ فيقول: ذهب بها الأعداء، فيقولان: أين دورك وبيوتك؟ فيقول: ذهب بها البنات والأبناء، فيقولان: كيف معرفتك بالله تعالى؟ فيقول: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي.

رجعنا إلى القصة: فقال لها يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام: ما تريدين يا زُلَيْخَا؟ فقالت: ثلاثة أشياء: أريد الجمال، والمال، والوِصَال. فقصد أن يمر، فأوحى الله تعالى إليه: يا يُوسُف؛ قلتَ لزليخا: ما تريدين؟ فلِمَ تجبها إلى ما أرادت، فاعلم بأن الله تعالى زوَّج زليخا بك، وخطب بنفسه، وأشهد ملائكته، ونثر الحور العين النثار. فقال يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام: يا

جِبْرِيل؛ ليس لزليخا مال ولا جمال ولا شباب. فقال جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام: يقول لك الله تعالى: إن لم يكن لها مال ولا جمال ولا قوة، فلي جلال ونوال وقدرة، فوهبها الله تعالى شبابها وجمالها، حتى صارت أحسن ما كانت، كأنَّها بنت أربع عشرة سنة، ثمَّ ألقى الله تعالى المحبَّة والمودّة والعشق في قلب يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام، فَصَيَّرَ المعشوق عاشقًا، والعاشق معشوقًا، فرجع يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام إلى منزله وأراد الخلوة مع زليخا، وزليخا قد شرعت في الصلاة، وكان يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام ينتظر كثيرًا وهي لا تُسَلِّم، حتَّى فرغ صبره ونادى: يا زليخا؛ ألستِ التي قددتِ قميصي حين فررتُ منكِ؟ فسلَّمَت وأجابت: أنا هي، ولكن قلبي ليس كما كان.

حُكِي عن الشّبلي رحمة الله عليه أنَّه عمي في آخر عمره، فدخل عليه الجنيد في ليلة، فرآه يدور في بيت مُظْلم وهو يقول شعرًا[1]:

كُلُّ بَيْتٍ أنت سَاكنُهُ ... غَيْرُ مُحْتَاجٍ إلى سُرُجِ

ووجهك المأمول حجّتنا ... يوم تأتي الناس بالحجج

لا أتاح الله لي فرجًا ... يوم أدعو منك بالفرج

ثمَّ قامت زليخا وشرعت في الصَّلاة، فأخذ يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام قميصها ومد يده إليه، فتخرَّق قميصها، فنزل جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام فقال: يا يُوسُف؛ قميص بقميص، فارفع العتاب بينك وبين زليخا رضي الله عنها.

(١) انظر: الرسالة القشيرية (١/١٣٧)، والبحر المديد (٤/٧٠)، وبصائر ذوي التمييز (١/٤٩٢).

والثَّالث: نكاح موسى عَلَيْهِ السَّلام وصفُوراء بنت شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلام:

قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٧] الآية[(١)].

وهو أنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلام لَّما قدم مَدْيَنَ وسَقَى غَنَم شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلام، ثمَّ تولَّى إلى الظِّل، فرأى نفسه فقيرًا غريبًا، جائعًا تَعِبًا، فقال: أنا المَرِيض، أنا الغريب، أنا الضَّعيف، أنا الفَقِير، فنودي في سرِّه: يا موسى؛ المريض الذي ليس له مثلي طبيب، والضَّعيف الذي ليس له مثلي رقيب، والفقير الذي ليس له مثلي نصيب، والغريب الذي ليس له مثلي حبيب. فرجعتا بنتا شعيب وقَصَّتَا على أبيهما القصة، فأرسل إلى موسى إحداهما، فجاءته تمشي على استحياء؛ وهي صفوراء.

نُكْتَة: إنَّ مشية النِّساء على الاستحياء لو لم تكن مُرْضِيَة عند الله، لما أخبر بمشيها على الاستحياء.

وقالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥].

---

(١) ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا ﴾ أي: المرأتين وهي التي دعته إلى أبيها مشيرة بالنداء بأداة البعد إلى استصغارها لنفسها وجلالة أبيها ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ﴾ أي: اتخذه أجيراً ليرعى أغنامنا ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ أي: خير من استعملت من قوي على العمل لشيء من الأشياء وأداء الأمانة.

قال أبو حيان: وقولها قول حكيم جامع لا يزاد عليه لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة أن تقول استأجره لقوّته وأمانته، وإنما جعل خير من استأجرت اسماً والقويّ الأمين خبراً مع أن العكس أولى لأنّ العناية هي سبب التقديم، وقد صدقت حتى جعل لها ما هو أحق بأن يكون خبراً اسماً، وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنه أمر قد جرب وعرف.

وعن ابن عباس: أن شعيباً اختطفته الغيرة فقال وما علمك بقوّته وأمانته فذكرت إقلال الحجر ونزع الدلو وإنه صوّب أي: خفض رأسه حين بلغته رسالة أبيها إليه وأمرها بالمشي خلفه، وعن ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله﴿ عَسَى أَن يَنفَعَنَا ﴾ وأبو بكر في عمر ولما أعلمته ابنته بذلك. [تفسير السراج المنير: ٢٠٦/٧]

فشعيب عَلَيْهِ السَّلام أرسل بنته لموسى عَلَيْهِ السَّلام تدعوه ليجزيه أَجْرَ ما سقى لـه، فالله عزَّ وجلَّ أرسل نبيّه محمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عباده يدعوهم ليجـزيهم أجـرًا عظيمًا.

فقالت صفوراء لأبيها: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَـوِيُّ الأَمِـينُ﴾ [القصص: ٢٦]. فقال شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلام: ما رأيت من قوته وأمانته. فقالت: إنَّهُ رفـع الحجر الذي على رأس البئر وحده، ولا يرفعه إلا أربعون رجلا، وكُنْتُ أمشي قُدَّامـه في الطَّرِيق فقال: تأخَّرِي حتَّى لا يقع بصري على أعضائك. فلمَّا سَمِعَ شُعَيْب عَلَيْهِ السَّـلام رَغَبَ فيه، وقال لموسى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾[1] [القصص: ٢٧]، فقال موسى عَلَيْهِ السَّلام: إنِّي فقير غريب، ليس لي قدرة على الصَّدَاق. فقال شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلام: ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾. ثمَّ جمع شـعيب عَلَيْهِ السَّلام أهل بلده وعقد النِّكاح وسلَّمَها إليه، وكان ذلك في يوم الجمعة.

نُكْتَة: إنَّ شعيبًا لَّما رأى أمانة موسى عَلَيْهِ السَّلام وديانته أسرع إلى صِـلَتِه، وقـال: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ الآية، فالله تعالى لَّما علم صلاح عباده وإيمانهم وتقواهم، دعاهم وأضافهم إلى نفسه تعالى؛ فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعـراف:١٧٢]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١].

قال السدي رحمة الله عليه: إن ملكًا من الملائكة أتى شعيبًا عَلَيْهِ السَّلام على صـورة آدميّ، ووضع عنده العصا وديعة، وكانت تلك العصا من سدرة المنتهى، نزل بها آدم عَلَيْهِ السَّلام من الجنَّة، فلمَّا تُوفِّي آدم أخذها جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام إلى وقت شعيب، ثمَّ نزل بهـا إلى شُعَيْب لأجلِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلام، فلمَّا عَقَدَ النِّكَاح قال لموسى: ادخل في البَيْت وخذ لك عصا من بين العِصِي، واذهب نحو الغَنَم، فدخل موسى عَلَيْهِ السَّلام وخرج بالعَصَـا،

---

(١) فيه عرض الولي بنته على الرجل؛ وهذه سنة قائمة؛ عرض صالح مدين ابنته على صـالح بـني إسرائيل، وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان، وعرضت الموهوبة نفسها علـى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فمن الحسن عرض الرجل وليته، والمرأة نفسها على الرجل الصالح، اقتـداء بالسلف الصالح قال ابن عمر: لما تأيمت حفصة قال عمر لعثمان: إن شئت أنكحك حفصة بنت عمر؛ الحديث انفرد بإخراجه البخاري. [تفسير القرطبي: ٢٧١/١٣]

فرآها شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلام، فقال: هذه أمانة رُدَّهَا إلى موضعها وخذ غيرها، فرجع موسى عَلَيْهِ السَّلام على البيت ووضعها، وأراد أن يأخذ غيرها، فدخلت هذه العصا في يده، وكلَّما جَهَدَ أن يأخذ غيرها لم يقدر، فأخذ تِلْكَ العصا وذهب نحو الغَنَم، فتَبِعَه شعيب عَلَيْهِ السَّلام، وقال: إنَّه ذهب بأمانة الغير، فألحقه وأستردها منه. فأدرك موسى عَلَيْهِ السَّلام وقال: أعطني العصا، فأبى موسى، فتنازعا واتَّفقا على أن يحكم بينهما من لقياه أولا، فلقيا مَلَكًا على صورة آدميّ، فقالا له: احكم بيننا، فحكم فقال لموسى: ضَعِ العصا على الأرض، فإن قدرت أن ترفعها فهي لك، وإن قدر هو أن يرفعها فهي له، فوضع موسى عَلَيْهِ السَّلام العصا على الأرض، فجهد شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلام أن يرفعها من الأرض، فما قدر أن يحركها البتَّة، فتناول موسى عَلَيْهِ السَّلام العصا فرفعها من الأرض.

ثم ظَهَرَت منها معجزات كثيرة؛ حتى أنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلام كان إذا تعب ركب عليها، فكانت تمشي به كالفرس الجواد، وكان إذا اشتهى طعامًا ضربها على الأرض، فيظهر أنواع من الأطعمة، وإذا اشتهى ماء خَرَجَت منها عين ماءٍ، وإذا أَظْلَمَ اللَّيل سَطَعَ منها النور وكأنَّها الشَّمع، وإذا ضاق صدره واستوحش، صارت له مؤانسة ومحدِّثَه، وإذا ألقاها نحو عدو، صارت ثُعْبانًا يظهر من عينيه ومنخريه النار، وتصيح كالرَّعد القاصف.

ومِمَّا قيل فيها من الغزل:

وماشية لها ورق وظل ... ولحم ناعم ولها عظام

لها عينان تقشع من يراها ... وتسمع ما يقال من الكلام

ثمَّ أتمَّ موسى ثماني حِجَج، قال شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلام: يا موسى؛ كُلَّمَا ولدت أنثى من الحملان فهي لك في هذه السّنة. فكان موسى عَلَيْهِ السَّلام يرعى الأغنام، فإذا سقاها ألقى عصاه في الماء ثمَّ يسقيها، فولدت نعاجه كلها إناثًا في تلك السَّنة، فقال شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلام في السَّنة العاشرة: كلَّما ولدت ذكرًا من الحملان فهو لك، فولدت في تِلْكَ السَّنَة نعاجه كلها ذكورًا، فاجتمع لموسى عَلَيْهِ السَّلام أغنام كثيرة، فرجع مع أهله إلى مصر، فآنس في الطريق نورًا، فظنَّه نارًا، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ [طه: ١٠] الآية.

والرابع: نكاح سليمان بن داود عَلَيْهِمَا السَّلام ببلقيس عليها السلام:

وهو حين أتت إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلام مع عرشها بدعاء آصف بن برخيا - يُرْوَى أنه كان له سبعون قائدًا، عند كل قائد خمس مائة فارس. وقال مُحَمَّد بن إسحاق: عند كل قائد ألف فارس -.

وبلقيس رضي الله عنها كانت ذات جمال وكمال، فحسدها الجنّ، وقالت: إن لها عيبين؛ أحدهما: أنها ناقصة العقل. والثاني: أن ساقها مثل ساق الحمار، فأمر سليمان عَلَيْهِ السَّلام بأن ينكِّرُوا عرشها، فنكَّرُوه، ثُمَّ أمر بأن يعملوا صرحًا من زُجَاج، ويُجْرُوا من تحته وحواليه نهرًا، ويجعلوا فيه السَّمك والضَّفَادِع، وأمر بأن يَتَّخِذُوا رأس الماء قنطرة من زُجَاج، ففعلوا ما أمر، ثُمَّ سألها سليمان عَلَيْهِ السَّلام، قال: أهكذا عرشك؟ قالت: كأنَّهُ هو، ولم تقل: نعم؛ لأنَّه مُغَيَّر، ولم تقل: لا؛ لأنَّها كانت ترى بعض علامات عرشها، فعلم سليمان بهذا القول أنَّها عاقلة، ثُمَّ أمرها بأن تدخل الصَّرح، وعزمت على الدُّخول، فرأت الزُّجاج على الماء فحسبته لُجَّة وكشفت عن ساقيها، فرأى سليمان عَلَيْهِ السَّلام أن ليس فيها شيء من العيوب والمنقصة، قال: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾[1] [النمل: ٤٤]؛ أي: زجاج، فلمَّا رأت بلقيس هذه العلامة تفكَّرت في نفسها، إنه مع عِظَم عرشي، وكثرة جنودي وحَشَمِي، وسِعَة بلادي وقِلاعي، وبُعد المسافة بيني وبين سليمان، أُحضر في ساعة واحدة، فلا يقدر عليه أحد إلا الملك المُتعالِ، وقالت - كما قال الله تعالى -: ﴿رَبِّ إِنِّي

---

(١) قال محمد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه قال: أمر سليمان بالصرح، وقد عملته له الشياطين من زجاج، كأنه الماء بياضا. ثم أرسل الماء تحته، ثم وضع له فيه سريره، فجلس عليه، وعكفت عليه الطير والجن والإنس، ثم قال: ادخلي الصرح، ليريها ملكا هو أعز من ملكها، وسلطانا هو أعظم من سلطانها ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾، لا تشك أنه ماء تخوضه، قيل لها: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾، فلما وقفت على سليمان، دعاها إلى عبادة الله، عز وجل، وعاتبها في عبادتها الشمس من دون الله. فقالت بقول الزنادقة، فوقع سليمان ساجدًا إعظاما لما قالت، وسجد معه الناس، فسقط في يديها حين رأت سليمان صنع ما صنع، فلما رفع سليمان رأسه قال: ويحك! ماذا قلت؟ -قال: وأنسيت ما قالت فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فأسلمت وحسن إسلامها. [تفسير ابن كثير: ١٩٥/٦]

ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثمَّ تزوَّجَها سليمان بن داود عَلَيْهِمَا السَّلام.

فمن يقدر أن يصف عرش رسول الله سليمان عَلَيْهِ السَّلام الذي كان الريح مركبه، والإنس والجن جنوده، والطير مُعينه ومحدِّثَه، والوحش مُسَخَّرة، والملائكة رُسله، وكان له ميدان؛ لَبِنَة من ذهب، ولَبِنَة من فضة، وكان مد عسكره مائة فرسخ، وكان منزله مسيرة شهر، وكانت الجن نَسَجَتْ له بساطًا من ذهب ومن فضة، فيه اثنا عشر ألف محراب، في كل محراب كرسي من ذهب وكرسي من فضة، وعلى كل كرسي عالم من علماء بني إسرائيل، وكان يطبخ كل يوم ألف جَزور وأربعة آلاف بقرة، وأربعين ألفًا من الغنم، وكان له قدور راسيات في الجبال يطبخ فيها الجُزر والبقر والغنم من غير تفريق أعضائها، وكان له جفَان كالجواب؛ أي: الحِيَاض، المورد إليها في كل حين، كما قال الله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ [سبأ: ١٣][1].

---

(١) قوله تعالى: ﴿ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ ﴾ قال ابن عرفة: الجوابي جمع الجابية، وهي حفيرة كالحوض. وقال: كحياض الإبل. وقال ابن القاسم عن مالك: كالجوبة من الأرض، والمعنى متقارب. وكان يقعد على الجفنة الواحدة ألف رجل. النحاس: ﴿ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ ﴾ الأولى أن تكون بالياء، ومن حذف الياء قال سبيل الألف واللام أن تدخل على النكرة فلا يغيرها عن حالها، فلما كان يقال جواب ودخلت الألف واللام أقر على حال فحذف الياء. وواحد الجوابي جابية، وهي القدر العظيمة، والحوض العظيم الكبير الذي يجبى فيه الشيء أي يجمع؛ ومنه جبيت الخراج، وجبيت الجراد؛ أي جعلت الكساء فجمعته فيه. إلا أن ليثا روى عن مجاهد قال: الجوابي جمع جوبة، والجوبة الحفرة الكبيرة تكون في الجبل فيها ماء المطر. وقال الكسائي: جبوت الماء في الحوض وجبيته أي جمعته، والجابية: الحوض الذي يجبى فيه الماء للإبل.

﴿ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ قال سعيد بن جبير: هي قدور النحاس تكون بفارس. وقال الضحاك: هي قدور تعمل من الجبال. غيره: قد نحتت من الجبال الصم مما عملت له الشياطين، أثافيها منها منحوتة هكذا من الجبال. ومعنى ﴿ رَاسِيَاتٍ ﴾ ثوابت، لا تحمل ولا تحرك لعظمها. قال ابن العربي: وكذلك كانت قدور عبدالله بن الله بن جدعان، يصعد إليها في الجاهلية بسلم. وعنها عبر طرفة بن العبد بقول:

كالجوابي لا تني مترعة ... لقرى الأضياف أو للمحتضر

والإشارة فيه: يا أمَّة مُحَمَّد؛ إن لكم في الجنَّة منازل ودرجات وبساتين وأنهارًا وأشجارًا؛ حتى قيل: إنَّ أوَّل منزلة من منازل أُمَّة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنة مثل مُلك سليمان عَلَيْهِ السَّلام مائة مرَّة، بل أَزْيَد؛ لأنَّ الجنَّة فيها دار الخُلد، ليس فيها شمس ولا برد، ولا سحاب ولا رعد، ولا تعب ولا كدر، ولا شغل ولا جُهد، وبقاء بلا حدٍ، وعطاء لا عد، وقبول بلا رد، وقرب بلا ضد، ووصول إلى الواحد الفرد، بلا شبيه ولا نِد. وفيها دار السَّلام، سلامة بلا آفة، ونِعْمة بلا محنة، وراحة بلا شدَّة، ومحبة بلا عداوة، وكرامة بلا إهانة، وموافقة بلا مخالفة، وفيها سرور وقصور، وحبور وحور. وفيها جنَّة النَّعيم؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [القمر: ٣٤]، والعبد فيها مقيم، والنبيّ فيها نَدِيم، والثَّواب فيها عظيم، والبَقاء فيها قديم، والعطاء فيها جسيم، والحزن فيها عديم، والمضيف فيها كريم، ونعيمها مؤبَّد، ومقامها مخلَّد، وبقاؤها سرمد، وفرشها مُنَضَّد، مرافقها ممهَّد، وحُورُهَا مُنَهَّد، وقصورها مشيَّد، وظلُّها ممدَّد. وفيها جنَّات الفردوس؛ قوله تعالى: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[1] [الكهف: ١٠٧] الآية، لمن

=

قال ابن العربي: ورأيت برباط أبي سعيد قدور الصوفية على نحو ذلك، فإنهم يطبخون جميعا ويأكلون جميعا من غير استئثار واحد منهم على أحد. [تفسير القرطبي: ٢٧٦/١٤]

(١) في ﴿الْفِرْدَوْسِ﴾ خمسة أقاويل:

أحدها: أن الفردوس وسط الجنة وأطيب موضع فيها، قاله قتادة.

الثاني: أنه أعلى الجنة وأحسنها، رواه ضمرة مرفوعاً.

الثالث: أنه البستان بالرومية، قاله مجاهد.

الرابع: أنه البستان الذي جمع محاسن كل بستان، قاله الزجاج.

الخامس: أنه البستان الذي فيه الأعناب، قاله كعب.

واختلف في لفظه على أربعة أقاويل:

أحدها: أنه عربي وقد ذكرته العرب في شعرها، قاله ثعلب.

الثاني: أنه بالرومية، قاله مجاهد.

الثالث: انه بالنبطية، فرداساً، قاله السدي.

الرابع: بالسريانية، قاله أبو صالح. [النكت والعيون: ٥/٣]

لم يقل لمولاه شريكًا ولا مثلا، وأخلص له في دينه وفي دنياه قولا وعملا وفعلا، ولم يزل على عصيانه خائفًا وَجِلا، ولم يطلب الإعراض عن حبيبه غالا، واتَّخَذَ المولى حبيبًا وموئلا، فجعل الله الفردوس له نُزُلا. وفيها أربعة أنهار؛ نهر من ماء غير آسن، ونهر من لبن لم يتغيَّر طعمه، ونهر من خمر لذَّة للشاربين، ونهر من عسل مصفًّى، ولهم فيها من كل الثمرات. وفيها أربعة عيون: سلسبيل، وزنجبيل، ورحيق، وتسنيم. وفيها عينان تجريان، وعينان نضاختان؛ أحداهما: الكافور، والأخرى: الكَوْثَر. وفيها ما لا عين رأت، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خطر على قلب بشر، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[1] [القمر: ٥٤ - ٥٥] إلى آخره.

الخامس: نكاح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخديجة رضي الله عنها:

روي أن خديجة رضي الله عنها رأت في منامها أنَّ الشمس نزلت من السماء ودخلت في بيتها، ثُمَّ خرج نورها، فلم يبق في مكَّة بيت إلا تَنَوَّر به. فلمَّا انتبهت قصَّت رؤياها على عَمِّها ورقة بن نوفل، وكان معبِّرًا للرؤيا، فقال: إن نبي آخر الزمان يكون زوجك، فقالت: يا عمِّ، هذا النَّبيّ من أي بلد يكون؟ قال: من مكة. قالت: من أي قبيلة؟ قال: من قريش. قالت: من أي بطن؟ قال: من بني هاشم. قالت: ما اسمه؟ قال: مُحَمَّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

وكانت خديجة رضي الله عنها تنظر من أي جانب تطلُع عليها هذه الشمس.

فيومًا من الأيام كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيت عمه أبي طالب ليأكل الطعام، وكان عَمُّه أبو طالب وعمَّته عاتكة ينظران إلى أدبه وحسن سيرته، ويقولان: إن

---

(١) أخرج الحكيم الترمذي عن بريدة « عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ قال: إن أهل الجنة يدخلون على الجبار كل يوم مرتين فيقرأ عليهم القرآن، وقد جلس كل امرىء منهم مجلس الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والفضة بالأعمال، فلا تقر أعينهم قط كما تقر بذلك، ولم يسمعوا شيئاً أعظم منه ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى رحالهم قريرة أعينهم ناعمين إلى مثلها من الغد ». [الدر المنثور: ٣٥٢/٩]

محمدًا قد شَبَّ، وليس لنا ما نزوجه به، فلا نعرف كيف المصلحة في أمره، ثمَّ قالت عاتكة: يا أخي؛ إن خديجة امرأة ميمونة، كل من تعلَّق بها يبارك الله له في معاشه، فإنَّها تريد أن ترسل عِيرًا إلى الشَّام، فنؤجرها محمدًا كي نصلح له شيئًا نزوّجه به.

نُكْتَة: كان الله تعالى يقول: إن عاتكة وأبا طالب يهيآن له أسباب التجارة، و لم يعرفا بأننا نهيِّئ له أسباب النبوّة والرسالة.

ونظيره: أن زليخا وعزيز مصر هَيَّئَا ليوسف عَلَيْهِ السَّلام أسباب العبوديَّة والخدمة، و لم يعرفا بأننا هَيَّأْنَا له أسباب الملك والنبوَّة.

ونظيره: أن بنت شعيب وأباها عَلَيْهِ السَّلام هَيَّئَا لموسى عَلَيْهِ السَّلام أسباب الرعاة والأجير، و لم يعرفا بأننا هَيَّأْنَا له أسباب الكليم والسفير.

رجعنا إلى القصة: فشاورا محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الأمر، فقَبِلَهُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذهبت عاتكة إلى خديجة وأخبرتها بإجارة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا سمعت هذا القول تَفَكَّرت في نفسها، وقالت: هذا تأويل رؤياي؛ لأنَّ عَمِّي ورقة بن نوفل قال: أَنَّهُ يكون من العرب، وهذا عربيّ مكيّ قرشيّ هاشميّ، واسمه: مُحَمَّد، وهو حَسَن الخُلُق، وعظيم الخَلْق، فليس هو إلا نبيٌّ خالق الخلق. فهمَّت بأن تزوِّج نفسها به في تلك الحالة، ولكنَّهَا خافت – أي: من التُّهمة – وقالت: استأجره الآن وأصبر على عِشْقِه حتَّى يفتح بيننا ربُّنا.

ونظيره: أن صفوراء بنت شعيب لَّما رأت موسى عَلَيْهِ السَّلام رغبت فيه، وأحبَّت أن يكون هو زوجها، ولكنَّها استحيت من أبيها بأن تقول زوجنيه، ولكن قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٧].

ونظيره: كان الله تعالى يقول: عبدي؛ ليس لي حاجة إلى طاعتك وخدمتك، ولكن أمرتك بالطاعة والعبادة، وحملت عليك البلاء والمشقة لعظم تُهْمَةِ الكفار وطعنهم، حتى إذا وَضَعْتَ رأسك على الأرض وسجدت، وقلت: سبحان ربي الأعلى. أجبتك، وأقول لك: لبيك عبدي. عبدي؛ وَسِعَتْكَ رحمتي وأطعمتك طعام محبتي، وأسقيتك شراب شوقي، ارفع رأسك؛ فمرادي منك الوِصَال، لا الأعمال.

رجعنا إلى القصَّة: ثُمَّ قالت خديجة: يا عاتكة؛ إني استأجرت كل أجير بعشرين دينارًا، واستأجرت محمدًا بخمسين دينارًا. فرجعت عاتكة مسرورة، وأخبرت أبا طالب، فقال لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اذهب إلى بيت خديجة واشتغل بما تأمرك به.

فجاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى باب دارها كئيبًا حزينًا، ودموعه تقطر على خديه، فبكت ملائكة السَّموات لبكائه رحمةً عليه. فلمَّا آن رحيل العير، جاء ميسرة أمير الرَّكب وقال: يا مُحَمَّد؛ البس لباسًا من صوف، وضع قلنسوة الجمال على رأسك، وخذ زمام القطار، وتوجَّه نحو الشام. ففعل ذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودخل الطريق باكيًا، وقال في نفسه: أين والدي عبد الله؟ وأين والدتي آمنة كي تبصر حال ولدها؟ وا ويلاه من اليُتْم والغربة التي عرضت عليَّ، فلا أردي أرجع إلى مولدي أم أموت في دار الغربة؟! فوقع الأنين والعويل في الملائكة لبكائه ومناجاته.

نُكْتَة: يا أمَّة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ابكوا ثم ابكوا على رسولكم ونبيكم؛ لأنَّ الملائكة في السماء بكت من قبلكم، فإذا بكت أمة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذكره تناجي الملائكة، ويقولون: إلهنا وسيدنا ومولانا؛ ماذا لأمة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ تراهم باكين. فيوحي الله تعالى إليهم أن عالمًا حدَّث حديث رسولي فيهم، فيبكون لأجل ما أصابه من الشدَّةِ والمحنة، ثُمَّ يقول الله تعالى: أشهدكم يا ملائكتي أنِّي قد أعتقت جميعهم من ناري وعذابي.

رجعنا إلى القصة: ثمَّ أرسل الله تعالى مُزْنَة بيضاء تظلِّل على رأس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حرِّ الحجاز، وكانت خديجة رضي الله عنها أوصت ميسرة إذا فارق بيوت المصر بأن يلبس على مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الثياب، ويركبه أفخر الدَّواب، ففعل ما أمرته خديجة، وكان رسول الله صلى الله عليه سلم ينام على البعير والمُزْنة تظلِّله والنَّسيم يروِّحه، حتى وصل العير إلى صومعة راهب كانت في الطريق، فنزل عندها تحت الشَّجرة، فخرج راهب من صومعته، ورأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمُزْنة التي تُظِلُّه، فتفرَّس بذلك أنه نبيّ، فاتخذ ضيافة ودعاهم إلى صومعته؛ ليعلم أيّهم صاحب تلك الكرامة، فذهبوا بأجمعهم، وتركوا محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند دوابهم وأثقالهم، فخرج الرَّاهب من صومعته ونظر نحو الشَّجرة، فرأى المُزْنة لم تزل من مكانهم، فسألهم: هل بَقِيَ

منكم أحد عند الأثقال؟ فقالوا: لا إلا يتيمًا أجيرًا، يرعى الجمال ويحفظ الأثقال. فقدم الراهب نحوه وأتى إليه، فلمَّا دنا منه قام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصافحه، فأخذ الراهب بيده، وأتى به إلى صومعته، فلمَّا قصد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشي، نظر الرَّاهب إلى المُزْنَة، فرآها تسير بِحِذَاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمَّا دخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صومعة الرَّاهب وجلس على المائدة، خرج الرَّاهب ونظر إلى المُزْنة، فرآها واقفة على باب صومعته، فدخل وقال: يا شاب؛ من أي بلدة أنت؟ قال: من مكَّة. قال: من أي قبيلة؟ قال: من قريش. قال: من أي أصل؟ قال: من بني هاشم. قال: ما اسمك؟ قال: مُحَمَّد. فوقع الراهب عليه، وقبَّله بين عينيه، وقال: لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله، ثمَّ قال: أرني علامة واحدةً ليطمئنَّ قلبي ويزداد يقيني. فقال: ما هي؟ قال: تَجَرَّد من ثيابك حتى أرى من بين كَتِفَيك، فإنَّ فيها خاتم نبوتك، وعلامة رسالتك، فكشف عن كتفه، فرأى الرَّاهب خاتم النّبوَّة مكتوبًا عليه: (توجَّه حيث شئت، فإنَّك منصور)، فمسح الرَّاهب عليه، وقال: يا زين القيامة، يا شفيع الأمة، ويا رفيع الهِمَّة، يا كاشف الغُمَّة، يا نبي الرَّحْمَة، فأسلم الرَّاهب وحَسُنَ إسلامه.

نُكْتَة: الرَّاهب نظر إلى خاتم النُّبُوَّة مرَّة واحدة، فأكرمه الله تعالى بالإيمان، وأنقذه من عذابه، فالمؤمن الذي ينظر إلى قلبه الملك الدَّيَّان، الحكيم الحنَّان، الرءوف المنَّان، ثلاث مائة وستين نظرة في كل يوم وليلة، فيرى فيه التوحيد والصفاء والإحسان، والنَّدامة على العِصْيَان، أَفَلا ينقذه من النِّيران ويستوجب له الجِنَان، ويزوِّجه بالحور الحِسَان، التي لم يطمثهنَّ - أي: لا يجامعهنَّ - إنس قبلهم ولا جانّ، وكيف لا يطعمه من كل فاكهة زوجان، بل يشرفه ويتفضَّل عليه برؤيته، وهو الرَّحيم الرَّحمن.

رجعنا إلى القِصَّة: فلمَّا وصل العير إلى الشَّام وأبحروا فيه، وكان أبو بكر رضي الله عنه ومحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وميسرة خَرَجُوا إلى عيد اليَهُود للنَّظارة، فلمَّا وصلوا إلى مصلاهم، دخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيعتهم، فنظر إلى القناديل الَّتِي كانت معلَّقَة بالسلاسل، فتقطعت سلاسلها جميعًا وسقطت، فخافت اليهود، وقالوا: لعلمائهم ما هذه العلامة التي ظهرت؟ قالوا: نجد في التوراة أن محمدًا نبي آخر الزَّمان، إذا حضر في عيد اليهود تظهر هذه العلامة، فلعلَّه قد حضر اليوم، فطلبوه وقالوا: لو وجدناه لقتلناه ودفعنا

شره، فلمَّا سمع أبو بكر رضي الله عنه وميسرة هذا القول، كتما محمدًا وتبادروا للرُّجُوع إلى مكَّة فرجعوا، وكان ميسرة إذا دنا من مكَّة مسيرة سبعة أيَّام يُرسل أحدًا إلى خديجة يبشِّرها بقدومه، فقال لمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لو أرسلتُك بشيرًا، هل تقدر على ذلك؟ فقال: نعم أقدر. فأرسل ميسرة ناقة وزيَّنها بأنواع الحَرِير، وأركب عليها محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووجَّهَهُ نحو مكَّة، وكتب كتابًا، وقال فيه: يا سيدة قريش؛ إن التجارة في هذه السنة أربح تجاراتي في سائر السنين. فساق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناقة وغاب عن أعينهم، فأوحى الله تعالى إلى جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام: أن اطوِ الأرض تحت أقدام ناقة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ويا إسرافيل؛ احفظه عن يمينه. ويا ميكائيل؛ احفظه عن يساره. ويا سحاب؛ أظلّه. فألقى الله تعالى عليه النَّوم، فنام فأوصله الله تعالى في تلك الساعة إلى مكَّة، وكانت خديجة رضي الله عنها جالسة على الرُّواق، فنظرت نحو الشام فرأت راكبًا يُقبل، والسَّحَاب على رأسه يظلّله، وكانت حولها جوارٍ كثيرةٍ، فقالت: هل تعرفن ذلك الرَّاكب الذي يجيء؟ فقالت واحدة منهن: إنَّهُ يشبه محمَّدًا الأمين. فقالت خديجة رضي الله عنها: إن كان هو مُحَمَّد الأمين، فقد أعتقتكن جميعكن لقدومه. فوصل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى باب دارها، فاستقبلته خديجة رضي الله عنها وأكرمته وبجَّلته، وقالت: وَهَبْتُ لك الناقة التي ركبتَ بما عليها، ثمَّ ذهب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيت عمِّه.

ومرَّت أيَّام، فجاء يومًا إلى دار خَدِيَجة، فقالت له خديجة رضي الله عنها: يا مُحَمَّد؛ تكلَّم معي وأخبرني بما تُرِيد؟ فقال: إن عمِّي وعمَّتي أرسلاني بأن أسأل الأجْرَة، يريدان أن يزوِّجَاني. وقال هذا القول واستحى ونكَّس رأسه، فقالت خديجة: يا مُحَمَّد؛ إن الأجر قليل، فلا يحصل منه شيء، ولكن أزوِّجُكَ زوجةً من أشرف العرب وأحسنُها حالا، وأكثرها مالا، وهي ترغب فيها مُلُوك العرب والعجم، فلم تقبل، وأنا أسعى في تزويجها لك، ولكن فيها عيب؛ وهو أنَّه كان لها زوج قبلك، فإن قبلت فهي خادِمَتك وجاريتك. فقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عندها و لم يتكلَّم بشيء، وأتى بيت عمّه وعمّته، وجلس مغمومًا حزينًا، فسأله عمَّه وعمّته، قال: إن خديجة قد سخرت بي، وقالت لي كيت وكيت..، فقالت عاتكة: إن كان ما قالت حقًّا فأنازع معها، فأتت إليها، وقالت:

يا خديجة؛ إن كان لك مال ونسب، فلنا حسب ونسب، فلماذا تسخرين بابن أخي مُحَمَّد؟ فقامت واعتذرت وقالت: من يطيق أن يسخر من أنسابكم، ولكنني عرضت نفسي على مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن قَبِلَنِي تزوَّجتُ به، وإن لم يقبل، فلا أتزوَّج أحدًا إلى أن أموت. فقالت عاتكة: هل علم بهذا القول عمّك ورقة بن نوفل؟ فقالت: لا، ولكن قولي لأخيك أبي طالب بأن يتَّخِذَ ضيافةً ويدعو عمِّي ويسقيه من الأشربة ويخطبني منه.

فرجعت عاتكة وأخبرت أخاها بقول خديجة، فاتّخذ ضيافة ودعا ورقة بن نوفل وأشراف العرب، وخطب خديجة، فقال: قبلت، إلا أنِّي أشاورها. وذهب إلى خديجة وشاورها، فقالت: يا عمِّ، كيف أردّ خِطبة مُحَمَّد وله أمانة وصيانة، وحسب وأصالة. فقال ورقة: نعم، إلا أنه ليس له مال. فقالت: إن لم يكن له مال، فلي مال بلا حد، ولا حاجة لي في المال، مرادي منه الوِصَال، فقد وكَّلْتُك يا عمي بتزويجي إياه. فرجع ورقة بن نوفل إلى دار أبي طالب وعقد النِّكاح وخطب بنفسه.

فلمَّا صارت وقت العتمة، دعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر، وقال: " أريد أن تذهب معي دار خديجة "، فقال رضي الله عنه: حُبًّا وكرامةً. ثمَّ أتى أبو بكر بدارعة مصرية وعمامة، وألبسهما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذهبا إلى دار خديجة، وكانت خديجة أقامت مائة غلام على يمين بابها، بيد كل واحد طبق مملوء من ذهب، ومائة جارية على يسار بابها، بيد كل واحد منهنَّ طبق مملوء من درّ وياقوت وزبرجد، فلمَّا حضر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَثَرَ الغلمان الجواهر كلها على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدخل رسول الله دارها، وقُدّمت موائد عليها من ألوان الأطعمة فأكلا، ثمَّ رجع أبو بكر رضي الله عنه إلى منزله، فتكلَّمت خديجة رضي الله عنها، وقالت: يا مُحَمَّد؛ إن جميع المال الذي لي من الصَّامت والناطق، والضِّياع والقصور، والعقار والديار، والإماء والعبيد، والطَّارق والتَّالد كلّها لك، فلذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨][1] أي: فقيرا فأغنى؛ يعني: بمال خديجة.

---

(١) أي: كنت فقيرًا ذا عيال، فأغناك الله عمن سواه، فجمع له بين مقامي، الفقير الصابر والغني الشاكر، صلوات الله وسلامه عليه.

ويقال: إن خديجة رضي الله عنها عاشت مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعًا وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية أيَّام؛ منها خمس عشرة سنة قبل الوحي والباقي بعد الوحي. وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم تزوَّجها ابن خمس وعشرين سنة، فولدت منه سبعة أولاد؛ ثلاثة ذكور: القاسم، والطاهر، والمطهر، كلَّهم ماتوا في الصِّغَر، وأربعًا أناثًا: فاطمة، وزينب، ورقيَّة، وأم كُلْثُوم.

فزوَّج فاطمةَ رضي الله عنها عليًّا بن أبي طالب رضي الله عنه، وزينب بأبي العاص بن الرَّبيع، وأم كلثوم بعثمان بن عفان رضي الله عنهما، فماتت عنده، ثمَّ زوَّجه برُقَيَّة، وكانت الأنكحة كلها يوم الجمعة.

السادس: نكاح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعائشة رضي الله عنها:

وهو ما روي أن خديجة لَّما تُوُفِّيَت خديجة إلى رحمة الله تعالى اغتمَّ رسول الله، فجاء جبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام بوَرَقَة من ورق الجنة منقوش عليه صورة عائشة رضي الله عنها، فقال: يا مُحَمَّد؛ السَّلام يُقْرِئك السلام، ويقول: إني زوّجتك البكر التي تُشْبِه هذه الصورة في السَّماء، فتزوجها أنت في الأرض. ثمَّ إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا بالدلالة وعرض عليها الصُّورة، وقال لها: " هل تعرفين بكرًا في مكَّة تُشْبِهُ هذه الصورة؟ "، فقالت: نعم؛ إن هذه صورة بنت صديقك أبي بكر رضي الله عنه. فدعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر، وقال له: " يا أبا بكر؛ إن لك بنتًا تسمَّى عائشة، زَوَّجَني الله بها في سمائه، وأمرك بأن تُزَوِّجَني بها في الأرض "، فقال: يا رسول الله؛ إنَّها صغيرة، فلا أدري أتصلح لخدمتك أم لا؟ فقال: " لو لم تكن صالحة لخدمتي لما زوَّجَني الله تعالى بها ". ثمَّ عقدا عقد النِّكاح، ورجع أبو بكر رضي الله عنه إلى منزله، وملأ طبقًا من التَّمر، وقال لعائشة رضي الله عنها: اذهبي بهذا التَّمر إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقولي له: إن والدي يقول لك: إن الشيء الذي سأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه هذا. وقولي: لا أدري هل

=

وقال قتادة في قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلا فَأَغْنَى﴾ قال: كانت هذه منازل الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الله، عز وجل. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم. [تفسير ابن كثير: ٤٢٧/٨]

يصلح له أم لا. فأتت حجرة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوجدته وحيدًا، فوضعت الطبق بين يديه وأدَّت رسالة أبيها، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يا عائشة؛ قبلنا ثمَّ قبلنا ثمَّ قبلنا "، ثم مدَّ يده وأخذ بطرف ردائها وشدَّهَا إليه، فنظرت إليه مغضبة، وقالت: يدعوك النَّاس باسم الأمانة، وهذا من علامات الجنايات، وشَدَّت ثوبها من يده وخرجت، وأتت بيت أبيها، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا عائشة؛ كيف رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقالت: يا أَبَتِ؛ لا تسألني؛ فإنَّهُ أخذ ثوبي وشَدَّني. فقال: يا قُرَّة عيني؛ لا تظنِّي به ظنَّ السوء؛ فإنِّي زوَّجْتُكِ به. فخَجلَتْ ونَكَّسَتْ رأسها.

وقال بعض العلماء: إن عائشة رضي الله عنها كانت تفتخر على أزواج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثلاثة أشياء؛ تقول: تَزَوَّجَنِي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا بِكْر. والثاني: أن الله تعالى زوَّجَنِي به في السماء. والثالث: أنَّ الله تعالى أنزل في حقِّي آيات، ولَعَنَ فيها من بَهَتَنِي، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [النور: ٢٣]، وقصته:

أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أراد أن يخرج إلى سفر، أقرع بين نسائه، فأيّتهنَّ خرج اسمها ذهب بها، قالت عائشة رضي الله عنها: فأقرع بيننا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة بني المصطَلِق، وخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك بعد ما نزلت آية الحجاب؛ قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية[1]، فاتَّخذ لي هودجًا فحُمِلت فيه،

(١) سبب هذه الآية ما رواه أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما تزوج زينب بنت جحش، أوْلم عليها فدعا الناس، فلما طعموا قعد نفر في طائفة من البيت، فثقل ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم، فخرج ليخرجوا بخروجه، ومر على حُجَر نسائه ثم عاد فوجدهم في مكانهم، فانصرف فخرجوا عن ذلك »، وقال ابن عباس: نزلت في قوم كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم، فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يطبخ، ثم يأكلون ولا يخرجون، فأمروا أن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم، وأن ينصرفوا إذا أكلوا، قلت: والقول الأول أشهر، وقول ابن عباس أليق بما في الآية من النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم، فعلى قول ابن عباس في النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم، والقول الأول في النهي عن القعود بعد الأكل، فإن الآية تضمنت الحكمين ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ أي غير

فلمَّا رجع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الغزاة، ودَنَوْنَا من المدينة فنزلنا ليلة، فخرجت من هودجي وذهبت إلى موضأ أتوضأ، فتوضأت ورجعت، فلمست صدري، فإذا عقدي قد انقطع وسقط منه اللآلئ والجزع اليمانيّ، فرجعت فالتمسته، وآذن بالرَّحيل، فحبسني طلب العقد، فرحل الجيش، فحملوا هودجي ووضعوه على البعير الذي كنت أركبه وهم يحسبون أنِّي في الهَوْدَج، وكنت جارية حديثة السن خفيفة النَّفس، فساروا، فجئت منازلهم وليس فيها داع ولا مُجِيب، فتَيَمَّمْت المنزل الذي كنت فيه، وظننتُ أنَّ القوم سيفقدونني ويرجعون إليَّ، فبينما أنا جالسة غلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان بن المعطل السَّلميّ ثمَّ الذَّكوانيّ يحرس وراء الجيش، فلمَّا أصبح الصَّباح، رأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني، وقد كان يراني قبل أن يُضْرَب عليَّ الحجاب، فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه، فخمَّرْتُ وجهي بجلبابي، والله ما كَلَّمَني بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، ثمَّ أناخ راحلته فركبتُها، فانطلق يقود الرَّاحلة حتَّى أتيت الجيش بعد ما نزلوا، وهلك من هلك فيّ، وكان أوَّل من تَكَلَّمَ فيَّ بالإفك والبُهْتان: عبد الله بن أُبَيّ بن سلول رأس المنافقين، لَعَنَهُ اللهُ، ثمَّ مسطح ابن خالة أبي بكر، فقدمنا المدينة، فمرَّت أيَّام ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس معي كما كان، فاشتكيت أيَّامًا ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخل ويسلِّم ولم يقل إلا: " كيف تيكم؟ "، وذلك يحزُنني ولا أشعر بالشَّر، فخرجت يومًا لشغل مع أم مسطح، فعثرت أم مسطح، فقالت: تَعِسَ مسطح،

=

منتظرين لوقت الطعام، والإنا الوقت، وقيل: إنا الطعام نضجه وإدراكه، يقال أنى يأنى إناء ﴿ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا ﴾ أمر بالدخول بعد الدعوة، وفي ذلك تأكيد للنهي عن الدخول قبلها ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا ﴾ أي انصرفوا، قال بعضهم: هذا أدب أدّب الله به الثقلاء ﴿ وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ معطوف على غير ناظرين، أو تقديره: ولا تدخلوا مستأنسين، ومعناه النهي عن أن يطلبوا الجلوس للأنس للأنس بحديث بعضهم مع بعض، أو يستأنسوا لحديث أهل البيت، واستئناسهم: تسمعهم وتجسسهم ﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ ﴾ يعني جلوسهم للحديث أو دخولهم بغير إذن ﴿ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ﴾ تقديره يستحي من إخراجكم، بدليل قوله: ﴿ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾: أي أن إخراجكم حق لا يتركه الله. [التسهيل لعلوم التنزيل: ٣/٥٢٠]

فقلت لها: بئس ما قلتِ. قالت: ألم تسمعي ما قال؟! قلت: ما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضًا على مرضي، فلمَّا دخلت إلى بيتي ودخل إليَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسلَّم ثُمَّ قال: " كيف تيكم؟ "، قلت: أتأذن لي أن أذهب إلى بيت أبي؟ فذهبت وكنت أبكي يومًا وليلا ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنَّان أنَّ البكاء فالق كبدي، فبينما هما جالسان عندي؛ إذ دخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجلس، ثُمَّ قال: " أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ؛ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي مَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فسيُبَرِّئك اللَّهُ، وَإِنْ كنت أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ". وكانت تقطر دموعي على خَدِّي، فَقُلْتُ لأبي: أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ فيما قال. فقال: والله لا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ. فقلت لأمي: أَجيبي رَسُولَ اللَّهِ. فقالت: والله لا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ. فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن: والله لقد عرفت أنَّكم سمعتم بهذا حتى استقرَّ في أنفسكم وصدَّقتم به، ولئن قلت لكم أنِّي بريئة، والله يعلم أنِّي بريئة، لا تصدقوني، ولا أقول لكم إلا كما قال أبو يُوسُف لأولاده: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[1] [يُوسُف: ١٨]، ثُمَّ تحوَّلتُ فاضطجعتُ على فراشي، وإني كنت أحقِّر نفسي من أن ينزل في شأني وحيٌ يُتْلَى ويتكلَّم الله فيّ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رؤيا يبرئني الله تعالى بها. قالت عائشة

---

(١) في قوله: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه بمعنى أن من الجميل أن أصبر.

الثاني: أنه أمر نفسه بصبر جميل.

وفي الصبر الجميل وجهان: أحدهما: أنه الصبر الذي لا جزع فيه قاله مجاهد.

الثاني: أنه الصبر الذي لا شكوى فيه.

روى حباب بن أبي حبلة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ فقال: « صبر لا شكوى فيه، ومن بث لم يصبر ».

﴿ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: والله المستعان على الصبر الجميل.

الثاني: والله المستعان على احتمال ما تصفون.

الثالث: يعني على ما تكذبون، قاله قتادة. [النكت والعيون: ٢/٢٤٦]

رضي الله عنها: فوالله ما قام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا بَرِحَ أحد من أهل البيت حتَّى أنزل الله الوحي على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخذه ثقل الوحي، وعرق جبينه، واحمرَّ وجهه، فكان أوَّل كلمة كلَّمني بها أن قال: " يا عائشة؛ أبشري، فقد برَّأك الله تعالى". فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله تعالى الذي برَّأني، ثُمَّ تلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ [النور:١١] إلى آخر الآيات(١).

ثمَّ قال أبو بكر الصِّدّيق رضي الله عنه: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد ما قال لعائشة ما قال. وكان ينفق عليه لقرابته وفقره، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ

(١) الإفك: أشدّ الكذب، ونزلت هذه الآية وما بعدها إلى تمام ست عشرة آية في شأن سيدتنا عائشة رضي الله عنها وفي براءتها مما رماها به أهل الإفك، وذلك أن الله برأ أربعة برأ يوسف بشهادة الشاهد من أهلها، وبرأ موسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بكلام ولدها في حجرها، وبرأ عائشة من الإفك بإنزال القرآن في شأنها، ولقد تضمنت هذه الآيات الغاية القصوى في الاعتناء بها، والكرامة لها والتشديد على من قذفها.

وقد خرج حديث الإفك البخاري ومسلم وغيرهما، واختصاره « أن عائشة خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق، فضاع لها عقد فتأخرت على التماسه حتى رحل الناس، فجاء رجل يقال له صفوان بن المعطل، فرآها فنزل عن ناقته وتنحى عنها حتى ركبت عائشة، وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش، فقال أهل الإفك في ذلك ما قالوا، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما بال رجال رموا أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيراً، وسأل جارية عائشة، فقالت: والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر ».

والعصبة الجماعة من العشرة إلى الأربعين، ولم يذكر في الحديث من أهل الإفك إلا أربعة، وهم: عبد الله بن أبيّ بن سلول رأس المنافقين، وحمنة بنت جحش، ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت، قيل: إن حسّان لم يكن منهم وارتفاع عصبة لأنه خبر إن، واختبار ابن عطية أن يكون عصبة بدلا من الضمير في جاؤوا، ويكون الخبر ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُمْ﴾ على تقدير: إن حديث الذين جاؤوا بالإفك، والأول أظهر ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ خطاب للمسلمين، والخير في ذلك من خمسة أوجه: تبرئة أم المؤمنين، وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها، والأجر الجزيل لها في الفرية عليها، وموعظة المؤمنين، والانتقام من المفترين ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ هو عبد الله بن أبي بن سلول المنافق، وقيل الذي بدأ بهذه الفرية غير معين، والعذاب العظيم هنا يحتمل أن يراد به الحدّ أو عذاب الآخرة. [التسهيل لعلوم التنزيل: ٢١٧/٣]

مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾[١] إلى قوله: ﴿أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور:٢٢][٢].

والسابع: نكاح عليّ وفاطمة الزَّهراء رَضِيَ الله عنهما:

وذلك أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يحبّ فاطمة رضي الله عنها؛ لأنَّها كانت زاهدة عابدة، وحب الولد الصالح مباح؛ لأنَّها كانت تذكرة له من خديجة رضي الله عنها، وهي أم الحسن والحسين قُرَّة عين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت لها أسماء تُدعى بها؛ أحدها: البَتُول، والثَّاني: الزَّهراء والثالث: الطَّاهرة، والرابع: المطهَّرة، والخامس: فاطمة، ولَّما بَلَغَت مبلغ النِّساء، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يغتمُّ لأجلها، ويقول: ليس لها والدة تربيها وتهيِّئ أسباب تزويجها. فنزل جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام: وقال السَّلام يُقْرِئك السَّلام، ويقول لك: لا تغتمّ لأجل فاطمة؛ لأنَّها أحبُّ إليَّ منك ففوِّضَ أمر تزويجها إليَّ، فإنِّي أزوجها ممَّن أحبُّ. فسَجَدَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذلك سجدةَ الشُّكر.

فلمَّا كان يوم الجمعة، نزل جِبْرِيل وميكائيل وإسرافيل وعَزْرَائيل عَلَيْهِم السَّلام إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيد كل ملك منهم طبق مغطًّى بمنديل، وكل واحد

---

(١) من ذيول قصة الإفك أن أبا بكر رضي الله عنه كان ينفق على مسطح بن أثاثة المطلبي إذ كان ابن خالة أبي بكر الصديق وكان من فقراء المهاجرين فلما علم بخوضه في قضية الإفك أقسم أن لا ينفق عليه. ولما تاب مسطح وتاب الله عليه لم يزل أبو بكر واجدا في نفسه على مسطح فنزلت هذه الآية. فالمراد من أولي الفضل ابتداء أبو بكر، والمراد من أولي القربى ابتداء مسطح بن أثاثة، وتعم الآية غيرهما ممن شاركوا في قضية الإفك وغيرهم ممن يشمله عموم لفظها فقد كان لمسطح عائلة تنالهم نفقة أبي بكر. قال ابن عباس: إن جماعة المؤمنين قطعوا منافعهم عن كل من قال في الإفك وقالوا: والله لا نصل من تكلم في شأن عائشة، فنزلت الآية في جميعهم.

ولما قرأ رسول الله على الله عليه وسلم الآية إلى قوله: ﴿أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال أبو بكر: بلى أحب أن يغفر الله لي. ورجع إلى مسطح وأهله ما كان ينفق عليهم. قال ابن عطية: وكفر أبو بكر عن يمينه، رواه عن عائشة. [التحرير والتنوير: ١٥١/١٨]

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٣)، وأحمد في مسنده (٢٥٠٩٤)، وابن حبان في صحيحه (٤٢١٢)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٨٨٢).

منهم معه ألف مَلَك، ووضعوا الأطباق بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ما هذا يا جِبْرِيل؟ قال: إن الله تعالى يقول: إني زوجت فاطمة بعليّ بن أبي طالب، وهذه أثواب الجنان وثمارها، ألبِسْها الثياب وانثُرْ عليها الثِّمار. فسجد رسول الله، وقال: يا جِبْرِيل؛ إن فاطمة ترضى بما أرضى به، فإنِّي أحبُّ أن تكون هذه الهدايا والعطايا في دار البقاء، لا في دار الفناء، ولكن يا جِبْرِيل: كيف كان تزويج فاطمة في السماء؟ فقال جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام: يا مُحَمَّد؛ إن الله تعالى أمر بأن تُفْتَح أبواب الجنان، ففتحت، وتغلَّق أبواب النِّيران، فغلِّقَت، ثُمَّ زيَّن الله تعالى العرش والكرسي وشجرة طوبى وسدرة المنتهى، ثُمَّ أمر الولدان والغلمان بأن ينصبوا في كل قصر خيمة، وفي كل غرفة حجلة، ويجلسوا لوليمة عُرس فاطمة، وأمر ملائكة السموات المقرَّبين والرَّوحانيين والكروبيين بأن يجتمعوا تحت شجرة طوبى، ثُمَّ أرسل الله تعالى الريح المسيِّرَة هبَّت في الجنان، فأسقطت من أشجارها الكافور والمسك والعنبر على الملائكة، ثُمَّ أمر الله تعالى طيور الجنة بأن تُغَنِّي فغنَّت، ورقصت الحُور العين، ونثرت الأشجار الحُلِيّ والجواهر عليهنَّ، وحُنَّتْ الولدان والغلمان، ثُمَّ نادى الجليل جلَّ جلاله، وأثنى على نفسه وقال: إنِّي قد زوَّجت سيدة النِّساء فاطمة بعلي بن أبي طالب. وقال لي: يا جِبْرِيل؛ كن أنت خليفة عليَّ، وأنا خليفة رسولي مُحَمَّد، فزوَّجها الله، وقبلتُهَا أنا عن علي.

هذا عقد نكاحها في السماء، فاعقد أنت يا مُحَمَّد في الأرض، فأخبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب، ثُمَّ فاطمة رضي الله عنهما، وجمع أصحابه في المسجد، فنزل جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام، وقال: إنَّ الله تعالى أمر عليًّا أن يقرأ الخطبة، فأمره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقرأ الخطبة بنفسه. فقرأ الخطبة: الحمد الله الذي المتوحِّد بالجلال، المتفرِّد بالكمال، خالق بريته، ومجنِّس طبقات خليقته، الذي ليس كمثله شيء، ولا يكون كمثله إلا هو، خالق العباد في البلاد، ألهمهم التسبيح والثناء عليه، فسبحوا بحمده وقدَّسُوه، فهو الذي لا إله إلا هو، وأمر عباده بالنكاح فأجابوه، والحمد لله على نعمه وآلائه، وأشهد أن لا إله إلا الله، شهادة تبلغه وتُرْضِيه، وتُجير قائلها وتقيه، يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، وصَلَّى الله على سيدنا مُحَمَّد، النَّبيّ الذي انتخبه لوحيه ورَضِيَهُ، صلاة تُبْلِغُهُ الزُّلْفَى وتُحْظِيه، ورحمة الله على آله وأصحابه ومُحِبِّيهِ. والنِّكاح

بما قضاه الله وأذن فيه، وإني عبد الله وابن أمته، الراغب إلى الله، الخاطب خير نساء العالمين، قد بذلت لها من الصداق أربع مائة درهم عاجلة غير آجلة، زوِّجنيها يا أيها الرَّسُول الأمين على سنَّة من مَضَى من المرسلين، فقال النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "زوَّجت فاطمة بك يا عليّ، وزوَّجك الله تعالى ورَضِيَك واختارك "، فقال علي رضي الله عنه: قبلتُها من الله تعالى ومنك يا رسول الله.

فلمَّا سَمِعَت فاطمة رضي الله عنها بأنَّ أباها زوَّجَها وجعل الدَّراهم لها مهرًا، قالت: يا أبت؛ إن بنات سائر الناس يُزَوَّجْنَ على الدَّرَاهم والدَّنانير، فما الفرق بين سائر النَّاس وبينك؟! فاسأل الله تعالى أن يجعل صداقي شفاعة العُصاة من أمَّتِك، فنزل جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام من ساعته وبيده حرير، وفيه مكتوب: جعل الله مهر فاطمة الزَّهراء بنت مُحَمَّد المصطفى شفاعة للعصاة من أُمَّتِه، وأَوْصَت فاطمة رضي الله عنها وقت خروجها من الدُّنيا بأن يجعل ذلك الحرير في كفنها، وقالت: إذا حُشِرْتُ يوم القيامة أرفع هذا الحرير وأشفع في عُصَاة أُمَّة أبي. فإذا أراد المذكر أن يطول التَّذكير، فليذكر وفاة فاطمة رضي الله عنها.

فلمَّا كانت وصلة الأنبياء عَلَيْهِم السَّلام يوم الجُمُعة، كذلك جعل الله وصلة أمَّة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الجمعة، والصَّلاة في يوم الجُمُعة، وهي الوصلة؛ في [سورة] الجُمُعَة دعا الله عِبَاده للوصلة في يوم الجُمُعة، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ٩ - ١١][1].

سبب نزول هذه الآيات: أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يخطب على المِنْبَر يوم الجمعة، إذ أقبل الكلبيّ من تجارة الشَّام، وضرب له طبلا يؤذن النَّاس بقدومه، فخرج النَّاس و لم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلا وتركوه قائمًا، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(١) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ وذلك هو النداء، ينادي بالدعاء إلى صلاة الجمعة عند قعود الإمام على المنبر للخطبة؛ ومعنى الكلام: إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يقول: فامضوا إلى ذكر الله، واعملوا له؛ وأصل السعي في هذا الموضع العمل، وقد ذكرنا الشواهد على ذلك فيما مضى قبل. [تفسير الطبري: ٢٣/٣٨٠]

وَسَلَّمَ: " والذي نفس مُحَمَّد بيده لو لم يبق في مسجدي هذا إلا اثنا عشر رجلا منكم، لامتلأ الوادي نارًا؛ وهو قوله تعالى:﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥١]"(١).

وقال بعض العلماء: أعطى الله تعالى يوم السبت لموسى بن عمران، ولخمسين نبيًّا مرسلا معه، عَلَيْهِم السَّلام، وأعطى يوم الأحد لعيسى بن مريم ولخمسين نبيًّا مرسلا معه، عَلَيْهِم السَّلام، وأعطى يوم الاثنين لمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولثلاث وستين نبيًّا مرسلا معه، عَلَيْهِم السَّلام، وأعطى يوم الثُّلاثاء لسليمان بن داود، ولخمسين نبيًّا مرسلا معه، عَلَيْهِم السَّلام، وأعطى يوم الأربعاء ليعقوب ولخمسين نبيًّا مرسلا معه، عَلَيْهِم السَّلام، وأعطى يوم الخميس لآدم ولخمسين نبيًّا مرسلا معه، عَلَيْهِم السَّلام، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ما خَصَّ أمَّتِي؟ "، فقال: يا مُحَمَّد؛ يوم الجُمُعَة والجنَّة هَدِيَّة لأمَّتِك برَحْمَتِي.

وجميع الأنبياء مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرون ألف نبي؛ المرسلون منهم ثلاث مائة وثلاثة عشر نبيًّا، عَلَيْهِم السَّلام.

اللهمَّ بحق هذه المائة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ تُبْ علينا، وثَبِّت علينا عقلنا ودِيننا، وتَوَفَّنَا مسلمين برحمتك يا أرحم الرَّاحِمِين. آمين.

وصلَّى الله على سيدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه وسَلِّم تسليمًا كثيرًا دائمًا أبدًا إلى يوم الدِّين، والحمد لله رَبِّ العالمين.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/٣٠٠، رقم ٦٨٧٧).

فهرس

مقدمة التحقيق	٥
أسرار الرقم سبعة	٧
البناء الكوني والبناء القرآني والرقم سبعة	٨
لماذا اقتضت مشيئة الله عز وجل اختيار الرقم سبعة؟	٨
الرقم سبعة في الكون	٩
الرقم سبعة في السنة النبوية	٩
الرقم سبعة والحج	١١
الرقم سبعة في القصة القرآنية	١٢
الرقم سبعة ويوم القيامة	١٣
الرقم سبعة والصدقات	١٣
الرقم سبعة والتسبيح	١٤
الرقم سبعة وحروف القرآن	١٤
خلق السموات	١٥
حقيقة السموات السبع	١٦
الرقم سبعة وسور القرآن	١٧
تكرار الرقم سبعة في القرآن	١٨
الرقم سبعة: أول مرة وآخر مرة	٢٠
الذرة في القرآن	٢٢
خاتمة	٢٤
ترجمة المؤلف	٢٥
وصف النسخ الخطية	٢٦
منهج التحقيق	٢٦

obeikandl.com

مقدمة المصنف ٣٣
الْمَجْلِسُ الأوَّل: فِي يَوْمِ السَّبْتِ ٣٥
أما الأول؛ مكر قوم نوح بنوح عليه السلام ٣٨
والثاني: مكر قوم صالح بناقة صالح عليه السلام فعقروها ٤١
والثالث: مكر إخوةُ يُوسُف ٤٣
والرابع: مكر فرعون بموسى عَلَيْهِ السَّلام ٤٤
الخامس: مَكْرُ اليهود بعيسى عَلَيْهِ السَّلام ٤٨
والسادس: مكر قريش بدار الندوة بمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٥٢
والسابع: مكر اليهود بنهي الله تعالى ٥٧
الْمَجْلِسُ الثَّانِي: فِي يَوْمِ الأحَدِ ٦٣
أمَّا الأوَّل: خلق الله السموات السبع يومَ الأحد: ٦٤
والثاني: خلق الله النُّجُوم السَّيَّارة يومَ الأحد: ٦٧
والثالث: خلق الله النَّار في يوم الأحد: ٦٩
الرابع: خلق الله الأرض سبعة: ٧٢
والخامس: خلق البِحَار سبعة: ٧٤
والسادس: خلق أعضاء الآدميين سبعة: ٧٦
السابع: خلق الأيَّام السَّبعة: ٨٠
الْمَجْلِسُ الثَّالِثُ: فِي يَوْمِ الاثنَيْنِ ٨٦
أمَّا الأوَّل؛ صَعَدَ إدريس عَلَيْهِ السَّلام إلى السَّماء في يوم الاثنين: ٨٧
والثَّانِي: سافر موسى عَلَيْهِ السَّلام إلى جبل طور سيناء يومَ الاثنين: ٨٩
والثالث: نزول دليل وحدانيّة الله تعالى في يوم الاثنين: ٩٤
والرابع: ولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومَ الاثنين: ٩٥
والخامس: أوَّل ما نزل جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم. ٩٨
والسَّادس: تُعْرَضُ أعمال الأمَّة على روح رسول الله يوم الاثنين: ١٠٠

والسَّابع: وفاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم الاثنين، في الثاني عشر من شهر ربيع ١٠٠
الْمَجْلِسُ الرَّابِعُ: فِي يَوْمِ الثُّلاثَاءِ ١٠٨
أمَّا الأوَّل؛ قتلوا جرجيس عَلَيْهِ السَّلام: ١٠٨
والثاني: قتل يحيى عَلَيْهِ السَّلام يوم الثلاثاء: ١١٠
والثالث: قتل زكريا عَلَيْهِ السَّلام في يوم الثلاثاء: ١١١
الرابع: قُتِلَت سحرة فرعون يوم الثُّلاثاء: ١١٢
والخامس: قُتِلَت آسية امرأة فرعون يوم الثلاثاء: ١١٢
السادس: ذُبِحَت بقرة بني إسرائيل يوم الثُّلاثَاء: ١١٣
والسابع: قتل هابيل في يوم الثلاثاء: ١١٥
الْمَجْلِسُ الْخَامِسُ: فِي يَوْمِ الأرْبَعَاءِ ١٢١
أمَّا الأوَّل؛ أهلك الله تعالى عَوْجًا في يوم الأربعاء: ١٢٢
والثاني: أُهْلِكَ قارون عليه اللَّعنة يوم الأربعاء: ١٢٣
الثالث: أُهْلِكَ فرعون وجنوده يوم الأربعاء: ١٢٥
والرابع: أُهْلِكَ نمرود بن كنعان عليه اللَّعنة وقومه بالبعوضة يوم الأربعاء: ١٢٧
والخامس: أهلك قوم صالح بصيحة جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام يوم الأربعاء: ١٢٩
والسادس: أهلك شداد بن عاد في يوم الأربعاء: ١٣٢
والسابع: أهلك قوم هود يوم الأربعاء بالرِّيح: ١٣٣
الْمَجْلِسُ السَّادِسُ: فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ١٣٩
أمَّا الأوَّل؛ وهو دخول إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلام على ملك مصر: ١٤٠
والثاني: دخل الساقي في السِّجن يوم الخميس: ١٤٢
والثالث: إخوة يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام دخلوا على يُوسُف في يوم الخميس، فوجدوا النعمة: ١٤٥
والرابع: دخل بنيامين في مصر فوجد يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام في يوم الخميس: ١٤٨
والخامس: دخل يعقوب عَلَيْهِ السَّلام مصر يوم الخميس فوجد يُوسُف: ١٤٩

obeikandl.com

والسادس: دخل موسى عَلَيْهِ السَّلام مصر يوم الخميس: ١٥١
والسابع: دخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكَّة يوم الخميس: ١٥٣
الْمَجْلِسُ السَّابِعُ: فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ١٥٧
أمَّا الأوَّل؛ نكاح آدم وحواء حصل في يوم الجمعة: ١٥٧
والثاني: نكاح يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام وزليخا: ١٥٩
والثَّالث: نكاح موسى عَلَيْهِ السَّلام وصفُوراء بنت شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلام: ١٦١
والرابع: نكاح سليمان بن داود عَلَيْهِمَا السَّلام ببلقيس عليها السلام: ١٦٤
الخامس: نكاح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخديجة رضي الله عنها: ١٦٧
السادس: نكاح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعائشة رضي الله عنها: ١٧٣
والسابع: نكاح عليّ وفاطمة الزَّهراء رَضِيَ الله عنهما: ١٧٨
الفهرس ١٨٢

obeikandl.com